

صحیح الأخبار

عما في بلاد العرب من الآثار
الجزء الثاني



تأليف

الشيخ / محمد بن عبد الله بن بليهد

صَحِيحُ الْإِخْبَارِ عَمَّا فِي بِلَادِ الْعَرَبِ مِنَ الْأَشَارِ

تأليف
الشيخ محمد بن عبد الله بن أبي عمير

الجزء الثاني

الطبعة الثالثة ١٤١٨ هـ

٩

الْناَبِغَةُ الذُّنْيَانِيُّ

النابعة الذيبانى

واسمه زياد بن معاوية ، ينتهى نسبه إلى ذُبْيَان بن رَيْث بن غَطَفَان بن قَيْس عَيْلَان وكنيته أبو أمانة . توفى سنة ١٨ قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم .
وهذا مطلع المعلقة :

١ - يَأْدَارُمِيَّةٌ بِالْعَلِيَاءِ فَالسَّنْدِ أَقْوَتٌ وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الْأَبَدِ

العلياء تطلق على كل أرض مرتفعة ، وليست موضعا معيناً ، كقول زهير :

* تحملن بالعلياء من فوق جرثم *

السند^(١) : قال فى معجم البلدان : هو ما قبالك من الجبل ، وعلا من السفح ، ولا يزال أهل نجد يطلقون على كل مرتفع سندا ، ولست أعلم موضعا يقال له اليوم العلياء ، ولا موضعا يقال له اليوم : السند ، إلا موضعا واحدا يقال له « سنيد » على صيغة التصغير ، وهو الطريق الذى يسلك من عُشْبِرَة إلى نجد الذى فيه خيام أهل المركز اليوم ، وهو ثنية الحريرة الواقعة على ضفة وادى العقيق الجنوبية النافذة من ماء عُشْبِرَة . يقال لتلك الثنية سُنَيْد إلى هذا العهد .

* * *

٢ - وقال النابغة يصف راحلته :

فَعَدَّ عَمَّا تَرَى إِذْ لَا أُرْتَجَاعَ لَهُ وَأَنَّهُمِ الْقَتُودَ عَلَى عَيْرَانَةٍ أَجْدِ
مَخْفُوفَةٍ بِدَخِيسِ النَّخْضِ بَازِلُهَا لَهُ صَرِيفٌ صَرِيفَ الْقَعْوِ بِالْمَسْدِ
كَأَنَّ رَحْلِي وَقَدْ زَالَ النَّهَارُ بِنَا يَوْمَ الْجَلِيلِ عَلَى مُسْتَأْنَسٍ وَحَدِ
مِنْ وَخْشٍ وَجَرَةٍ مُوشِيٍّ أَكَارِعُهُ طَاوَى الْمَصِيرِ كَسَيْفِ الصَّيْقَلِ الْفَرْدِ
فَارْتَاعَ مِنْ صَوْتِ كَلَّابٍ فَبَاتَ لَهُ طَوَّعَ الشَّوَامِتِ مِنْ خَوْفٍ وَمِنْ صَرْدِ

الجليل : هو فى اللغة الثَّام ، ويطلق هذا الاسم على وادٍ من أودية الطائف يقال له « جليل » وهو الذى عناه النابغة ، وهو واقع جنوبى الطائف ، يبعد عنه مسافة أقل من نصف يوم ، وهو معلوم عند عامة العرب بهذا الاسم فى الجاهلية والإسلام ، ويحتمل أن النابغة أراد بالجليل الجبل

(١) قال البكرى : قد حدده الأحوص فى قوله :

غشيت الدار بالسند * دوين الشعب فى أحد (ج ٣ ص ٧٦١) مصنف

الذى فى الشام ، وذلك أنه حين غضب عليه النعمان بن المنذر اللخمي التجأ إلى ملوك غسان وكانوا مقيمين بالشام وفى سواحل جبل يقال له « الجليل » تمتد إلى قرب حمص ، وقد كان معاوية ابن أبى سفيان يحبس فى موضع من هذا الجبل من يظفر به ممن اتهم بالاشتراك فى مقتل عثمان بن عفان رضى الله عنه ، ومنهم محمد بن أبى حذيفة ، وكريب بن أبرهة ، وهناك قتل عبد الرحمن بن عديس التجيبي ، قتله بعض الأعراب لما اعترف عنده بقتل عثمان ، قال ياقوت ^(١) : وعبد الرحمن بن عديس التجيبي هو الذى يقول لما خرج من مصر مع الثوار الذين كانوا يريدون قتل عثمان ، وهو من رؤسائهم ، قال وهو فى طريقه :

أقبلن من بلييس والصَّعيدِ مستحقيات حلقَ الحديدِ
يطلبن حق الله فى الوليدِ وعند عثمان وفى سعيدِ

الوليد : هو الوليد بن عقبة بن أبى مُعيط أخو عثمان بن عفان لأمه ، أمهما أروى ، وسعيد : هو سعيد بن العاص الذى استعمله معاوية بن أبى سفيان فى خلافته على المدينة ، قال ابن الفقيه : وكان منزل نوح عليه السلام فى جبل الجليل بالقرب من حمص فى قرية تدعى سحر ، وذكروا أن هذا الجبل الذى يسمى الجليل دعا له عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام ألا لا يعُدُّو سبعة ، ولا يجذب زرعه ، وهو جبل يمتد من الجنوب إلى جهة الشمال ، فما كان بفلسطين منه يقال له « جبل الحمل » وما كان بالأردن فهو جبل الجليل ، وما كان بدمشق فهو لبنان ، وما كان منه بمحصر فهو سنير ، وقد قال أبو قيس بن الأسلت فى ذلك ^(٢) :

فلولا ربُّنا كنا يهودا وما دين اليهود بذى شكول
ولولا ربنا كنا نصارى مع الرهبان فى جبل الجليل
ولكننا خلُقنا إذ خلُقنا حنيفٌ ديننا عن كل جبل

وقال الحافظ أبو القاسم الدمشقى : واصل بن جُميل أبو بكر السلامانى ، من بنى سلامان ، الجليلي ، من جبل الجليل من أعمال صيدا وبيروت من ساحل دمشق ، حدث عن مجاهد ومكحول

(١) انظر معجم البلدان ٣/ ١٣١ وليس فيه الرجز .

ذكره ابن جرير فى تاريخه ج ٥ ص ١١٥ وهذا الرجز :

أقبلنا من بلييس والصعيد	خوصا كأمثال القصى قود
مستحقيات حلق الحديد	يطلبن حق الله فى الوليد
وعند عثمان وفى سعيد	يارب فارجنا بما نريد (الصف)

(٢) انظر معجم البلدان ٣ / ١٣٢ .

وعطاء وطاوس والحسن البصري ، روى عنه الأوزاعي وعمر بن موسى بن وجيه الوجيبي ، وقال يحيى بن معين : واصل بن جميل مستقيم الحديث ، ولما هرب الأوزاعي من عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس اختبأ عنده ، وكان الأوزاعي يحمده ضيافته ويقول : ماتهنأت بضيافة أحد مثل ما تهنأت بضيافتي عنده . وكان خبأني في هُرى العدس ؛ فإذا كان العشاء جاءت الجارية فأخذت العدس فطبخت ثم جاءتني ، فكان لا يتكلف ، فتهنأت بضيافته . واستشهد صاحب معجم البلدان على وادي الجليل الذي بالطائف ببيت النابغة هذا . وقال أيضاً في معجم البلدان ^(١) : وذو الجليل : وادٍ بقرب أجأ . والجليل الذي نعرفه بهذا الاسم إلى هذا اليوم هو الوادي القريب من الطائف ويعد من أوديته .

وجرة

وأما وجرة فقد مضى الكلام عليها في شعر زهير . وقد أوضحناها هناك . يقسمها اليوم طريق المهد السالك من عشيرة إلى المهد نصفين : من عشيرة حتى يقرب المهد كلها يطلق عليها وجرة . وهي ركة الشمالية . وقد أوردنا الشواهد الواردة في ذكرها . ومن ذلك قول أعرابي :
وفي الجيرة الغادين من بطن وجرة غزال أحمر المقلتين ريب
فلا تحسبي أن الغريب الذي نأى ولكن من تنأين عنه غريب

* * *

٣ — وقال النابغة :

وَلَا أَرَى فَلَيْلًا فِي النَّاسِ يُشَبِّهُهُ
وَلَا أَحَدًا مِنْ الْأَقْوَامِ مِنْ أَحَدٍ
إِلَّا سُلَيْمَانُ إِذْ قَالَ الْإِلَهُ لَهُ :
قُمْ فِي الْبَرِّيَّةِ وَاحْدُودَهَا عَنِ الْفَنَدِ
وَحَيْسِ الْجَنِّ إِنِّي قَدْ أَذِنْتُ لَهُمْ
يَبْنُونَ تَدْمُرَ بِالْصَّفَاحِ وَالْعَمَدِ

تدمر

أما مدينة تدمر فإني أحيت أن أذكر عبارة صاحب معجم البلدان برمتها ، قال : مدينة ^(٢) قديمة مشهورة في برية الشام ، بينها وبين حلب خمسة أيام ، قال بطليموس : مدينة تدمر طولها إحدى وسبعون درجة وثلاثون دقيقة ، داخلها في الإقليم الرابع ، بيت حياتها السكك الأعزل ، تسع درجات من الجدى ، بيت ملكها مثلها من الحمل ، عاقبتها مثلها من الميزان ، وقال صاحب الزيج : طول تدمر ٦٣ درجة وربع ، وعرضها ٣٤ درجة وثلثان ، قال : سميت بتدمر بنت حسان بن أدينة بن السميدع بن مزيد بن علق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام ، وهي من عجائب الأبنية موضوعة على العمود الرخام ، زعم قوم أنها مما بكته الجن لسليمان عليه السلام ، وذكر الشاهد على

(١) انظر معجم البلدان ٣ / ١٣٢ . (٢) انظر معجم ياقوت ٢ / ٣٦٩

ذلك، وهو بيت النابغة هذا ، وأهل تدمر يزعمون أن ذلك البناء قبل سليمان بن داود عليهما السلام بأكثر مما بيننا وبين سليمان ، ولكن الناس إذا رأوا بناء عجيبا جعلوا بانيه أضافوه إلى سليمان وإلى الجن ، وعن إسماعيل بن محمد بن خالد بن عبد الله القسري قال : كنت مع مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية حين هدم حائط تدمر ، وكانوا خالفوا عليه ، وقتلهم ، وفرق الخيل عليهم تدوسهم وهم قتلى ، فطارت لحومهم وعظامهم في سَنَابك الخيل ، وهدم حائط المدينة ، فأفضى به الهدم إلى جرف عظيم ، فكشَفُوا عنه صخرة فإذا بيت مُحَصَّص كأن اليد رفعت عنه تلك الساعة ، وإذا فيه سرير عليه امرأة مستلقية على ظهرها ، وعليها سبعون حلة ، وإذا لها سبع غدائر مشدودة بخلخالها ، قال : فذرعت قدمها ، فإذا هي ذراع من غير الأصابع ، وإذا في بعض غدائرها صحيفة ذهب فيها مكتوب : باسمك اللهم ، أنا تدمر بنت حسان ، أدخل الله الدلَّ على من يدخل بيتي هذا ، فأمر مروان بالجرف فأعيد كما كان ، ولم يأخذ مما كان عليها من الحلى شيئا ، قال : فوالله ما مكثنا على ذلك إلا أياما حتى أقبل عبد الله بن علي فقتل مروان ، وفرق جيشه واستباحه ، وأزال الملك عنه وعن أهل بيته ، وكان من جملة التضاوير التي بتدمر صورة جارينتين من حجارة من بقية صور كانت هناك ، فربها أوس بن ثعلبة التميمي صاحب قصر أوس الذي في البصرة ، فنظر إلى الصورتين ، فاستحسنهما ، فقال :

فَتَأَنَّى أَهْلَ تَدْمَرَ خَبْرَانِي	أَلَمْ تَسْأَلَا طَوْلَ الْقِيَامِ
قِيَامِكَا عَلَى غَيْرِ الْحَشَايَا	عَلَى جَبَلِ أَصَمٍّ مِنَ الرِّخَامِ
فَكَمْ قَدَمٍ مِنْ عَدَدِ اللَّيَالِي	لَعَصْرُكَ ، وَعَامٌ بَعْدَ عَامٍ
وَأَنْكَا عَلَى مَرِّ اللَّيَالِي	لَأَبْقَى مِنْ فُرُوعِ ابْنَيْ شِمَامٍ
فَإِنْ أَهْلُكَ قَرُبَ مَسَوِّمَاتٍ	ضَوَامِرٌ تَحْتَ فَتَيَانِ كَرَامٍ
فَرَائِصُهَا مِنَ الْإِقْدَامِ نَزَعٍ	وَفِي أَرْسَافِهَا قَطْعُ الْخُدَامِ
هَبْطُنْ بَهَنًّ بِمَجْهُولَا مَخُوفَا	قَلِيلُ الْمَاءِ مَصْفَرُّ الْجَمَامِ
فَلَمَّا أَبْ رَوَيْنَ صَدْرَنَ عَنْهُ	وَجِئْنَ فُرُوعَ كَاسِيَةِ الْعِظَامِ

قال المدائني : فقدم أوس بن ثعلبة على يزيد بن معاوية فأنشده هذه الأبيات ، فقال يزيد : لله درُّ أهل العراق ، هاتان الصورتان فيكم يا أهل الشام لم يذكركما أحد منكم ، فربهما هذا العراق مرة فقال ما قال ، ويروى عن الحسن بن أبي سرح عن أبيه قال : دخلت مع أبي دُلَفٍ إلى الشام ، فلما دخلنا تدمر وقف على هاتين الصورتين ، فأخبرته بخبر أوس بن ثعلبة ، وأنشدته شعره فيهما ؛ فأطرق قليلا ثم أنشد :

ما صورتان بتدمر قد راعتا أهل الحِجْبي وجماعة العِشاق
غَبَرَا على طول الزمان ومَرَّه لم يَسَامَا من ألفية وعِناق
فَلَيْمِينَ الدهر من نكباته شخصيهما منه بسهم ففراق
وَلَيْبِلِيَتَهُمَا الزمان بِكَرَّةٍ وتعاقب الإِظلام والإِشراق
كَي يَعْلَمُ الْعِلْمَاءُ أَنَّ لَا خَالِدًا غير الإله الواحدِ الخلاق
وقال محمد بن الحاجب يذكرهما :

أَتَدْمُرُ صُورَتَاكَ هَا لِقَلْبِي غرام ليس يشبهه غرام
أَفَكِّرُ فِيكَما فِيطِيرُ نَوْمِي إذا أَخَذْتَ مضاجعها النيام
أَقُولُ مِنَ التَّعَجُّبِ : أَي شَيْءٍ أَقَامَهُمَا فَقَدْ طَالَ الْقِيَامُ ؟
أَمْ لَكُنَّا قِيَامَ الدَّهْرِ طَبْعًا فذلك ليس يملكه الأَنَامُ
كَأَنَّهُمَا مَعًا قَرِيبَانِ قَامَا أَلَجَّهْمَا لَدَى قَاضٍ خَصَامُ
يَمُرُّ الدَّهْرُ يَوْمَ بَعْدَ يَوْمٍ ويمضي عامه يتلوه عام
وَمَكْتُهُمَا يَزِيدُهُمَا جَمَالًا جمال الدر زِينَةُ النِّظَامِ
وَمَا تَعْدُوهُمَا بَكْتَابَ دَهْرٍ سَجِيتهِ اصْطِطِلَامُ واخترام
وقال أبو الحسن العجلي فيهما :

أَرَى بِتَدْمُرٍ تَمْتَالِينِ زَانَهُمَا تَأْتِقُ الصَّانِعَ الْمُسْتَفْرِقَ الْفَطْنِ
هَما اللَّتَانِ يَرُونِ الْعَيْنَ حَسَنَهُمَا يَسْتَعْظِفَانِ قُلُوبَ الْخَلْقِ بِالْفَتَنِ

وفتحت تدمر صلحا . وذلك أن خالد بن الوليد - رضى الله عنه ! - مر بهم في طريقه من العراق إلى الشام ، فتحصنوا منه ، فأحاط بهم من كل وجه ، فلم يقدر عليهم ، فلما أعجزه ذلك وأعجله الرحيل قال : يا أهل تدمر ، والله لو كنتم في السحاب لاستنزلناكم ولأظهرنا الله عليكم ، ولئن أتمتم لم تصالحوا لأرجعن إليكم إذا انصرفت من وجهي هذا ، ثم لأدخلن مدينتكم حتى أقتل مقاتليكم وأسبي ذراريكم . فلما ارتحل عنهم بعثوا إليه وصالحوه على ما أودعه له ورضى به . وهى باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد . ولكن خرابها كثير لطول تداول السنين بها . وهى واقعة بين دمشق وحلب ، بينها وبين حلب مسافة خمسة أيام .

٤ — وقال النابغة :

الْوَاهِبُ الْمَتَّةَ الْأَبْكَارَ زَيْبَهَا سَمْعَدَانُ تَوْضِيحٌ فِي أَوْبَارِهَا اللَّبْدُ^(١)
وَالسَّاحِبَاتِ ذُيُولَ الْمِرْطِ فَفَقَّهَا بَرْدُ الْهَوَاجِرِ كَالْغَزْلَانِ بِالْجَرْدِ

توضيح : موضع معروف بنات السعدان . وهو واقع بين جبل الهضب وجبل الحمل . وقد مضى الكلام عليه في معلقة امرئ القيس . والعرب تستمرى نبات السعدان لرعى الإبل . وفي المثل « ماء ولا كصداء ، ومرعى ولا كالسعدان » وهو نبات معروف عند عامة أهل نجد .

أما الجرد فهو عند أهل نجد القطعة من الرمال الصغار يكون منظرها أسود سهلة المرتقى ، ولا أعلم موضعاً معيناً يقال له الجرد ، إلا موضعاً جنوبي سامودة ، والموضع المذكور يقطعه السالك من الطائف إلى تربة ، يقال له الجرد ، وأما قول النابغة « كالغزلان بالجرد » فهو يقصد الجرد بالمعنى الأول إذا رأيتها ظننت أنها حزون ، وهي نوع من الرمال على ما ذكرنا .

* * *

٥ — وقال النابغة :

وَإِخْلُكُمْ كُحُكِمَ فَتَاةَ الْحَيِّ إِذْ نَظَرْتُ إِلَى حَمَامٍ شِرَاعٍ وَارِدِ الثَّمَدِ
يَحْفُهُ جَانِبًا نَيْقٍ وَيَتْبَعُهُ مِثْلُ الزَّجَاجَةِ لَمْ تُكْحَلْ مِنَ الرَّمَدِ
قَالَتْ أَلَا لَيْتَمَا هَذَا الْحَمَامَ لَنَا إِلَى حَمَامَتِنَا أَوْ نِصْفَهُ فَقَدْ
فَحَسِبُوهُ فَأَلْفُوهُ كَمَا زَعَمْتُ سِتًّا وَسِتِينَ لَمْ تَنْقُصْ وَلَمْ تَزِدْ
فَلَا لَعَمْرُ الَّذِي مَسَّخْتُ كَعْبَتَهُ وَمَا هُرَيْقٌ عَلَى الْأَنْصَابِ مِنْ جَسَدِ
وَالْمُؤْمِنِ الْعَائِدَاتِ الطَّيْرِ تَمْسَحُهُ رُكْبَانُ مَكَّةَ بَيْنَ الْغَيْلِ وَالسَّعْدِ

الثمّد : يطلق على كل ماء قليل على ظهر الأرض يَرُدُّه القطا . وهناك ماء معينة معروفة يقال لها « الثميد » بالتصغير ، وهو الماء الذي تستقي منه بلد بريدة وتستعذبه على جميع المياه الواقعة قريباً منها .

أما « جانبائق » فليسوا موضعاً معلوماً . بل أراد جانبي جبلين رفيعين سلك الحمام من بينهما . والنبيق : الجبل الشاهق .

(١) في هذا البيت — على هذه الرواية — الاقواء ، وكان النابغة يقوى في شعره ، ويروى :

* في الأوبار ذى اللبد *

الكعبة تكفى شهرتها عن ذكرها .

أما الغيل فثمة موضع بهذا الاسم واقع في جبل العارض في جنوبي الأفلاج . وقد مضى الكلام عليه في كتابنا هذا . وهناك موضع كان يسمى الغيل في الزمن القديم في بطن وادي يلم الذي يصب في تهامة من أعلى وادي الحرم ، ويتجه مغرباً حتى يصب في البحر . وفي بطن هذا الوادي ماء السعدية المعروفة بهذا الاسم في هذا العهد . وهذا الوادي هو ميقات أهل اليمن . وهو الذي يقول فيه أبو دهل الجمحي :

خرجت بها من بطن مكة بعد ما أصاح المنادى للصلاة فأعتما
فما نام من راعٍ ولا ارتدَّ سامرٌ من الحى حتى جاوزتُ بي بَلَمًا
قال في معجم البلدان ^(١) : وفيه مسجد لمعاذ بن جبل . فأما أنا فوردت تلك المائة ماء السعدية وهي الميقات ، فلم أَر فيها مسجداً . والغيل الذي يقع في صدر يلم في قول ذؤيب بن بوية بن لُأى :
لعمري لقد أبكت قريم وأوجعوا بجزعة بطن الغيل من كان با كيا
وجزعة باقي بهذا الاسم إلى هذا العهد بين ماء السعدية وجبال وادي الحرم .

والمواضع التي يطلق عليها سعد - بسكون العين - كثيرة . قال ياقوت ^(٢) : والسُعد : ماء وقرية ونخل غربى اليمامة . قال أبو زياد : سعد ماء وقرية ونخل من جانب اليمامة الغربى بقرقرى ، وقد ذكره الشعراء ؛ فقال الصَّمَّة بن عبد الله القُشَيْرى وقد فارق أهله وافترض في الجند :
ألا ليت شعرى هل أبيتَ ليلةً بسُعدٍ ولما تحلُّ من أهلها سُعدُ
وهل أقبلنَّ النجدَ أعناق أينقُ وقد سار مُسيّاً ثم صَبَّحها النجد
وهل أخبطن القوم والريح طَلَّةً فروعُ الأء حفه عُقدُ جعد
وكنت أرى نجداً وريّاً من الهوى فما من هواى اليوم رِيّاً ولا نجدُ
فدعنى من رِيّاً ونجد كليهما ولكننى غادٍ إذا ماغدا الجند
وقال جرير :

ألا حى الديار بسُعدٍ إنى أحب لحب فاطمة الديارا
إذا ما حل أهلك يا سلى بدارة صُلُصْل شَحَطُوا مَزَارا
أراد الظاعنون ليحزنونى فهاجوا صدع قلبى فاستطارا

وسُعد أيضاً : موضع قريب من المدينة ، كانت غزوة ذات الرقاع التي غزاها رسول الله صلى الله

(٢) انظر معجم البلدان ٥ / ٨٣ .

(١) انظر معجم البلدان ٨ / ٥١٤ .

عليه وسلم قريبا منه ، وهناك موضع يقال له « سعد » على طريق السالك من فيد إلى المدينة ، قال فيه نصيب :

وهل مثل أيام بنعف سويقة عوائد أيام كما كنَّ بالسعد
تمنيت أنا من أولئك ، والمنى على عهد عادٍ لا نُعيد ولا نبدي

ودير سعد : بين بلاد غطفان والشام ، وحمام سعد : في طريق حاج الكوفة ، ومسجد سعد على ستة أميال من الزبيدية بين القرعاء والمنيفة في طريق حاج الكوفة ، فيه بركة ، أما القرعاء فهي موجودة بهذا الاسم إلى هذا العهد من قرى الجَوَاء ، يقال لها القرعى ، وهذا المسجد ينسب إلى سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه ، قال ابن الكلبي : وكان للمالك وملك ابنى كنانة باحل جدة وبتلك النواحي صنم يقال له سعد ، وكان صخرة طويلة ، فأقبل رجل منهم بإبل له ليقفها عليه ، يتبرك بذلك فيها ، فلما أدناها منه نفرت منه ، فذهبت في كل وجه وتفرقت عنه ، فأسف صاحب الإبل ، فتناول حجرا ، فرماه به وقال : لا بارك الله فيك إلها ! أنفرت على إبلى ، ثم انصرف عنه وهو يقول :

أتينا إلى سعد^(١) ليجمع شملنا فشتتنا سعدٌ فما نحن من سعد
وما سعد إلا صخرة بتنوفة من الأرض لا يدعى لغى ولا رشد

فأما الموضعان اللذان ذكرهما النابغة بقوله « بين الغيل والسعد » فالغيل ماء إذا كثرت السيول يصب من الجبل الذى يدعى اليوم جبل الرخم ، وهو مُتَاخَمٌ للجبل المسمى اليوم « جبل النور » وأما السعد - بفتح العين - فهو ماء تصب من جبل أبى قبيس ، معروفة عند جميع العرب بهذا الاسم ، ولكن هذا الماء انقطع إلا أن يكون هو الذى يُسميه أهل مكة في هذا العهد المصافى فهو باقى يحجز الماء ، وأقرب ما يكون لهذا التحديد هو موضع المصافى اليوم .

* * *

٦ — وقال النابغة من قصيدة مطلعها :

كَلَيْنِي لِهَمٍّ يَا أُمَيَّةُ نَاصِبٍ وَلَيْلٍ أَقَاسِيهِ بَطِيءُ الْكَوَاكِبِ

وهو يمدح فيها الحارث الأعرج الفسائى لما التجأ إليه حين هرب من النعمان بن المنذر ، إلى أن قال :

(١) وفي معجم البكرى ج ٣ ص ٧٣٨ : وهناك موضع يقال له « سعد » غير هذا ، واقع في بلاد غطفان ، وهو الذى يقول فيه كعب بن زهير :
جعل السعد والقنان يميناً والمروارة شامة وحفيرا (المصنف)

حَلَفْتُ يَمِينًا غَيْرَ ذِي مَثْنَوِيَّةٍ وَلَا عِلْمَ إِلَّا حُسْنُ ظَنِّ بِصَاحِبِ
لَنْ كَانَ لِلْقَبْرَيْنِ قَبْرٌ يَجْلِقُ وَقَبْرُ بَصِيدَاءَ الَّتِي عِنْدَ حَارِبِ
وَالْحَارِثِ الْجَفْنِيِّ سَيِّدِ قَوْمِهِ لِيَكْتَمَنَّ بِالْجَمْعِ أَرْضَ الْمُحَارِبِ
وَتَقَتْ لَهُ النَّصْرُ إِذْ قِيلَ قَدْ غَزَتْ كِتَابُ مِنْ عَسَانَ غَيْرِ أَشَابِ
إِذَا مَا غَزَوْا بِالْجَيْشِ حَلَقَ فَوْقَهُمْ عَصَائِبُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِعَصَائِبِ
إِلَى أَنْ قَالَ :

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ شَيْوَقَهُمْ بِهِنَ قُلُوبٍ مِنْ قِرَاعِ الْكِتَابِ

جلق : قيل في كتب المعاجم إنها أسم لكورة القوطة ، وقيل : بل هي دمشق نفسها ، قال
حسان بن ثابت رضي الله عنه في جاهليته :

لِلَّهِ دَرَّ عِصَابَةٌ نَادَمَتْهُمْ يَوْمًا يَخْلَقُ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ

وهي مشهورة بهذا الاسم إلى هذا العهد .

صيداء : قال في معجم البلدان ^(١) : تنطق على كل أرض ترتبها أجزاء غليظة الحجارة مستوية
الأرض ، قال الشماخ :

حَذَاهَا مِنَ الصِّيدَاءِ نَعْلًا طَرَقَهَا حَوَامِي الْكِرَاعِ الْمُؤِيدَاتِ الْعِشَاوَزِ

وهي اسم لمدينة عظيمة على ساحل بحر الشام ، من أعمال دمشق ، شرق صور ، بينهما ستة
فراسخ ، قالوا : إنها سميت بصِيدَاءَ لأن أول من اختطها صيدون بن صدقاء بن كنعان بن حام بن
نوح عليه السلام ، وهي باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد .

حارب ^(٢) موضع من أعمال دمشق بخوران قرب مرج الصفر ، من ديار قُضَاعَةَ ، واستدل
صاحب معجم البلدان على هذا الموضع ببيت النابغة ، ولا أعلم أهو باقٍ بهذا الاسم أم قد تغير .

الحارث الجفني الذي ذكره النابغة هو الحارث الأعرج العسائي ، وعلى ذكر البيت الأخير
الذي يقول فيه « وَلَا عَيْبَ إلخ » نقول : ذكروا أن عروة بن الزبير وفد على عبد الملك بن مروان
وقد كُفَّ بصر عروة ، فقال له عبد الملك : أتعرف سيف أخيك عبد الله بن الزبير إن أتيناك به ؟
قال : نعم ، فجاءوه بعشرين سيفاً ووضعت بين يديه ، فقال عبد الملك : أخرج سيف أخيك منها ،
فاندفع يتبعها بيديه ، فوجد سيف أخيه ، فعرفه بمس يديه ، ثم مده إلى عبد الملك بن مروان وقال :

(٢) معجم البلدان ٣ / ١٩٨ .

(١) انظر معجم البلدان ٥ / ٤٠٣ .

هذا سيف أخى ، فقال له : وما يدريك وقد كف بصرى ؟ قال : استدلت عليه بيت النابغة حين قال :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهنّ فلول من قراع الكتائب
فأعجب عبد الملك به ، فقال : صدقت هذا سيف أخيك .

* * *

٧ — وقال النابغة من قصيدة مطلعها :

إِنِّى كَأَنِّى لَدَى الثُّعْمَانِ خَبْرُهُ بَعْضُ الْأَوْدُ حَدِيثًا غَيْرَ مَكْذُوبٍ
إلى أن قال :

تَأْنِي الْجَبَادُ مِنَ الْجَوْلَانِ قَانِطَةً مِنْ بَيْنِ مُنْعَلَةٍ تُرْجَى وَمَحْنُوبٍ
حَتَّى اسْتَعَاثَ بِأَهْلِ الْمَلْحِ مَا طَعِمَتْ فِي مَنَزِلِ طَعْمٍ نَوْمٌ غَيْرَ تَأْوِيلٍ
يَنْضَحْنَ نَضْحَ الْمَزَادِ الْوَفْرِ أَتَاقَهَا شَدُّ الرُّوَاةِ بَمَاءٍ غَيْرِ مَشْرُوبٍ
إلى أن قال :

وَمَا بِمَحْضِنِ نَعَاسٍ إِذْ تَوَرَّقَهُ أَصْوَاتُ حَيٍّ عَلَى الْأَمْرَارِ مَحْرُوبٍ

الجولان : قرية من نواحي الشام من أعمال حوران ، وهى باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد ، ومنهم من قال : إنه موضع فيه مزارع فى وسط جبل ، وقال النابغة فى غير هذه القصيدة :
بكى حارثُ الجولانِ من فقدِ ربه وحورانُ منه موحشٌ متضائل
وجبل الجولان يقال له « حارث » قال حسان بن ثابت :

هبلتُ أمهم وقد هبلتهم يوم راحوا لحارث الجولان

وقال الراعى :

كذا حارث الجولان يبرق دونه دساكر فى أطرافهن بروج

وقال حسان بن ثابت رضى الله عنه من قصيدة له طويلة مطلعها « منع النوم إلخ » . وهى

فى السيرة :

إن خالى خطيبُ جابية الجو لأنّ عندَ الثعمان حين يقومُ

وقال حسان أيضا فى قصيدة له ذكرها صاحب السيرة فى ذكر خير البرية :

منعنا رسول الله إذ حلَّ وسطننا على أنفٍ راضٍ من معدٍ وراغم

منعناه لما حلَّ بين بيوتنا بأسيا فنا من كل باغ وظالم

بيت حريد أصله وثرأوه بحاية الجولان بين الأعاجم
هل المجد إلا السؤدد القوؤ والندي وجاه الملوك واحتمال العظام

وقال الجواس بن القعطل الكلبي يتهدد عبد الملك بن مروان ، ويدكر مواقف قومه معه
يوم مرج راهط لما هزمت كلب جيش ابن الزبير وقتل رئيسه الضحاك بن قيس ، ورئيس أهل
الشام مروان ابن الحكم ، ورئيس كلب حسان بن بحدل خال يزيد بن معاوية ، وأقوى داع لنصرة
كلب لبني أمية هذه المصاهرة ، وهي تزوج معاوية بن أبي سفيان ميسون بنت بحدل أخت حسان
المذكور ، وهي التي تقول لما اختارت البادية على قصور الشام :

ليت تحفق الأرواح فيه أحب إلى من قصر منيف
وقصتها طويلة ، قال الجواس :

أعبد المليك ما شكرت بلاءنا فكل في رخاء الأمن ما أنت آكل
بحاية الجولان لولا ابن بحدل هلكت ، ولم ينطق لقومك قائل
وكنت إذا أشرفت في رأس رامة تضاءلت ، إن الخائف المتضائل
فلما علوت الشام في رأس باذخ من العز لا يطيعه المتسائل
نضحت لنا سجال العداوة معرضا كأنك عما يحدث الدهر غافل
فلو طأوعوني يوم بطنان أسلمت لقيس فزوج منكم ومقاتل

روى عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال : أرواح المؤمنين بالجابية من أرض الشام ، وأرواح
الكفار في برهوت من أرض حضرموت .

وأكثر شعراء غطفان ذكر الملح وذكر المرواة ، قال النابغة * حتى استقامت بأهل الملح *
وقال في هذه القصيدة « أصوات حى على الأسرار محروب » وقال زهير^(١) بن أبي سلمى وهو -
مع كونه مزني النسب - يعد من شعراء غطفان :

ترَبَّصْ فَإِنْ تَقَوَّ المرواة منهم وداراتها لم تقومهم إذا نَحَلْ

المرواة والأملاح التي أكثر شعراء غطفان من ذكرها واقعة في بلاد غطفان ، ولكن في
بلاد العرب ثلاثة مواضع من الأرض لا يستطيع أحد أن يشرب من ماءها ولا أن يطبخ بها زادا ،
ولكن الله اللطيف بعباده جعل للناس بين تلك الأملاح معاذب يستعذب أهل الأملاح منها ، فيهم

(١) قد ذكرنا في صفحة ١٤ من الجزء الأول : أن زهيراً من قيس عيلان لأنه ناشئ في بلاد

غطفان ، ونسبه في مزينة وهم من بنى عمرو بن أد ، من الياس بن مضر . (المصنف)

من يركب جملة بمزادة فيستقي ثم يعود إلى أهله ، وفهم من يبيت ليلة على الماء العذب ، أما المياه المرة في بلاد بني عبد الله بن غطفان فهي واقعة في أعلاها ، وتنقسم سيول تلك الناحية إلى قسمين ؛ فما كان يصبُّ إلى جهة الشرق فهو وادي الرمة ، وما كان يصب منها إلى جهة الغرب فهو يصب في الشعبة التي تصب في وادي الحضر ، وسندكر المياه التي حضرتها أسماؤها ، بعضها لا تسيعه الإبل ، تكظم عليه ثم تمجه ، قال شاعر غطفاني في ماء المرير وقد أوردنا هذا الشاهد :

هذا المرير فاشريه أو ذري إن المرير قطعة من أخضر — أي من بحر
وطرف تلك المياه الجنوبي : ماء الخضارة الواقعة بين الدفينة وعفيف ، وسندكر المتصل بها منها إلى طرف المروارة الشامي ، وشحاذه ، والغنمة ، والسريحيه ، وثرث ، وفج ، وفجيج ، والسليبة ، والبدنة ، والمرير ، والمرة ، وطلال ، والهميج ، وأبومغير ، والمناوية ، وبلعة ، وبعض تلك المياه إذا خرج من الدلوحد ؛ فالسالك من الدفينة إلى عفيف يترك طرفها الجنوبي على شماله ، والسالك من النقرة إلى المدينة يترك طرفها الشامي على شماله ، وهذه كان يقال لها في الجاهلية « مروارة غطفان » وفي الإسلام همج بني عبد الله بن غطفان .

والقطعة الثانية : واقعة في عالية نجد الجنوبية ، معظمها للقطعة جماعة ابن حميد ، يقال لها في هذا العهد « همج المقطة » والواقع منها في جهتها الجنوبية : حناير خالد ، والهمجة ، والأروسة . وحضب ، والكبدى ، والبديعة ، والهنيمية ، ومامون ، ودسمان ، ولقطان ، ولقطين ، والأيسرى ، والبقرة ، وعباب ، والعوجا ، والحفيرة ، وللميسنة ، وسم ساعة ، والطفية ، والرجمة ، والرممية ، وأحسن تلك المياه الهنيمية والبقرة .

والقطعة الثالثة يقال لها « همج الدبول » وسيولها تصب في الركاء ، يحدّها من الشرق جبل العارض الواقع في طرف اليمامة الجنوبي ، وأعلاها قريب جبل الحصاة ، وهي في القطعة الجنوبية الشرقية من نجد ، وهي : بقران ، ولجع ، والوهوى ، وعمق ، والسيح ، والخبراء ، وحنيفة . والهوة ، والحياينة وقنا ، وقنى ، وجفن ضب ، وماوان ، والمنجور ، وحميان ، والجوفاء ، وهذه غير جوفاء الطريق هذه الأمواه الثلاثة من نجد ماؤها مر ، ولكنها من أصلح الأرض للإبل ، والقطعة الأولى لبني عبد الله بن غطفان ، والثانية لبني عامر بن صعصعة ، وقد يكون بعض البطون من عتبية التي تسكنها الآن من بقايا بني عامر بن صعصعة ، والقطعة الثالثة — وهي الجنوبية — تشترك فيها قحطان والدواس .

وإذ ذكرنا الأملاح من المياه فإننا نحب أن نكمل البحث بذكر معادن منح الطعام وغيره ،

وسنبتدى. من شمالى المملكة فنقول : قريات الملح المشهورة ، والسعدان وهو فى بلاد غطفان ، فى مفيض سيل وادى المحانى مما يلى حاذة ، على طرف الحرة فى أرض سبخة ، وبحيرة بين الليث وجدة ، وملح جيزان الواقع فى القطعة الجنوبية من المملكة العربية السعودية ، وملح مران وهو واقع فى صبخا مران ، وملح فى طريق رنية ، فى طريق القاصد لها من نجد . بين العرق وجبل الصاقب ، وملح الخبراء الواقعة فى القطعة الجنوبية من نجد ، وملح الأفلاج فى فيضة شعيب الهدار ، وملح القصب فى شرقى بلدان الوشم ، وملح العوشزية الواقعة شرقى عنيزة ، وملح الشقة فى غربى القصيم من قرى الجواء ، وملح الخاصرة قريب جبل العلم الواقع جنوبى جبل شعلان على مسافة يوم ونصف ، وبعض تلك المواضع يُخَمَل ملحها على الإبل بحبال من غير شئ يمسكه ، كأنه قطع من الحجازة وهو ملح الشقة وملح العوشزية الذى فى جهة القصيم ، وملح الخاصرة ، والملح الذى يكون قريب الصاقب فى القطعة الجنوبية من نجد .

وفى عالية نجد معادن ملح البارود : ملح القهر ، وهو فى الجنوب بين اليمن ونجد ، وملح الشبكة فى شرف نجد بين بلد عروى وبلد الشعري ، وهو من أحسن تلك المعادن ، وملح واسط فى بلد الدوادمي ، وملح خفا قريب ماء القاعية يمر به القاصد إلى مكة من الرياض ، إذا ترك القاعية وراء ظهره فالتفت يمينا رأى هضبة هناك حمراء ، وملح شبيمة بين بلد نفي وكبشان ، وملح الركاء بين دخنة وسواج ، وهو غير وادى الركاء المشهور فى جنوبى نجد ، وملح الجريف قريب بلد الرس وملح العقابة فى حمرة عرض ابنى شمام ، وملح وضاح ، وملح القرى قرى الحرة .

هذا الذى حضرنى اسمه من جميع الأملاح الواقعة فى نجد ، وهذه الأسماء هى أسماءها فى هذا العهد ، ولما ورد ذكر الأملاح فى قصيدتى زهير والنابعة لم أحب إجمالها^(١)

* * *

٨ — وقال النابعة

ظَلَّتْ أَقَاتِينُ أَنْعَامٍ مُؤَبَّلَةً لَدَى صَلَيبٍ عَلَى الزُّورَاءِ مَنْصُوبِ
فَإِذْ وَقَّتِ بِحَمْدِ اللَّهِ شِرَّتَهَا فَانْجَبَى فَزَارَ إِلَى الْأَطْوَادِ قَالُوبِ
وَلَا تُلَاقَى كَمَا لَاقَتْ بَتُوَ أَسَدٍ فَقَدْ أَصَابَتْهُمْ مِنْهُ بِشُؤْبُوبِ

(١) قال المصنف : لما ذكرت الأملاح الواقعة فى بلاد العرب خطر لى أن أذكر المياه العذبة التى كأنها من ماء المزن ، ثم خشيت الإطالة ، غير أنى أذكر أن معظم مياه بلاد العرب عذبة : جبل اليمامة من طرفه الجنوبى إلى طرفه الشمالى أغلب مياهه عذبة ، وجميع جبال نجد أغلب المياه الواقعة فيها عذبة ، والذى دعانا إلى ذكر الأملاح مرورها فى شعر النابعة ، وهى من شروط كتابنا هذا .

الزوراء : في بلاد العرب مواضع كثيرة تسمى بهذا الاسم ، وكذلك في غير بلاد العرب ، فأما الزوراء التي عناها النابغة فهي دار بناها النعمان بن المنذر بالحيرة ، كان يتنزه فيها في بعض الأوقات ، قال النابغة أيضا :

وَأَنْتَ رَبِيعٌ يَنْعَشُ النَّاسَ سَيْبُهُ وَسَيْفٌ أُعِيرَتْهُ الْمَنِيَةُ قَاطِعُ
وَتُسْقَى إِذَا مَا شِئْتَ غَيْرَ مُصَرَّدٍ بَزُورَاءَ فِي أَكْنَافِهَا الْمَسْكُ كَارِعُ

وقول النابغة * لدى صليب على الزوراء منصوب * قال في معجم^(١) البلدان رواية عن الأصمعي : الزوراء هي رصافة هشام بن عبد الملك ، وكانت فيما سبق للنعمان ، وفيها كان يكون ، وإليها كانت تنتهي غنائمه ، وكان عليها صليب لأنه كان نصرانيا ، وكان يسكنها بنو حنيفة ، وكانت أدنى بلاد الشام للشيخ والقيصوم .

الأطواد واللوب . تطلق على الجبال والحِرار ، يقال للجبل « طَوْدٌ » وللحرة « لَابَةٌ » وليسوا موضعين معينين .

* * *

٩ — وقال النابغة :

فَإِنْ تَكُنِ الْفَوَارِسُ يَوْمَ حِسِّي أَصَابُوا مِنْ لُقْيِكَ مَا أَصَابُوا
فَمَا إِنْ كَانَ مِنْ نَسَبٍ بَعِيدٍ وَلَكِنْ أَذَرَ كُوكَ وَهُمْ غَضَابُ
وَلَمْ تَرَ مِثْلَ جَمْعِ بَنِي عَدِيٍّ غَدَاةَ الْحِسِّي إِذْ حَمَى الضَّرَابُ

الحِسي : أ كثر شعاء غطفان من ذكره ، وقد مضى الكلام عليه في أشعار زهير ، وهو موجود بهذا الاسم إلى هذا اليوم ، يقال له اليوم « حسي علياء » وكانت به وقعة عظيمة في الجاهلية كات ابني بغيض على بني عامر بن صَمْعَةَ ، قتل فيها حَنْظَلَةُ بن الطفيل أخو عامر بن الطفيل ، وفي هذه الوقعة يقول النابغة يخاطب عامر بن الطفيل :

فَإِنْ يَكُ عَامِرٌ قَدْ قَالَ جَهْلًا فَإِنْ مَظَنَّةُ الْجَهْلِ السَّبَابُ^(٢)
فَكُنْ كَأَيِّكَ أَوْ كَأَبِي بَرَاءٍ تَوَافَقَتْ الْحُكُومَةُ وَالصَّوَابُ
فَإِنَّكَ سَوْفَ تَحْكُمُ أَوْ تَنَاهَى إِذَا مَا شِئْتَ أَوْ شَابَ الْغَرَابُ
وَلَا تَذْهَبْ بِقَوْلِكَ طَامِيَاتٍ مِنْ الْخِيَلَاءِ لَيْسَ لَهُنَّ بَابُ

* * *

(١) انظر معجم البلدان ٤ / ٤١٣

(٢) ويروى * فإن مطية الجهل الشباب *

(٣ - صحيح الأخبار ٢)

١٠ — وقال النابغة :

أَرْسَمًا جَدِيدًا مِنْ سُمَاعَدَ تَجَنَّبُ عَفَتْ رَوْضَةَ الْأَجْدَادِ مِنْهَا فَيَثْقُبُ
عَفَا آيَهُ رِيحُ الْجَنُوبِ مَعَ الصَّبَا وَأَسْحَمُ دَانٍ مُزْنُهُ مُتَصَوِّبُ

إلى أن قال :

رَعَى الرَّوْضَ حَتَّى نَشَتْ الْغُدْرُ وَالْتَوَتْ بِدِخْلَانِهَا قِيَعَانُ شَرْجٍ وَأُهَيْبُ^(١)

روضة الأجداد : معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد ، تبعد عن بلد قصيبة مسافة يوم ونصف ما يلي جنوبها الغربي ، قال مرداس بن حشيش التغلبي^(٢) :

إِنِّ الدِّيارَ بِروضة الأجداد عَفَتْ سَوَارٍ رَسَمَهَا وَغَوَادُ
مِنْ كُلِّ سَارِيَةٍ وَغَادٍ مُدَجِّنٍ حَنْقِ الْبَوَارِقِ مُونِقِ الرَوَادِ

وكانت روضة الأجداد المذكورة تتربع فيها بطون من بني عبس و بطون من بني أسد . وهي واقعة بين القبيلتين : بين غطفان و بني أسد . وهي الفاصل بينهما . قال صاحب معجم البلدان^(٣) : قال الهيثم بن عدي : خرج عروة الصعاليك العبسي وأصحابه إلى خير يمتارون منها ، فعشروا ، وهم يرون أنهم إذا خافوا وباء مدينة وأرادوا دخولها وقفوا على بابها وعشروا كما تعشر الحير ، والتعشير : نهاق الحير ؛ فيرون أنه يصرف عنهم وباءها . قال : فعشروا خوفا من وباء خير ، وأبى عروة أن يعشر ، وهذا التعشير ذكرته لهم يهود خير تهكبا بالعرب ؛ فقال عروة :

وَقَالُوا اجْبُ وَانْهَقْ لَا تَضْرِكْ خَيْرَ وَذَلِكَ مِنْ دِينِ الْيَهُودِ وَلَوْعُ
لَعَمْرِي لَئِنْ عَشَّرْتُ مِنْ خَشْيَةِ الرَّدَى نَهَقَ الْحَيْرَ إِنِّي أَجْزَوْعُ
فَلَا وَالَّتِ تِلْكَ النَّفُوسُ وَلَا أَنْتَ عَلَى رَوْضَةِ الْأَجْدَادِ وَهِيَ جَمِيعُ
فَكَيْفَ وَقَدْ ذَكَّيْتُ وَاشْتَدَّ جَانِبِي سُلَيْمِي وَعَنْدِي سَامِعٌ وَمُطِيعُ
لِسَانٌ وَسَيْفٌ صَارُمٌ وَحَفِيفَةٌ وَرَأَى لَأَرَاءَ الرِّجَالِ صَرُوعُ
تُخَوِّفُنِي رَيْبَ الْمُنُونِ وَقَدْ مَضَى لَنَا سَلَفٌ قَيْسٌ مَعًا وَرَبِيعُ

يشير إلى قيس بن زهير رئيس عبس ، والربيع بن زياد العبسي . قال : فدخلوا وامتازوا ورجعوا

فلما بلغوا إلى روضة الأجداد ماتوا إلا عروة .

يثقب : أ كثر الشراء من ذكره ، وأنا لا أعرفه بهذا الاسم في هذا العهد .

يثقب

(١) في الديوان « والتوت بدجلاتها » (٢ ، ٣) معجم البلدان ٤ / ٣٠٩ .

أما شرح^(١) فكل وادٍ يصب منه الماء يقال له شرح . والشرح : مجارى المياه من الحرار إلى السهل ، واحدها شرح . فأما شرح الذى عناه النابغة فهو موضع بعينه شرق بلاد غطفان قريب الأجر ، داخل فى بلاد بنى أسد ، يسمى شرحا فى هذا العهد أيضا ، وبهذا الموضع ماء عذب ، قال الراجز :

أَنْهَلْتُ مِنْ شَرْجٍ فَمِنْ يِعْلُ يَا شَرْجُ لَفَاءَ عَلَيْكَ الظِّلُّ
* فى قَعْرِ شَرْجٍ حَجَرٌ يَصِلُ *

وقالت امرأة من كلب :

سقى الله المنازلَ بين شرح وبين نواظرٍ ديمًا رَهَامًا
وأوساط الشقيق شقيق عبس سقى رَبِّي أَجَارِعَهَا أَلْغَمَامًا
فلو كُنَّا نَطَاعُ إِذَا أَمَرْنَا أَطَاعْنَا فى ديارهمُ الْمُقَامَا

ونواظر التى قرنتها بشرج : أ كتبة مرتسكة لاتزال إلى هذا العهد تعرف بهذا الاسم ، وهى واقعة بين النجاج وزرود يقال لها نواظر . وأما شقيق عبس التى قرنتها بهما فإنها موجودة إلى هذا العهد ويقال لها اليوم « الشقق » وهى فى بلاد غطفان من قرى الجواء ، مفردها شقة ، وقال حنين ابن مطير الأسدى :

عَرَفْتُ مَنَازِلًا بِشُعَابِ شَرْجٍ فحِينْتُ الْمَنَازِلَ وَالشُّعَابَا
مَنَازِلَ هَيَّجَتْ لِلْقَلْبِ شَوْقًا وَلِلْعَيْنَيْنِ دَمْعًا وَاسْتِثَابَا

وأيهب : أ كثرت ذكره الشعراء من بنى أسد ومن غطفان ، ولا أشك أنه واقع فى بلادهم ، وأنا لا أعرفه .

* * *

١١ — وقال النابغة :

فَرَّاحٌ يُرِيدُ الْعَيْنَ عَيْنَ مُتَالِجٍ يَوْمُ بَنَاتِ الْأَخْدَرِيِّ وَيَقْطُبُ
إِذَا هَبَّ طَا سَهْلًا أَنْارَ عَجَاجَةٍ كَانَ بِهِ مِنْهَا مُلَاءٌ يُنْصَبُ

متالع : جبل قريب حى ضرية ، وفى جهة الأحساء جبل كان يقال له فى الجاهلية « متالع » وثمة جبل فى بلاد غطفان يقال له « متالع » ولا أعلم جبلا بهذا الاسم فى هذا العهد . وإليك روايات صاحب المعجم عنه^(٢) . قال الأصمى : متالع جبل بنجد ، وفيه عين يقال لها الخراة ، وهو الذى

(٢) معجم البلدان ٧ / ٣٨٠ .

(١) معجم البلدان ٥ / ٢٥٠ .

يقول فيه صدقة بن نافع العميلي ، وكان بالجزيرة :

أرقتُ بحران الجزيرة مَوْهِنًا لَبَزْتُ بَدَا لِي نَاصِبٌ مَتَعَلٍ
بَدَا مِثْلُ تَلْمَاعِ الْفَتَاةِ بِكِفْهَها وَمِنْ دُونِهِ نَأَى وَعَبْرُ قَلَالٍ
فَبْتُ كَأَنَّ الْعَيْنَ تُكْحَلُ فَلَفَلَا وَبِى عَسَ حُجَّى بَيْنَ وَمَلَالٍ^(١)
فَهَلْ يَرْجَعُنَّ عَيْشٌ مَضَى لِسَبِيلِهِ وَأُظْلَلُ سَدْرٍ تَالَعٍ وَسَيَالٍ
وَهَلْ تَرْجَعْنَ أَيَّامُنَا بِمَتَالَعٍ وَشَرِبَ بِأَوْشَالٍ لَهْنٌ ظَلَالٍ
وَبِيضٌ كَأَمْثَالِ الْمَهَى يَسْتَيْنِنَا بِقِيلٍ وَمَا مَعَ قِيلِهِنَّ فَعَالٍ

ومتالع : جبل بناحية البحرين بين السوداء والأحساء ، وفي سفح هذا الجبل عين يسيح ماؤها يقال لها « عين متالع » ولذلك قال ذو الرمة :

نَحَاها لثَاجَ نَحْوِهِ ثُمَّ إِنَّهُ تَوَخَّى بِهَا الْعَيْنِينَ عَيْنِيْ مَتَالَعٍ

قال الحفصى : وهو جبل وعنده ماء ، وهو لبني مالك بن سعد ، وقيل : متالع جبل لغنى . وقال الزمخشري : متالع لبني عميلة ، قال صدقة بن نافع العميلي :

وَهَلْ تَرْجَعْنَ أَيَّامُنَا بِمَتَالَعٍ وَشَرِبَ بِأَوْشَالٍ لَهْنٌ ظَلَالُ
وَقَالَ السَّكُونِيُّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ : متالع : ماء شرقي الظهران عند الفوارة ، وقال كثير :
بَكَى سَائِبٌ لَمَّا رَأَى رَمْلَ عَالِجٍ أَتَى دُونَهُ وَالْمُضْبَبَ هَضْبِ مَتَالَعٍ
بَكَى إِنَّهُ سَهُوُ الدَّمْعِ كَمَا بَكَى عَشِيَّةَ جَاوِزَنَا نَجَادِ الْبَدَائِعِ

* * *

١٢ — وقال النابغة :

فَمَا جَادَلْتُمَا بِقِيَادِ خَيْلٍ يَصُونُ الْوَرْدُ مِنْهَا وَالْكَمَيْتُ
إِلَى ذُبْيَانَ حَتَّى صَبَّحَتْهُمْ وَدُونَهُمُ الرَّبَائِعُ وَالْخُمَيْتُ

الربائع : هضبات^(٢) تحرف في بلاد بني أسد ، منقطعة عن جبل الغيار كأنها منه . ويقال لها اليوم « الروابع » وهى لاتبعد عن جبل التين . وجبل التين يقال له اليوم « تين » تراه إذا كنت قريب الجبل المسمى « حبش » ومائة الخوة لاتبعد عن جميع تلك المواضع . وقد أكثر الشعراء من ذكر تلك المواضع . وفي ذكر الربائع المذكورة يقول الراجز :

الربائع

(١) الآيات الأربعة الأخيرة مرفوعة القوافى على الإقواء فى البيتین الأولین .

(٢) انظر معجم البلدان ٤ / ٢٢١ .

وبين خَوَيْنَ زقاقٍ واسعٍ زقاقُ بين التين والرابع
وقالت امرأة من بني أسد وقد أوردنا هذه الأبيات شاهدا على غمار، ولكننا أعدناها هنا لأنها
ذكرت فيها الرابع :

لعمرك للغمَزان غمرا مقلد فذو نجب غلَّانُه ودوافعه
وخَوَّ إذا خو سفته ذهابُه وأمرع منه تينه ورباعه
أحبُّ إلينا من فراريج قرية تزاقى ومن حى تنقُ صفادعه

والخوة وسيمراء منهلان ، وحشى والرابع وغمار وتين جبال ، وتلك المواضع في بلاد بني أسد .
أما الخبيت فهو تصغير الخبت ، وأصل الخبت المنخفض من الأرض ، وقال أهل اللغة : إنه
يطلق على كل منخفض سواء أكان رملا أم حزنا . والخبوت كثيرة ، ولا أعرف موضعا يقال له
« الخبت » في هذا العهد . وبين مكة والمدينة موضع يقال له « خبت الجيش » وبين مكة والمدينة
موضع آخر يقال له « خبت البزوا » وخبت : من قرى زيد باليمن ، وظنى أن الخبت الذى ذكره
الناطقة مصفرا قريب الرابع الواقعة في بلاد بني أسد ؛ لأنه عطف الخبت عليها

* * *

١٣ — وقال النابغة :

كَأَنَّ الطُّغْمَنَ حِينَ طَفَّوْنَ ظُهُرًا سَفِينُ الْبَحْرِ يَمَّمَنَّ الْقَرَارَحَا
قَفَا قَتَبَيْنَا أَعْرَيْنَتْنَا تَوَخَّى الْحَيُّ أَمَ أُمُو لُبَاخَا
كَأَنَّ عَلَى الْحُدُوجِ نِمَاجَ رَمَلٍ زَهَاهَا الذُّعْرُ أَوْ سَمِعَتْ صِيَاخَا
أما عريتنا فقد مضى الكلام عليها .

عريتنا

ولباح : لم أسمع لها ذكرا ، ولا أعرفه بهذا الاسم في هذا العهد . قال صاحب المعجم ^(١) :
هو موضع في قول النابغة ، يريد هذا البيت ، ولم يزد على ذلك . وفي غامد بلد يقال لها « الباحة »
تتبع مقاطعة بلد الطفير بين أعلى وادى تربة ووادى بيشة . ولا أعرف غير تلك القرية باسم
يقارب هذا الاسم .

* * *

١٤ — وقال النابغة ، وهو مطلع قصيدة له يمدح فيها النعمان بن وائل بن الجلاح الكلبي ،
وقد أغار على بنى ذبيان وأخذ وسبى ، وكان في السبايا عقرب بنت النابغة ، فسألها من أبوها ؟

(١) انظر معجم البلدان ٧ / ٣١٨

فقلت : النابغة الذبياني ، فقال : قد وهبتك لأهلك ، وهبت هؤلاء السبايا لك . فزود السبايا وكسأهنَّ ورجعنَّ إلى بني ذبيان ؛ فمدحه النابغة بعد ذلك ، وليس من شرط كتابنا هذا إلا ذكر المواضع :

أَهَاجَكَ مِنْ سَعْدَاكَ مَعْنَى الْمَتَاهِدِ بِرَوْضَةٍ نَعْمَى فَذَاتِ الْأَسَاوِدِ
تَعَاوَرُهَا الْأَرْوَاحُ يَنْسِفْنَ زُرْبَهَا وَكُلُّ مُلْتٍ ذِي أَهَاضِيبٍ رَاعِدِ
بِهَا كُلُّ ذِيَالٍ وَخَنَسَاءَ تَرْعَوِي إِلَى كُلِّ رَجَافٍ مِنَ الرَّمْلِ فَارِدِ

روضة نعمى : قد مضى الكلام على وادى النعيم في قصائد امرئ القيس . وقد مضى ذكر « الأنعم » بالتصغير ، وهذه الروضة لا تكون إلا من رياضه ، وهو واقع في عالية نجد .
ذات الأساود فأن ثمة موضعين بهذا الاسم قريب تلك الروضة ، وهى « جبال الأسود » الواقعة بين جبل ثبلان وكثيب رحمة . ومنهم من يقول « رححات » وفى جبال الأسود ماء يقال لها « مليه » وهى من الآبار القديمة ، ورححات المذكورة غير رمح الواقعة فى الشمال الشرقى لبلد أشقير ، وهى التى يقول فيها ناهض بن ثومه ^(١) وقد ثناها على عادتهم فى ذلك :

فما العهد من أسماء إلا محلة كما خُطَّ فى ظهر الأديم الرواقشُ
برحمن أو بالْمُنْحَنَى دَبَّ فَوْقَهَا سَقَا الرِّيحِ أَوْ جَزَعَ مِنَ السَّيْلِ خَادَشُ

المنحنى : هو وادى أشقير ، ورحمان معروفان بقريب من هذا الاسم إلى هذا العهد ، وينتهى سيل المنحنى إلى روضة رحمن ، أما الموضع الثانى فهو « جبال السودة » التى تمتد من قريب ذقانين ، وتندفع إلى جهة الشرق الجنوبى ، وتقف عند جبل صاحة التى مر ذكرها فى أشعار امرئ القيس ؛ والنعيم والأسودة كلها باقية بهذه الأسماء إلى هذا العهد .

* * *

١٥ — وقال النابغة :

بِأَعَامٍ لَا أَعْرِفُكَ تُفَكِّرُ سِنَّةً بَعْدَ الَّذِينَ تَتَابَعُوا بِالْمَرْصَدِ
لَوْ عَايَنَتُكَ كَمَا تُنَا بِطَوَالَةِ وَالْحُزُورِيَّةِ أَوْ بِالْإِيَةِ ضَرْغَدِ
لَثَوَيْتَ فى قَدِّ هُنَالِكَ مُوثَقًا فى الْقَوْمِ أَوْ لَثَوَيْتَ غَيْرَ مُوسَدِ

طَوَالَة : فى عالية نجد ، وهى جبل يقال له اليوم « الأطولة » واقع بين سجا وحماه وبين الجنوبى من أجيلة النير ، قال الخطيئة ^(٢) :

(٢) انظر معجم البلدان ٦ / ٦٥

(١) معجم ياقوت ٤ / ٢٨٥

وفي كل مُنَمَسَى لَيْلَةٍ وَمُعَرَّسٍ خيالٌ يوافي الركب من أم مَعْبَدٍ
فَحْيَاكَ وَدُّ ، ما هداك لفتيةٍ وخصوصٍ بأعلى ذى طَوَّالَةٍ هَجْدٍ ؟

وقال الشماخ :

كَلَّا يَوْمَئِذٍ طَوَّالَةٌ وَصَلُ أُرْوَى ظَنُونٌ ، أَنَّ مُطَرَّحُ الظنونِ
وفي طَوَّالَةٍ يوم من أيام العرب .

الحزورية : ماء تُعَدُّ من أملاح غَطَفَانٍ ، ولكن اسمها قد تغير الآن فصار في هذا العهد
« حزره » إذا سلكت الشعبة مُعَرَّباً أثبت على ثرب ، ثم فج ، ثم فحيج ، ثم حزره ، ثم النعيرية
وعندها جبيلات صغار يقال لها « الحزورية » .

أما لابة ضرغد فقد مضى الكلام عليها في كتابنا هذا ، وهى معروفة بهذا الاسم إلى هذا
العهد « ضرغد » موضع به زروع ونخيل وسكان ، وعنده لابة عظيمة ، إذا دخلها الجاني لم يُقَدَّر
عليه واقع في بلاد بنى أسد ، وهو الفاصل بينها وبين بلاد طى .

* * *

١٦ — وقال النابغة :

نُبِثْتُ زُرْعَةً وَالسَّفَاهَةَ كَأَسْمِهَا يَهْدِي إِلَى غَرَائِبِ الْأَشْعَارِ
فَحَلَفْتُ يَا زُرْعَ بْنَ عَمْرِو إِنِّي رَجُلٌ يَشُقُّ عَلَى الْعَدُوِّ ضِرَارِي
أَرَأَيْتَ يَوْمَ عُكَاظٍ حِينَ لَقَيْتَنِي تَحْتَ الْمَجَاجِ فَمَا شَقَّقْتَ غُبَارِي
إِنَّا أَقْتَسَمْنَا خُطَّتَيْنَا بَيْنَنَا فَحَمَلْتُ بَرَّةً وَاحْتَمَلْتُ فَجَارِ

عكاظ : قد أكثر أهل المعاجم وأهل اللغة من ذكره وتحديدده ، واختلفوا ، وأحسن كلام
ذكره الذين تعرضوا لتحديدده كلامُ عالمٍ يقال له الرداعى ، يمانى ، ذكر ذلك فى قصيدة له ذكر
فيها المواضع التى يمر بها السالك من صنعاء حتى يدخل مكة . وذكر الهمدانى القصيدة فى كتابه
صفة جزيرة العرب ، ومن قول الرفاعى فى أرجوزته :

حتى إذا استسهنن من كلالح وأوقع ذى الخمض والسباح
وأسهلت فى البطن من عكاظٍ وسيرها فى زاجر كظاظٍ
وخلفت قرآن ذا المناقب وشرباً فى جنح ليلٍ واقب

فقران الذى ذكره : ثنايا السيل الصغير وما حولها ، ولا يزال يقال لها « قران » إلى هذا العهد ،
وهناك وادٍ يقال له « قران » إلى هذا العهد أيضاً يقع شمال مطار الحوية وسيلُهُ يصب فى العقيق .

وهذا من أقوى الدلائل على أن عكاظا في وادي شرب في مفيضه ، وما يدل على ذلك أيضا قولُ السكيت بن زيد الأسدي :

وفي الحَنيفَةِ فاسأل عن مَنَازِلِهِمُ بالمسجدين ومَلَقَى الرّحل من شرب
المسجدين : حَرَمَ المدينة وحرم مكة ، وملقى الرّحل من شرب : سوق عكاظ الذي تُلقَى فيه
العربُ رحالها ، أما موضع عكاظ^(١) اليوم فحدوده الشمالية قريب المطار الواقع قريب وادي الحوية ،
 وحدوده الجنوبية العبلَاء ، وعند العبلَاء كان اليَوْمُ الثاني من أيام الفِجَار ، وقال خدّاش بن زهير^(٢) :
ألم يبلغكم أنا جَدَعْنَا لدى العبلَاء خندف في القياد
ضربناهم ببطن عكاظ حتى تولوا طالعين من النجاد
وقال خدّاش^(٣) أيضا :

ألم يبلغك بالعبلَاء أَنَا ضربنا خندفًا حتى استقادوا
نَبَّئِي بالمنازل عز قيس وودُّوا لو تَسِيخُ بنا البلاد
وعكاظ : واقع أسفل وادي شرب ، وقد غلط من قال : إنه السيل الصغير أو داخل الريعان ،
والصحيح أن موضعه هو الذي ذكرناه ؛ لأنه موضع يتسع لاجتماع الناس ، وبه آثار ومياه عذبة ،
والأرجوزة التي أشرنا إليها في تحديده قيلت منذ ثمان مائة سنة تقريباً .

* * *

١٧ — وقال النابغة في هذه الرائية :

وَبَنُو جَدِيْمَةٍ حَتَّى صِدْقِ سَادَةٍ غَلَبُوا عَلَى خَبْتٍ إِلَى تَعْشَارِ
خبت وتعشار : ما آن لكلب ، وقد مضى الكلام على خبت مصغراً في الكلام على
بيت النابغة الذي يقول فيه :

إلى ذُبْيَانٍ حَتَّى صَبَّحْتَهُمْ ودونهمُ الرابع والخميس

* * *

١٨ — وقال النابغة في هذه الرائية أيضاً :

حَوْلِي بَنُو دُودَانَ لَا يَعْصُونِي وَبَنُو بَغِيضٍ كُلُّهُمْ أَنْصَارِي

(١) عكاظ بعد اكتشافنا الأخير يبعد عن المطار عشرة كيلو مترات من جهته الشرقية وسنذكر
اكتشافنا له برمه في آخر هذا الكتاب . (٢) انظر معجم ما استعجم ٩٩١ ومعجم البلدان ١١٣/٦
(٣) انظر معجم البلدان ١١٤/٦

زَيْدُ بْنُ بَدْرٍ حَاضِرٌ بِعُرَاعِرٍ وَعَلَى كُنَيْبٍ مَالِكُ بْنُ حِمَارٍ
وَعَلَى الرُّمَيْثَةِ مِنْ سُكَيْنٍ حُضْرٌ وَعَلَى الدُّثَيْنَةِ مِنْ بَنِي سَيَّارٍ

عُرَاعِر : ماءة في الهضب ، لا تزال تعرف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وقد مضى الكلام عليها في رائية امرئ القيس .

كُنَيْب : لم أجد في بلاد العرب موضعا بهذا الاسم ^(١) ، وهناك موضعان : أحدهما كتيبة ، بالثاء كذيب وآخره هاء ، والآخر : كتيب بالثاء المثلثة ، فأما كتيبة : فخصن من حصون خير ، ذكر في المغازي ^(٢) قال : لما قُسمت خير كان القُسم على نطاة والشق والكتيبة ، فكانت نطاة والشق في سهم المسلمين ، وكانت الكتيبة خمسَ الله وسهم النبي صلى الله عليه وسلم وسهم ذوى القربى واليتامى والمساكين وطعم أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وطعم رجال مشوا بين رسول الله وبين أهل فدك بالصلح ، ووقع في كتاب الأموال لأبى عبيد « كتيبة » بالثاء المثثة ، والموضع الثانى الذى بالثاء ذكره صاحب معجم البلدان ^(٣) فقال : الكتيب - بلفظ الكتيب من الرمل - قريتان في البحرين ، يقال : الكتيب الأكبر ، والكتيب الأصغر ، والذى عناه الشاعر هو الموضع الواقع في خير .

أما الرميثة فقد مضى الكلام عليها في كتابنا هذا ، وأوضحنا أن هذا الاسم يطلق على وادى الرميثى الذى يصب من شمال جبل النير ويختلط سيله بسيل وادى غثاة ، وهو باقى بهذا الاسم إلى هذا العهد .

الدثينة : يذكرها العرب كثيرا في أشعارهم ، غير أن منهم من يذكرها بالفاء ، ومنهم من يذكرها بالثاء ، فأما الدثينة المشهورة فهو المنهل المشهور المعروف بين المويه وعفيف والذى يحاوره جبل الخلال ، وقد سألت في هذا العام رجلا من بنى سليم ، فقلت له : هل عندكم ماءة يقال لها الدثينة ؟ قال : نعم هى باقية في بلادنا بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهى الحد الفاصل في بلادنا بين الحجاز ونجد ، فصح أن هناك موضعين ؛ فمن ذكره بالفاء فإنما قصد المنهل الواقع على الطريق بين المويه وعفيف ، ومن ذكره بالثاء فإنما يقصد المكان الواقع في بلاد بنى سليم .

* * *

(١) ذكر ياقوت (معجم البلدان ٧ / ٢٨٧) أن كنييا - بضم الكاف وفتح النون - موضع في ديار فرارة لبنى شيخ منهم ، واستشهد له بيت النابغة هذا (٢) انظر معجم البلدان ٧ / ٢١٧ .
(٣) انظر معجم البلدان ٧ / ٢١٩ وعبارته « الكتيب : قرية لبنى محارب بن عمرو بن وداعة من عبد القيس ، بالبحرين »

١٩ — وقال النابغة في آخر هذه الرائية :

إِنَّ الرُّمَيْثَةَ مَا نَعِ أَرْمَأُحُنَا مَا كَانَ مِنْ سَحَمٍ بِهَا وَصَفَارِ
السَّحَمِ وَالصَّفَارِ نَبَاتٌ مَعْرُوفٌ ، وَأَمَّا الرَّمِيثَةُ فَهِيَ كَمَا ذَكَرْنَا .

قال مصنف هذا الكتاب : لقيني في بلادنا ذات غسل من الوشم قومٌ من المقطة من جماعة ابن حميد ، ومعهم امرأة يقال لها رُمَيْثَةٌ ، فسألت أهلها : ما السبب لتسميتكم هذه المرأة رميثة ؟ قالوا : ولدت في وادي الرميثي ، ونحن فاطنون على مائه ، فسميناها باسم ذلك الموضع الذي ولدت فيه ، وقد مضى الكلام على تحديده .

* * *

٢٠ — وقال النابغة :

يَوْمًا حَلِيمَةً كَانَا مِنْ قَدِيمِ وَعَيْنٌ بَاغٍ فَكَانَ الْأَمْرُ مَا أَتَمَرَا
يَا قَوْمِ إِنْ أَبْنِ هِنْدٍ غَيْرُ تَارِكِكُمْ فَلَا تَسْكُونُوا لِأَذْنِي وَقَعَةٍ جَزَرَا

يوم حليلة : يومٌ عظيم من أيام العرب ، وحليمة : هي بنت الحارث الغساني ، واليوم المذكور بين الغسانيين ملوك الشام ، والحميين ملوك الحيرة ، قتل في ذلك اليوم المنذر بن المنذر بن امرئ القيس اللخمي .

عين أباغ : قال أبو الحسين التميمي النسابة : كانت منازل إياد بن نزار بعين أباغ : رجل من العالقة ، قال أبو نواس ^(١) :

فَمَا نَجِدُ بِالْمَاءِ حَتَّى رَأَيْتَهَا مَعَ الشَّمْسِ فِي عَيْنِ أَبَاغٍ تَغُورُ
وَعَيْنُ أَبَاغٍ لَيْسَتْ بِعَيْنِ مَاءٍ ، وَإِنَّمَا هِيَ اسْمُ لَوْدٍ وَرَاءَ الْأَنْبَارِ ، عَلَى طَرِيقِ الْفَرَاتِ إِلَى الشَّامِ
يَقَالُ لَهُ « عَيْنُ أَبَاغٍ » مَعْرُوفٌ بِهَذَا الْأَسْمِ إِلَى هَذَا الْعَهْدِ .

* * *

٢١ — وقال النابغة في مطلع قصيدة :

بِحَالَةٍ أَوْ مَاءِ الذَّنَابَةِ أَوْ سِوَى مِظَنَّةِ كَلْبٍ أَوْ مِيَاهِ الْمَوَاطِرِ
إِلَى أَنْ قَالَ :

تَظَلُّ الْإِمَاءُ يَبْتَدِرُونَ قَرِيحَهَا كَمَا ابْتَدَرَتْ سَعْدُ مِيَاهَ قُرَاقِرِ

أَتَطْمَعُ فِي وَادِي الْقَرْيِ وَجَنَابِهِ وَقَدْ سَمَعُوا مِنْهُ جَمِيعَ الْمَعَاشِيرِ
قال مصنف هذا الكتاب : أحب أن أزيل الشك عن قارىء هذه الأبيات ، فأذكر له أن خالة والذئابة
خالة التي ذكرها النابغة والذئابة ليست بخال الدفينة ولا ذئابتها المجاورة لها ، بل تلك المواضع واقعة في
مفاوز بلاد كلب ، وهي معروفة بهذه الأسماء إلى اليوم ، ودليل ذلك أنه قرن خالة والذئابة بسوى
وقراقر ، وجميع هذه المواضع متصل بعضها ببعض في بلاد كلب ، قال في الفتوحات : لما عزم خالد
ابن الوليد على التوجه من العراق إلى جهة الشام ، وذلك في سنة اثنتي عشرة في أيام أبي بكر
الصادق - رضى الله عنه ! - قيل له : إنها مفاوز لا يحيزها إلا دليل خريث ، فسأل عن الدليل ،
فذكر له رافع الطائي ، فجىء به إليه ، وسأله فقال : أتعرف هذه المفاوز ؟ قال : قطعها مع أبي وأنا
غلام من ثلاثين سنة ، فقال : هل تعرفها ؟ فقال : نعم ، هذه العبارة قصتها طويلة ، فلما مشى
بأسلمين وجعته عيناه ، وهو في عرض المسافة ، وكان يسأل غلاما له عن العلامات ، وكلما ذكر له
علامة قال : اجعلها عن يمينك ، أو اجعلها عن شمالك ، حتى ورد الماء ، فقال الشاعر يمدحه :

لله در رافع قد اهتمدى فوز من قراقر إلى سوى
خمساً إذا ما سارها الجبس^(١) بكى ما سارها من قبله إنس يرى

وسوى مقصورة ، ومدها عبيد الله بن قيس الرقيات لضرورة الشعر ، فقال :

وَسَوَاءٌ وَقَرِيتَانِ وَعَيْنُ السَّمَرِ خَرَقَتْ يَكُلُّ فِيهِ الْبَعِيرُ

وذئابة ، وخالة ، وسوى . وقراقر . كلها في بلاد كلب ، وقراقر قريب ذى قار .

وادي القرى : معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهو وادٍ عظيم كثير المياه والنخيل ، له وادي القري
ذكر في المغازي ، وفي كتاب الفتوحات أنه بين تيمولك والمدينة ، مر عليه رسول الله صلى الله عليه
وسلم في غزوة تبوك .

* * *

٢٢ — وقال النابغة :

كَأَنَّ الرِّحْلَ مِنْهَا فَوْقَ ذِي جُدَدٍ ذَبَّ الرِّيَادِ إِلَى الْأَشْبَاحِ نَظْمَارِ
مُطَرِّدٍ أَفْرَدَتْ عَنْهُ حَلَالِلُهُ مِنْ وَخْشٍ وَجَرَّةٍ أَوْ مِنْ وَخْشِ ذِي قَارِ

وجرة : قد مضى الكلام عليها في أشعار زهير ، وقد مضى الكلام على « ذى قار » في وجرة

(١) « الجبس » - بالكسر - الجامد الثقيل الروح ، والفاسق ، والجبان ، واللئيم ، ووقع في

معجم البلدان ٧ / ٤٤ « الجيش » محرفاً عما ذكرته ، وقد أوردها على الصواب في ٥ / ١٥٧

ذكر الوقعة المشهورة بين العرب والغجم .

* * *

٢٣ — وقال النابغة :

كَتَمْتُكَ لَيْلًا بِالْجُمُومِينَ سَاهِرًا وَهَمَّيْنِي هَمًّا مُسْتَكِنًا وَظَاهِرًا
أَحَادِيثَ نَفْسٍ أَشْتَكِي مَا يَرِيهَا وَوَرَدَ هُمُومَ لَنْ يَجِدَنَّ مَصَادِرًا

الجمومين

الجمومين : أعلم موضعاً يُنْسَك الماء في جهة الحجره ، بين لينة وحدود العراق ، يقال لهذا الموضع « الجماء » تصغير الجماء ، وظنى أن هذا الموضع هو الذى عناه الشاعر ، والجموم : عين جارية عليها زروع وغروس ، وهى في مر الظهران الذى يقال له اليوم « وادى فاطمة » وأعرف قريب المدينة هضبة يقال لها « الجا » ، والجا والجموم باقيان باسميهما إلى هذا العهد . وأم الجماجم : منهل معروف في جبل مجزّل يُعَدُّ من مياه البطين التى يقال لها البطينيات ؛ وهذه المياه هى : أم الجماجم المذكورة ، والدجاني ، والقاعية ، والأرطاوية ، وأم جريف ، وجراب ، جميع هذه المناهل يقال لها البطينيات ، فأما منهل الأرطاوية فقد عمر في هذا الوقت الأخير ، سكنته مطير ورئيسهم الدويش قال في معجم البلدان ^(١) : ذو جُحَاجِم من مياه العمق على مسيرة يوم منه ، وقال صاحب معجم البلدان في كلامه على جماء المدينة : ^(٢) : وفي كتاب أبي الحسن المهلبى : الجماء اسم هضبة سوداء قال : وهما جهاوان ، يعنى هضبتين عن يمين الطريق للسالك من المدينة إلى مكة ، قال حسان بن ثابت رضى الله عنه :

وكان بأكناف العقيق ويديه يحطُّ من الجماء ركنًا ململمًا

وفي كتاب أحمد بن محمد الهمداني : الجموات ثلاث بالمدينة ، فمنها « جماء تُضَارِع » التى تسيل إلى قصر أم عامر وبئر عروة وما والى ذلك ، وفيها يقول أحيحة بن الجلاح :

إِنِّي وَاللَّشْعَرِ الْحَرَامِ حَجَّتُ قَرِيشَ لَهُ وَمَا نَحَرُوا
لَا أَخْذُ الْخُطَّةَ الدِّيَّةَ مَا دَامَ يَرَى مِنْ تَضَارِعِ حَجَرِ

ومنه مكن الجماء ، وفيه يقول سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت :

عفا مكن الجماء من أم عامر فسَلَعُ عفا منها فَحَرَّةٌ واقم

ثم الجماء الثانية « جماء أم خالد » التى تسيل على قصر محمد بن عيسى الجعفرى وما والاه ، وفي أصلها بيوت لأشعث بن قيس من أهل المدينة ، وقصر يزيد بن عبد الملك بن المغيرة النوفلى ، وفيفاء

الخبار : من جاء أم خالد ، والجاء الثالثة « جاء العاقر » بينها وبين جاء أم خالد فسحة ، وهي تسيل على قصور جعفر بن سليمان وما والاهما ، وإحدى هذه الجاوات أراد أبو قطيفة بقوله :
 الْقَصْرَ فَالْتَّخِلْ فَالْجَمَاءَ بَيْنَهُمَا أَشْهَى إِلَى الْقَلْبِ مِنْ أَبْوَابِ جَبْرُونَ
 إِلَى الْبَلَاطِ فَمَا حَازَتْ قَرَانُهُ دُورَ نَزْحَنَ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْهَوْنِ
 قَدْ يَكْتُمُ النَّاسُ أَسْرَارًا وَأَعْلَمُهَا وَلَيْسَ يَدْرُونَ طُولَ الدَّهْرِ مَكُونِي

* * *

٢٤ — قال النابغة :

فَأَكَيْتُ لَا آتِيكَ إِنْ كُنْتُ مُجْرِمًا وَلَا أَبْنِي جَارًا سِوَاكَ مُجَاوِرًا
 فَأَهْلِي فِدَاءَ لِمَرَى إِنْ أَتَيْتُهُ تَقَبَّلَ مَعْرُوفِي وَسَدَّ لِمَفْأِرَا
 سَأَكُمُ كُلِّي أَنْ يَرِيكَ نَبِيحُهُ وَإِنْ كُنْتُ أَرْغَى مُسْحُلَانَ وَحَامِرَا

مُسْحُلَان : قد تغير اسمه ، وصار الآن يقال له « السَّحْل » وهي أودية معروفة بين قرى جبل وقرى القصيم^(١) ، معروفة عند عامة أهل نجد بهذا الاسم ، وقد أكثر الشعراء من ذكر مسحلان وقرنوه بحامر ، وحامر في بلاد العرب ، وأنا أعرف في عالية نجد خمسة جبال كلها يقال لها حامر » والذي قرنوه بمسحلان منها واقع في شرق بلاد غطفان ، قال النابغة في غير هذه الرائية^(٢) :
 لَيْتَ قَيْسًا كُلُّهَا قَدْ قَطَعَتْ مُسْحُلَانًا فَحَصِيدًا قَتَبَلْ

وحصيد ، وتُتَبَلْ : في عالية نجد الشمالية ، وحصيد غير حصيد الذي يقع بين الكوفة والشام فإن الذي بين الكوفة والشام مصغر بضم الحاء وسكون الياء ، وقد أوقع التقاع بن عمرو في سنة ثلاث عشرة من الهجرة بالأعاجم ومن تجمع إليها من تغلب وربيعة وقعة منكرة وقُتِلَ من الأعاجم في معركة (روز مهر) و (دو ذبة) مقدمهم ، وكانت هذه الواقعة في ذلك الوادي ، فقال التقاع بن عمرو في ذلك اليوم^(٣) :

أَلَا أَبْلَغَا أَسْمَاءَ أَنْ خَلِيلَهَا قَضَى وَطَرًا مِنْ رُوزِ مَهْرِ الْأَعَاجِمِ
 غَدَاةً صَبَحْنَا فِي حَصِيدِ جَمْعِهِمْ بَهْنَدِيَّةً تَفْرَى فِرَاحِ الْجَمَاجِمِ

وهذا الوادي المذكور في جهة العراق ، وهو - كما قلنا - في غير الموضع الذي ذكره النابغة ، وخصيدات - بالضم والتصغير - جبل في شرع عدى بين الرقاع^(٤) :

(١) صح عندي أنها بين بلد الكهفة وبين ياطب وفيد ، وفيها جبل يقال له « الحويظ » .

(٢) انظر معجم البلدان ٨ / ٥١ وليس في ديوان النابغة المطبوع (٤، ٣) معجم البلدان ٣ / ٢٨٨

فلما تجاوزن الحصيدات كلها وحلّقن منها كل رغن ونحرم
تخطّين بطن السر حتى جعلنه يلى الغرب سيل المتوى التميم
وحصيد وتبل اللذان ذكرهما النابغة وقرّنها بمسحلان فى نجد ، قال لبيد بن ربيعة العامري
وقد ذكر تَبَلًا^(١) :

ولقد يعلم صحبى كلهم بعدان السيف صبرى ونقل
ولقد أغدو وما يعمدنى صاحب غير طويل المحتبل
كل يوم منعوا جاملهم ومرتات كآرام تبلى
قدّموا إذ قال قيس قدّموا واحفظوا المجد بأطراف الأسلى

ذكر لبيد الآرام وأضافها إلى تبلى ، وأظن أنه قصد بذلك آرام تبالة فقال تبلى لضرورة الشعر
والخطيئة العبسي شاعر مخضرم من شعراء غطفان قرن مسحلان إلى حامر فقال :

عفا من سليمى مسحلان فحامرة تمشى بها ظلماته وجاذره

ومسحلان وحامر اللذان ذكرهما النابغة فى موضع السحل اليوم الواقع بين قرى القصيم وقرى
الجبلى ، وحامر : جبل معلوم بهذا الاسم إلى هذا العهد فى شرق بلاد غطفان ، والموضعان قريبان
بعضهما من بعض ، وقد أكثر القوم من الكلام على مسحلان وحامر ، ومما قالوه أنهما واديان
بين العراق والشام ، وقال آخرون : هما واديان فى بلاد كلب ، ولكن من تأمل قول النابغة
« وإن كنت أرعى مسحلان وحامرا » تبين له أنه إنما أراد البعد عن النعمان ، والموضع الذى ذكرها
الشرح لا تبعد عن النعمان ذلك البعد الذى يومئ إليه قول النابغة ، فدل ذلك على أنه إنما يريد
مواقع فى بلاد قومه ، والسحل وحامر باقيان بهذا الاسم إلى هذا العهد .

* * *

٢٥ — وقال النابغة :

لقد نهيت بنى ذبيان عن أقر
فقلت : يا قوم إن اللآث منقبض
وعن تربهم فى كل أصفار
على برائته لعدوة الضارى

إلى أن قال :

أضطررك الحزب من كلبى إلى بر
تختاره معقلا عن جش أغيلر

إلى أن قال :

(١) انظر معجم البلدان ٢ / ٣٦٤ . وانظر ديوان لبيد ١٤ ليدن ١٨٩٢

قَدْ كَانَ وَافِدَ أَقْوَامٍ وَجَاءَ بِهِمْ وَأَنْتَاشَ عَانِيَهُ مِنْ أَهْلِ ذِي قَارِ
أَقْرُ: قدمضى الكلام عليه فى قصائد امرىء القيس ، وهو موضع قريب الشربة ، وقد
أوردنا هناك الشواهد عليه .

ليلى : يشير فى هذا البيت إلى « حرة ليلى » وهى واقعة فى بلاد غطفان ، يسلكها حاج البصرة
إلى المدينة ^(١) ، قيل : إن الوليد بن يزيد بن عبد الملك بعث إلى الرماح بن أبردمرى الذى يعرف
بأبن ميادة حين استخلف ، فدحه ، فأمره بالمقام عنده فأقام ، ثم اشتاق إلى وطنه ، فقال هذا
الشعر ، وهو مما يدل على أنها فى بلاد بنى مرة :

أَلَا لَيْتَ شَعْرَى هَلْ أُبَيِّنَ لَيْلَةً بِحَرَّةٍ لَيْلَى حَيْثُ رَبَّنَى أَهْلَى
بِلَادُهَا بِهَا نِيَطَتْ عَلَيَّ تَمَائِي وَقُطِعْنَ عَنِي حِينَ أَدْرَكْنِي عَقْلِي
وَهَلْ أَسْمَعَنَّ الدَّهْرَ أَصْوَاتَ هَجْمَةٍ تَطَّلَعُ مِنْ هَجَلٍ خَصِيبٍ إِلَى هَجَلٍ
تَحْنُ فَأُبْسِكِي كُلَّمَا ذَرَّ شَارِقُ وَذَاكَ عَلَى الْمُشْتَقِّ قَبْلَ مِنَ الْقَبْلِ
فَإِنْ كُنْتُ عَنْ تِلْكَ الْمَوَاطِنِ حَاسِبِي فَأَفْشِ عَلَيَّ الرِّزْقَ وَاجْمَعْ إِذَا شِئِلَى

فقال الوليد : اشتاق الشيخ إلى وطنه ، فكتب له إلى مصدق كلب أن يعطيه مائة ناقة دهماً
جعداء ، فأتى المصدق ، فطلب إليه أن يعفيه من وصف الجمودة ويأخذها دهماً ، فكتب الرماح
إلى الوليد :

أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ الْحَيَّ كُلِّبًا أَرَادُوا فِي عَطِيَّتِكَ ارْتِدَادًا

فكتب الوليد إلى المصدق أن يعطيه مائة ناقة دهماً جعداء ، ومائة صهباء ، فأخذ المصنفين
وذهب بها إلى أهله ، فجعلت تضى هذه من جانب ، وتظلم هذه من جانب ، حتى أوردتها حوض
البردان ، فجعل يرتجل ويقول :

ظَلْتُ بِحَوْضِ الْبَرْدَانِ تَغْتَسِلُ تَشْرَبُ مِنْهَا نَهْلَاتٍ وَتُعَلُّ

وقال بشر بن أبى خازم :

عَفَّتْ مِنْ سُلَيْمَى رَامَةً فَكَثِيبَا وَشَطَّتْ بِهَا عَنْكَ النُّوَى وَشَعُوبَهَا
وَغَيْرَهَا مَا غَيْرَ النَّاسِ بَعْدَهَا فَبَاتَتْ وَحَاجَاتُ النُّفُوسِ نَصِيبُهَا
مَعَالِيَةً لَا هَمَّ إِلَّا مُحَجَّرٌ وَحَرَّةٌ لَيْلَى السَّهْلِ مِنْهَا قُلُوبُهَا

ولا أعرف موضعاً باسم « حرة ليلى » فى هذا العهد .

أما برد الذى ذكره النابغة فقد أكثر شعراء غطفان من ذكره ، وظنى أنه كان فى موضع

بريدة اليوم ، لأن بريدة بلد حديث ، وقد مضى الكلام عليها وعلى بعثها في أشعار زهير على ذكر القصيم ، وفيه يقول الفضل بن العباس اللّهي ^(١) :

عوجا على ربع سُعدى كى نسايله عوجا فما بكما غي ولا بعد
إني إذا حلّ أهلى من ديارهم بطن العقيق وأمست دارها برد
تجمعنا نية ، لا الخلل وأصلة سُعدى ، ولا دارنا من دارهم صد

وقال المغترف المالكي :

سألوا عن خيلنا ما فعلت بيني القين على جنبى برد

وقد ورد هذا الاسم على اختلاف ضبطه : برد ، وبرد ، وبرد ، وبردان ، وبردى ، وبرود ، ويوم البردين من أيام العرب ، وهو يوم الغبيط المشهور ، ظفرت فيه بنو ربوع بنى شيبان ، وفيه يقول مالك بن نويرة اليربوعي :

فأقررت عيني يوم ظلوا كأنهم بطن الغبيط خشب أثل مُسند
صريع عليه الطير تنقر عينه وآخر مكبول بمالٍ مقيد
لدى غدوة حتى أتى الليل دونهم ولا تنتهي عن ملئها منهم يد
وأصبح منهم بعد فل لقائنا بفيفاء البردين فل مطرد

وقال القتال الكلابي :

سمعت ، وأصحابي بذى النخل ، نازلاً وقد يشعف النفس الشعاع حبيبها
دعاء بذى البردين من أم طارق فيا عمرؤ هل تبدو لنا فتجيبها

قال في معجم البلدان ^(٢) : البردان مواضع كثيرة ، فالبردان : اسم نهر بالشام ، واستدل

ببيت أبي القاسم الزمخشري :

ألا إن في قلبى جوى لا يبله قويق ولا العاصى ولا البردان

وهذه أنهار بالشام ، وقال : البردان بأعلى نخلة الشامية ، ثم قال عن نصر : البردان جبل مشرف على وادى نخلة قريب مكة ، وقال عن الأصمعي : البردان ماء بنجد لبني عقيل ، وقال أبو زياد : البردان فى أقصى بلاد عقيل ، وقال أيضا : البردان ماء لبني نصر بن معاوية فى الحجاز وقال أيضا : البردان ماء بالسماوة دون الجناوب ، والبردان أيضا : ماء للضباب قرب دارة جلجل ، وقال أيضا عن الأصمعي : البردان فى جبال الحى ، وقال أيضا : البردان من قرى بغداد ، وقال

(١) انظر معجم البلدان ٢ / ١١٦ . (٢) انظر معجم البلدان ٢ / ١١٣ وما بعدها

أيضا : البردان موضع أسكنَ فيه بخت نصر اليهود حين سباهم ، وقال أيضا : البردان بالكوفة ، وقال أيضا : البردان نهر بشفّر طرطوس ، بجيئه من بلاد الروم ، ويصب في البحر ، والبردان أيضا : نهر يسقي بساتين مرعش ، والبردان أيضا : سَيِّح البردان موضع في اليمامة فيه نخل عن ابن أبي حفصة والبردان : غديران بنجد بينهما حاجز ، فهذه رواية المعجم ، وأسقطنا منها أكثر الشواهد .

والذي أعرفه بهذا الاسم موضع يقال له « البردان » بين ثرمدا ورغبة ، في شرقي الكتيب الواقع بينهما ، فيه قصر ومزارع ، وأعرف موضعا يقال له « البرود » من قرى السر ، فيه مزارع وقصور ، ومائة يقال لها « الباردة » في عالية نجد الجنوبية ، وبلد « بريدة » التي مرد كرها ، وجبل « برد » في غربي الطائف ، ومنها « البرود » بثر كثيرة الماء ، تقع في وادي المغمس ، يمر بها السالك من مكة إلى نجد ، والذي عناه الشاعر موضع بريدة اليوم .

جش أعيار : قال صاحب معجم البلدان^(١) : هو من المياه الأملاح في بلاد فزارة ، مجاور جش أعيار عدنة ، وعدنة قد صار اسمها اليوم « بدنة » وأعرف جيالات صغار يقال لها « أعيار » والجيالات فيها ماء ملحة ، وربما كانت هي « جش أعيار » .
فأما ذوقار ، فقد تقدم الكلام عليه في مواضع كثيرة .

* * *

٢٦ — وقال النابغة :

فَلَمْ يَكُنْ نَوْلُكُمْ أَنْ يَقْدَعُونِي وَدُونِي عَازِبٌ وَبِلَادُ حَجَرٍ

عازب : جبل في اليمامة ، وعازب وعارمة متجاوران ، فأما عارمة فهي طرف العرمة الجنوبي ، وعازب واقع غربيها في جبل اليمامة ، وهو الذي يصب منه وادي نساح ووادي الأوسط ووادي الحـ
وجميعها قد مضى الكلام عليها عند ذكر اليمامة .
وحجر : هو حجر اليمامة الموجود اليوم في الرياض ، ولا يزال بهذا الاسم .
وعازب قد انقطع اسمه .

* * *

٢٧ — وقال النابغة :

لَقَدْ قُلْتُ لِلنُّعْمَانِ حِينَ لَقَيْتُهُ يُرِيدُ بَنِي حُنٍّ بِرُقَّةٍ صَادِرٍ
نَحْنَبُ بَنِي حُنٍّ فَإِنْ لِقَاءَهُمْ كَرِيهٌ وَإِنْ لَمْ تَلَقَ إِلَّا بَصَابِرَ

(١) انظر معجم البلدان ٣ / ١٠٦ .

مَنْ مَنَعُوا وَادِيَ الْقَرْيَ عَنْ عَدُوِّهِمْ يَجْمَعُ مُبِيدٌ لِلْعَدُوِّ الْمَكَايِرِ
مِنْ الْكَارِعَاتِ الْمَاءَ بِالْقَاعِ تَسْقَى بِأَعْجَازِهَا قَبْلَ اسْتِقَاءِ الْجُنَاكِيرِ
بُرَاخِيَّةٌ أَلَوْتُ بَلِيفٍ كَأَنَّهُ عَمَاءُ قِلَاصٍ طَارَ عَنْهَا تَوَاجِرِ
هُمْ طَرَدُوا عَنْهَا بَلِيًّا فَأَصْبَحَتْ بِلَى بَوَادٍ مِنْ تِهْلَمَةَ غَائِرِ
وَهُمْ قَتَلُوا الطَّائِيَّ بِالْحَجْرِ عَنُوءَ أَبَا جَابِرٍ وَاسْتَنْكَحُوا أُمَّ جَابِرِ

برقة صادر : أكثر أهل المعاجم من ذكرها وذكر صادر ؛ فمنهم من قال : إنها في الشام ، ومنهم من قال : إنها في اليمن ، والذي أعرفه بهذا الاسم لم يتغير جبل على طريق المدينة يمر به السالك من الحناكية إلى المدينة ، ولا يزال يقال له « صادر » ، وعنده ماء يقال لها « الصويدة » يردها السالك لذلك الطريق ، وهي التي عنها النابغة ، وهي باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد .

برقة صادر

أما « وادي القرى » قد مضى الكلام عليه .

بزاحة : اختلف أهل المعاجم في تحديدها ؛ فمنهم من قال : إنها في بلاد طى ، ومنهم من قال : إنها في بلاد بنى أسد ، والصحيح أنها في بلاد بنى أسد ، ولا تبعد عن سمراء ، وقد نسي اسمها اليوم ، ولكن هناك واديا بين جبال سمراء وجبل رمان يقال له « بزاخ » ولا شك أن بزاحة فيه أو قريبة منه ، وإليك رواية صاحب معجم البلدان عنها ^(١) بتامها ، قال الأصمعي : بزاحة ماء لطى بأرض نجد ، وقال أبو عمرو الشيباني : ماء لبنى أسد كانت به وقعة عظيمة في أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه مع طليحة بن خويلد الأسدي ، وكان قد تنبأ بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، واجتمع إليه أسد وغطفان ، فتوى أمره ، فبعث إليه أبو بكر خالد بن الوليد ، فقدم خالد أمامه عكاشة ابن محصن الأسدي حليف الأنصار ، فلقبه بزاحة ماء لبنى أسد ، فقتل عكاشة ، وكان عينة ابن حصن مع طليحة في سبعمائة من بنى فزارة ، وجاء خالد على الأثر ، فلما رأى عينة أن سيوف المسلمين قد استلحمت المشركين قال لطليحة : أما ترى ما يصنع جيش أبي الفضل ؟ يعني خالد ابن الوليد ، فهل جاءك ذو النون بشيء ؟ قال : نعم قد جاءني وقال لي : إن لك يوما ستلقاه ، ليس لك أوله ، ولكن لك آخره ، ورَحَى كَرَاحَاهُ ، وحديثاً لا تدسه ، فقال : أرى والله أن لك حديثاً لا تنساه ، يا بنى فزارة هذا كذاب ، وولّى عن عسكره ، فأنهزم الناس ، وظهر المسلمون ، وأسر عينة بن حصن ، وقدم به المدينة ، فحقن أبو بكر دمه ، وخلى سبيله ، وهرب طليحة فدخل جباً له فاغتسل وخرج ، وركب فرسه وأهلَّ بعمره ومضى إلى مكة وأتى مسلماً ، وقيل : بل أتى

بزاحة

الشام فأخذه غزاة المسلمين وبعثوا به إلى المدينة فأسلم وأبلى بعده في فتوح العراق ، وقيل : بل هو قدم على عمر بعد وفاة أبي بكر مسلماً ، قبله ، وقال له عمر : أقتلت الرجل الصالح عكاشة بن محصن ؟ فقال : إن عكاشة سعد بي وشقيت به أنا ، وأنا أستغفر الله ، فقال له عمر : أنت الكاذب على الله حين زعمت أنه أنزل عليك إن الله لا يصنع بتغيير وجوهكم وقُبِح أدياركم شيئاً فاذكروا الله قياماً فإن الرزوة فوق الصريح ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ذلك من فتن الكفر الذي هدمه الإسلام كله ، فلا تعنيف عليّ ببعضه ، فأسكت عمر ، وقال التقيّ بن عمرو يذكر يوم بُزّاحة :

وأفلتَهُنَّ الْمِسْحَلَانُ وَقَدْ رَأَى بَعَيْنِهِ نَقْعًا سَاطِعًا قَدْ تَكَوَّنَا
ويوماً على ماء البزّاحة خالدٌ أثار بها في هبوة الموت عثيراً
ومثّل في حافاتها كلّ مثلة كفعل كلاب هارشت ثم شمرّاً

وقال ربيعة بن مقروم الضبي :

وقومى فإن أنت كذبتنى بقولى فاسأل بقومى عايماً
بنو الحرب يوماً إذا استلأموا حسبتهم في الحديد القروماً
فدى ببزّاحة أهلى لهم إذا ملّثوا بالجوع الخريماً

وقال جحدر بن معاوية المخزومي اللص :

يادار بين بزّاحة فكثيرها فلولى غير ، سهلها أو لوبها
سقت الصبا أطلال ربك مُغْدَقاً ينبل عارضها بلبس جوبها
أيام أرمى العين في زهر الصبا وثمار جنات النساء وطيبها

هذا آخر عبارة معجم البلدان على ذكر بزّاحة ، وأنت ترى جحدر اللص قرن بزّاحة بلولى غير ، ودارة غير لبلى الأضبط من بنى كلاب ، في عالية نجد الشمالية ، ولا شك أن بزّاحة في بلاد بنى أسد ، ولولى الغبير الذى قرنت به قريب منه ، قال شبيب بن البرصاء :

ألم تر أن الحى فرّق بينهم تولى بين صحراء الغبير لجوج

ولا أعلم موضعاً يقال له « غير » إلا بترّاً في بلد الفرعة المجاورة لأشيقم من أعمال الوشم ، يقال لها « غيراء » جاهلية عظيمة الماء ، إذا سقط فيها الرجل لم يرجّ خروجه ، بل تكون هي مقبرته من بُعد قعرها ووسع أسفلها ، وهي معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد .

وقد ذكر بزّاحة أبو عبيد البكري في معجم ما استعجم وأشد عليه قول البعيث المجاشعى ،

يمدح الوليد بن عبد الملك :

وخالِكُ رَدَّ القوم يوم بُرَاخَة وكر حفاظا والأسنة تردم
والبعيث أراد بخاله قيس بن زهير العبسي ، ولأ أعلم في بُرَاخَة يوما من أيام العرب إلا يوم
خالد بن الوليد على طَلِيحَة وكان معه عيينة بن حصن الفزاري وأخوه خارجة بن حصن ، والصحيح
أن بُرَاخَة في بلاد بني أسد ، وظنى أن النابغة لم يَعرِف بُرَاخَة الواقعة في بلاد بني أسد ؛ لأنه لما
ذكر وادي القرى ذكر نَحْلَة ووصفها بقوله « بُرَاخِيَة أَلوت بليف كُتْه - إلخ » و بُرَاخَة الممدوحة
بجَوْدَة النَّخْل واقعة في نواحي هجر ، كانت مشهورة بهذا الاسم في الزمن القديم ، ولا أعلم اليوم
لها ذكرا ، ومنهم من قال : إن بُرَاخَة موضع بلد المبرز اليوم التابع للأحساء .

تهامة : معلومة بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهى : ما كان بين جبال الحجاز والبحر ، يطلق
هذا الاسم على تلك القطعة الواقعة بين عدن والعقبة مما يلي ساحل البحر ، والشواهد كثيرة ، وليس
في ذكرها فائدة ؛ لأن شهرة اسمها تغنى عن ذكر الشاهد عليها .

الحجر : هو الموضع المعروف الذى ذكره القرآن الكريم فى شأن قوم صالح عليه السلام ،
وبه بئر الناقة ، وهو يُعَدُّ من وادي القرى ، معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهو الذى عنه
جميل فى قوله :

أقول لداعى الحب والحجرُ بيننا ووادى القرى : لَبَيْتُكَ لَمَّا دَعَانِيَا
فما أحدث النَّأْيُ الْمُفَرِّقَ بيننا سُلُوا ولا طولُ اجْتِمَاعِ تَقَالِيَا
وموضعه قريب العلا ، بينه وبين تبوك .

* * *

٢٨ — وقال النابغة :

وَدَّعْ أَمَامَةَ وَالتَّوَدِّيعُ تَعْذِيرُ وَمَا وَدَّاعُكَ مَنْ قَفَّتْ بِهِ الْعِيرُ
وَمَا رَأَيْتُكَ إِلَّا نَظْرَةً عَرَضَتْ يَوْمَ النَّمَارَةِ وَالْمَأْمُورُ مَأْمُورُ
إِنَّ الْفُقُولَ إِلَى حَيٍّ وَقَدْ بَعُدُوا أَمْسَوْا وَدُونَهُمْ شَهْلَانُ وَالنَّيِّرُ

النمارة ، هضبة سوداء منقطعة من حَرَّةِ بنى سُلَيْم ، معروفة إلى هذا العهد بهذا الاسم ، وهى
واقعة فى بلاد بنى سليم ، وبها يوم من أيام العرب ، وقد سألت غير واحد من بنى سُلَيْم ، فذكروا
أنها باقية بهذا الاسم .

شهلان والنير : شهلان فى عالية نجد ، باقيان على اسميهما لم يتغيرا ، وقد مضى الكلام عليهما
وأوضحنا ما يتعلق بهما .

٢٩ — وقال النابغة :

ظَلَمْنَا بِيَزْقَاءَ اللَّهِيمِ تَلَفْنَا فَبُولُ نَسَاكُ مِنْ ظِلَالَتِهَا نَمْسِي
إِذَا مَا تَدَاعَتْ مِنْ كِنَانَةِ عُصْبَةٍ عَلَيْنَا سَرَائِلُ الْحَدِيدِ أُولُو بَأْسٍ
هُمْ قَتَلُوا مَنْ قَتَلُوا مِنْ سَرَاتِنَا وَهُمْ حَبَسُوا الْأَمْلَاقَ بِالْمَحْبَسِ الشَّاسِ

اللهم : رأيت في معجم البلدان وأخبار المغازي أنها بطن من الأرض في أرض الجزيرة ، في غربي تكريت ، وهو ماء للنمر بن قاسط ، يلتهم الماء ويفرغ في السَّهَاب ، فسمى اللهم لالتهامه ماء ، والذي أعرفه في بلاد العرب موضعان أحدهما يقارب اسمه هذا الاسم ، الأول جبل يقال له « ليم » وعنده أبارق يقال لها « برقاء ليم » وهو قريب مسكة المعروفة في الحى شمالى ضرية ، في جهة الشمال الشرق لمسكة على مسافة نصف يوم ، والموضع الثانى جبال صغار يقال لها « اللهب » بين سواج وجبل نجح وأبان ، وعندها أبارق يقال لها « برقاء اللهب » وعندها ماء يقال لها « بقيعاء اللهب » وهى قريب أمرة ، واللهب هو الذى يقول فيه الأفوه الأودى :

وجرد جمعها بيض خفاف على جنبى تضارع فاللهيب

* * *

٣٠ — وقال النابغة .

عَمَّا ذُو حَسَى مِنْ فَرَنَّا فَنَقَوَارِعُ فَشَطَا أَرِيكَ فَالتَّلَاعُ الدَّوَابِعُ
فَمُجْتَمِعُ الْأَشْرَاجِ عَنِّي رُسُومَهَا مَصَايِفُ مَرَّتْ بَعْدَنَا وَمَرَابِعُ
تَوَهَّمَتْ آيَاتٍ لَهَا مَا عَرَفْتَهَا لِسِتَّةِ أَعْوَامٍ وَذَا الْعَامِ سَابِعُ

ذو حسى : قد مضى الكلام عليه في مواضع كثيرة ، وهو في بلاد غطفان .
والقوارع : قد تغير اسمها ؛ ففي بلاد غطفان هضبة يقال لها « الفارعة » ويمكن أن تكون من القوارع ، قال في معجم البلدان ^(٢) : تلال رمال مشرفة ، وقال في غير المعجم : كل ما ارتفع من تل أو جبل يقال له فارع .

شطا أريك : أما أريك فهو جبل في بلاد غطفان قريب النقرة ، معروف ، له ذكر في كتب المعاجم بهذا التحديد ، وأنا لا أعرفه اليوم ، إلا أنى أعرف جبلا في تلك الناحية يقال له « ريك » به ماء ، ويمكن أن يكون هو الذى ذكره النابغة ، قال رجل من بني مرة يصف ناقه :

إذا أقبلت قلت مشحونة أطاع لها الريح قلعا جنفولا

فمرت بذى حُشْب غُدوةً وجازت فويق أريك أصيلا
تخبط بالليل حزانهُ كخبط القوى العزيز الذليلا

ويدل على أن أريكا جبلٌ قولُ جابر بن حنى التغلبي :

تصعد في بَطحاء عرق كأنها ترقى إلى أعلى أريك بسلم
وقال عمرو بن خويلد أخو بني عمرو بن كلاب :

فكُنَّا بنى أم جميعاً بيوتُنَا ولم يك منا الواحدُ المتفرِّدُ
نفيل إذا قيل اظعنُوا قد أُتِيتُمْ أقاموا وقالوا : الصَّبْرُ أبقي وأحمد
كأن أريكا والفوارع بيننا لِثَامِنَةٍ من أول الشهر مَوْعِدُ

هذه الشواهد المذكورة تدل على أن أريكا هو الجبل الواقع قريب النقرة والذي يقال له في هذا العهد « ريك » سقطت منه الهمزة ، وهناك موضع آخر في بلاد عنزة ، وهي أكشبة مرتكبة يقال لها « وريك » بالواو ، وقد قُتل في هذا الموضع ناس من عنزة ، وفي القتل عقاب العواحي وأخوه حجاب ، قتلهم ناس من عبدة بطنٍ من شمر ، في معركة قريب وريك المذكور ، وأكثر شعراء النبط من ذكر تلك الواقعة ، قال التبيناي وهو من شعراء شَمَر في قصيدة له :

* غطاز بار وريك مثل المهليل *

وقال ولد العواحي المقتول في قصيدة له يطلب فيها الأحد بثأر أبيه :

لوى على من قاد عليا ثنيه بدور أبويه عند روس الخواوير
عليا : اسم فرس له ، وهي قصيدة طويلة ، فأجابه التبيناي على هذه القصيدة بقصيدة نبطية فنها قوله :

أبوك ضرب بحربة شوشلية كزه حبيبي كزة الدلو في البير
ومن هنا يتضح أن أريكا الذي ذكره النابغة هو « ريك » الواقع في بلاد غطفان والذي يسمى اليوم بهذا الاسم ، وشطاه : جانباه .

فأما « الأشراج » فهي مجارى الماء التي تهبط من الجبال ، وتصبُّ في الحرار ، وتشق بطون الأرض ، وشرح الذى يعنيه هنا قد مضى الكلام عليه في أشعار النابغة أيضا .

الأشراج

* * *

٣١ — وقال النابغة :

وَقَدْ حَالَ هَمٌّ دُونَ ذَلِكَ وَالْحَجِّ مَكَانَ الشَّعَافِ تَتَّقِيهِ الْأَصَابِعُ

وَعِيدُ أَبِي قَابُوسَ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ أَتَانِي وَدُونِي رَاكِسٌ فَالضَّوَاجِعُ
بَبْتُ كَأَنِّي سَاوَرْتَنِي ضَنْيَلَةً مِنْ الرُّقْشِ فِي أَنْيَابِهَا الشَّمُّ نَاقِعٌ

راكس

راكس : قد مضى الكلام عليه غير مستقصى ، قال العباس بن مرداس السلمي :

لأسماء رَسُمٌ أَصْبَحَ الْيَوْمَ دَارِسَا وَأَوْحَشَ إِلَّا رَحْرَحَانَ فَرَاكِسَا
وَقَالَ دَاوُدُ بْنُ عَوْفٍ أَخُو بَنِي عَامِرٍ بِنِ رَبِيعَةَ :

وَأَنَا ذَمَمْتُ الْأَعْلَمَ بْنَ خُوَيْلِدٍ وَحَلَمَ عَقَالَ إِذْ فَقَدْنَا أَبَا حَرْبٍ
إِذَا مَا حَلَلْتُمْ بِالْوَحِيدِ وَرَاكِسٍ فَذَلِكَ نَصْرُ طَائِشٍ عَنْ بَنِي وَهَبٍ

فما راكس فقد أعياى الوقوف على حقيقته ، و بعد طويل البحث والتدقيق وقفت على حقيقته كمنع الصباح ، كنت فى بلد الشعرى عند تصنيف كتابى هذا ، وعندى رجل علامة خير ببلاد عبد الله بن غطفان ، فعزم على السفر إلى تلك الناحية ، فقلت له : ابحث لى عن راكس واعلم . يذكر فى بعض الأشعار مقترنا برحرحان ، فقال : أنا أعرف رحرحان ، فقلت : وتجدد يقرن فى بعض الأشعار بالوحيد ، قال : أنا أعرف الوحيد ، وهو جبيل صغير ليس عنده جبال ، فسمى وحيد لذلك ، فلما عزم على المسير إلى غرضه قال : سأتيك بالخبر اليقين ، فغاب شهراً ثم عاد إلينا فى بلد الشعرى ، فقال لى : وجدت راكسا وهو واقع شرقى ماء « بلغة » الماء المعروف بين النقرة وعب ، قال فى وصفه : إنه سناف أسود ، وعنده أبرق يسمى « أبرق راكس » فتطلب هذا أبرق على هذا الاسم فلا يعرف اليوم إلا بلفظ « أبرق راكس » وهو قريب الجبل الشاهق رفيع ، وهو صغير المنظر يقال له « عاج »^(١) وراكس وعاج متجاوران ، أحدهما قريب من الآخر . الضواجع : قال فى معجم البلدان^(٢) : هى هضاب ، ثم قال : هى موضع فى قول النابغة

الضواجع

ذبياني * ودونى راكس فالضواجع *

وأنا لا أعرفها بهذا الاسم فى هذا العهد ، وسألت الخبيرين ببلاد غطفان عن الضواجع فلم تجد لها عندهم ذكرا .

* * *

٣٢ — وقال النابغة فى قسمه ، وهو يعتذر إلى النعمان بن المنذر :

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيْبَةً وَهَلْ يَأْتَمَنُ ذُو أُمَّةٍ وَهُوَ طَائِعُ
بِمُضْطَحِبَاتٍ مِنْ لَصَافٍ وَثْبَرَةٍ يَزُرُّنَ إِلَّا لَا سَيَرُهُنَّ التَّدَاغُ

(١) انظر لمعرفة عاج معجم البلدان ٢٦/٨ (٢) انظر معجم البلدان ٧/٤٤٢

سَمَامُ بُبَارَى الرَّيْحِ خُوصاً عِيُونُهَا لَهْنٌ رَذَايَا بِالطَّرِيقِ وَذَائِعُ
عَلَمِينَ شَمْتُ عَامِدُونَ لِحَجَّيْهِمْ فَهِنَّ كَأَطْرَافِ الْحَنَّى خَوَاصِعُ
حَمَلَتْ عَلَى ذَنْبِهِ وَتَرَكْتُهُ كَذِي الْعَرِيِّ كُؤَى غَيْرُهُ وَهُوَ رَانِعُ

لصاف

لصاف : منهل معروف في الصمان شرق الدو ، وهو في طرف الشواجن من جهتها الجنوبية ، وهو من النحائت القديمة من أعلاه إلى أسفله ، منحوت في حجر ، وطوله خمسة وثلاثون باعا تقريباً ، على طريق السالك من نجد إلى الكويت ، وهو معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، يقال له « اللصافة » واستشهد صاحب المعجم عليه ببيت النابغة المذكور ، ولكنه أكثر من الروايات عنه ؛ و بعضها صواب وبعضها خطأ ؛ فما أخطأ فيه من رواياته قوله : لصاف ماء بقرب شرج وناظرة ، أما شرج وناظرة فهما قريب النجاج الذي يقال له اليوم « الأسياح » يتر به حاج العراق فيمكن أن ياقوتا قصد منهلا على هذا الطريق يقال له « اللصف » لا يزال يعرف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، فأما الذي أصاب فيه فقوله : قال أبو زيد : لصاف ماء بالندو لبني تميم ، هذا صحيح لصاف بالندو ، وهي من مياه بني تميم في الزمن القديم ، ولم يتغير هذا الاسم إلى اليوم ، إلا أن المتأخرين زادوا هاء فقالوا « لصافة » .

والدليل على أن لصاف منهل لبني تميم في الجاهلية قول المهوس الأسدي^(١) وهو يهجو بني تميم :

قَدْ كُنْتُ أَحْسِبُكُمْ أَسْوَدَ خَفِيَةٍ إِذَا لَصَافٌ تَبَيَّضُ فِيهِ الْحَرُّ
فَتَرَفَعُوا مَدَحَ الرِّثَالِ فَإِنَّمَا تَجْنِي الْهَجَمُ عَلَيْكُمْ وَالْعَنْبَرُ
عَضْتُ تَمِيمَ جِلْدَ أَيْرَ أَيْيَكُمُ يَوْمَ الْوَقِيطِ وَعَاوَتْهَا حَضَجَرُ

والوقيط : يوم من أيام العرب ، ووقيط : منهل معروف إلى اليوم قريب أبان يقال له في هذا العهد « وقط » حذفوا منه الباء .

الوقيط

ثبرة : اسم ماء من مياه الشواجن ، وهو لبني تميم ، لبني مناف بن دارم ولبني مالك بن حنظلة يقال له في هذا العهد في ألسن عامة أهل نجد « وبرة » أبدلت ثأؤه واوا ، وهو متاخم للصفافة في الجهة الشرقية منها ، يبعد عنها مسافة يوم ونصف يوم تقريباً ، وهو في المنتصف بين اللصافة وقرية ، وبه يوم من أيام العرب ، وهو اليوم الذي فر فيه عتيبة بن الحارث بن شهاب وأسلمه ابنه حَزْرَةُ بن عتيبة ، فقتله جمل بن مسعود بن بكر بن وائل ، وقتل وداعة بن عتيبة ، وأسر ربيع ابن عتيبة ، فنجى عتيبة بن الحارث ، وقتل ابنه حَزْرَةُ ووداعة ، وأسر ابنه ربيع ، فقال في ذلك اليوم في ابنه حزره :

ثبرة

نَجَّيْتُ نَفْسِي وَتَرَكْتُ حَزْرَةَ نَعَم الْفَتَى غَادَرْتُهُ بِثَبْرَةٍ
وَالْمُهْلَانُ مَعْرُوفَانِ يَهْدِيَنِ إِلَى هَذَا الْعَهْدِ ، أَمَا لَصَافُ فَيَقَالُ لَهُ فِي هَذَا الْعَهْدِ «لَصَافَةٌ»
وَأَمَّا ثَبْرَةٌ فَيَقَالُ لَهَا فِي هَذَا الْعَهْدِ « وَبْرَةٌ » .

إِلَال : هُوَ جَبَلٌ عَرَفَهُ الَّذِي يُحِيطُ بِهِ الْحِجَابُ يَمْنَةً وَيَسْرَةً يَوْمَ الْوُقُوفِ بِعَرَفَةَ ، وَهُوَ مَعْرُوفٌ
الْيَوْمَ عِنْدَ عَامَةِ النَّاسِ بِجَبَلِ الصَّخْرَاتِ ، وَاسْمُهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِلالٌ ، وَهَذَا النَّابِغَةُ قَدْ ذَكَرَهُ فِي شِعْرِهِ
فِي قَصِيدَتِهِ الْعَيْنِيَّةِ ، وَقَالَ النَّابِغَةُ أَيْضًا فِي لَامِيَّتِهِ الَّتِي مَدَحَ فِيهَا النُّعْمَانَ بْنَ الْمُنْذَرِ :

فَارْسِلْ فِي بَنِي ذُبْيَانَ فَاسْأَلْ وَلَا تَعْجَلْ إِلَى عَنِ السُّؤَالِ
فَلَا عَمْرَ الَّذِي أَثْنَى عَلَيْهِ وَقَدْ رَفَعَ الْحَجِيجَ إِلَى إِلالِ
لَمَّا اغْفَلْتُ شُكْرَكَ فَاصْطَنَعْنِي وَكَيْفَ وَمِنْ عَطَائِكَ جُلٌّ مَالِي؟

وَقَالَ أَبُو طَالِبٍ يَذْكُرُ إِلالًا ، فِي قَصِيدَتِهِ اللَّامِيَّةِ الْمَشْهُورَةِ الَّتِي يُدَافِعُ فِيهَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

وَمَنْ حَجَّ بَيْتَ اللَّهِ مِنْ كُلِّ رَاكِبٍ وَمَنْ كُلِّ ذِي نَذْرٍ وَمِنْ كُلِّ رَاكِبٍ
وَبِالشَّعْرِ الْأَقْصَى إِذَا عَمَدُوا لَهُ إِلالٌ إِلَى مُفْضَى الشَّرَاحِ الْقَوَابِلِ
وَتَوَقَّافُهُمْ فَوْقَ الْجِبَالِ عَشِيَّةً يَقِيمُونَ بِالْأَيْدِي صُدُورَ الرُّوَاهِلِ

وَقَالَ الرُّضَى الْمَوْسَوِي :

فَأَقْسِمُ بِالْوُقُوفِ عَلَى إِلالِ وَمَنْ شَهِدَ الْجَمَارَ وَمِنْ رَمَاهَا
وَأَرْكَانَ الْعَقِيقِ وَمَنْ بَنَاهَا وَزَمَزَمَ وَالْمَقَامَ وَمِنْ سَقَاهَا
لَأَنْتَ النَّفْسُ خَالِصَةٌ وَإِنْ لَمْ تَكُونِهَا فَأَنْتَ إِذَا مَنَاهَا

وَقَدْ أَكْثَرَ الشُّعْرَاءُ مِنْ ذِكْرِ هَذَا الْجَبَلِ بِاسْمِهِ الْجَاهِلِيِّ « إِلال » وَهَذَا الْاسْمُ قَدْ نَسِيَ الْآنَ ،
وَقَدْ صَارَ لَهُ اسْمٌ آخَرٌ ، وَهُوَ « جَبَلُ الصَّخْرَاتِ » وَإِذَا قِيلَ « شِعْرُ عَرَفَةَ » فَهِيَ يَعْنُونَهُ ، وَهُوَ يَعْنِي
مِنَ الْمَشَاعِرِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَفِي الْإِسْلَامِ .

* * *

٣٣ — وَقَالَ النَّابِغَةُ :

فَمَا أَنَا فِي سَهْمٍ وَلَا نَصْرٍ مَالِكٍ وَمَوْلَاهُمُ عَبْدُ بْنُ سَعْدٍ بِطَامِعٍ
إِذَا تَزَلُّوا ذَا ضَرْغَدٍ فَعَتَانِدًا يُغَنِّيهِمْ فِيهَا تَقِيْقُ الضَّفَادِعِ
قُمُودًا لَدَى أُنْيَاتِهِمْ يُشْمِدُونَهَا رَمَى اللَّهُ فِي تِلْكَ الْأَنْوَابِ الْكَوَانِعِ

ضرغد : قد مضى الكلام عليه في كتابنا هذا ، وله لآبة عظيمة قد مضى الكلام عليها ، واسمه في هذا العهد « ضرغط » . أبدلت داله طاء .

عتائد : قال في معجم البلدان ^(١) : عتائد ماء بالحجاز لبني عوف بن نصر بن معاوية خاصة ، ليس لبني دهمان فيها شيء ، عن الأصمعي ، أما هذا الموضع فهو معروف قريب الطائف ، وقد تغير اسمه بعض التغير فصار يقال له « عتود » ، وهو في بلاد بني عوف بن نصر بن معاوية ، وقال أيضا في المعجم ^(٢) : قال العمراني في هضبات أسفل من أبر لبني مرة ، وهذا الموضع هو الذي عناه النابغة : لأنه قريب بلاد بني مرة ولأنه قرنه بضرغد ، وأنا أعرف واديا يقع بين ضرغد والحائط الذي كان يقال له في الجاهلية « فذك » يعرف بما يقرب من هذا الاسم إلى هذا العهد يقال له « عتاد » في موضع متسع ، وهو بين حرتين .

* * *

٣٤ — وقال النابغة ، وهو مطلع القصيدة التي مدح بها النعمان بن المنذر وقد أوردنا ذكر إلالٍ منها :

أَمِنْ ظِلَامَةِ الدَّمَنِ الْبَوَالِي بِمَرْفُضٍ الْحُبِّيِّ إِلَى وَعَالٍ
فَأَمُومَاهِ الدَّنَا فَعَوَّيْرَضَاتٍ دَوَارِسَ بَعْدَ أَخْيَاءِ حِلَالٍ
تَأْبَدَ لَا تَرَى إِلَّا صَوَارًا بِمَرْقُومٍ عَائِمِ الْعَهْدِ خَالِي
تَعَاوَرَهَا السَّوَارِي وَالْفَوَادِي وَمَا تُذَرِي الرِّيَّاحُ مِنَ الرُّمَالِ

الحبي : موضع في تهامة ، كان لبني أسد وكنانة ، وهو الذي قال فيه مضر بن ربيعة ^(٣) :

لعمرك إنني يلقى حبي لأرجى عائنا حذرا أزوحا ^(٤)
أرى طيرا تمر بين سلمي وقبل النفس إلا أن تريحا

وحبي - بالضم وتشديد الباء مقصوراً - موضع في قول الراعي ، ومنهم من قال : إنه اسم امرأة ، ولكنه الموضع أقرب :

أَبَتْ آيَاتُ حَبِّي أَنْ تُدِينَا لَنَا حَبْرًا فَأَبْكِينِ الْحَزِينَا

(٢١ و ٢) معجم البلدان ١١٦/٦ (٣) معجم البلدان ٣/٢١٥

(٤) وقع في معجم البلدان « أزوحا » براء المهمل - وهو تحريف ، صوابه ما أثبتناه بالزاي ، والأزوح : المتخالف المتباطيء المستأخر عن المكارم ، قال الراجز :

جری ابن لیلی جریة السبوح جریة لا کاب ولا أزوح

ولا أعرف الآن موضعاً بهذا الاسم ، إلا منهلاً قريب نجران يقال له « حبيّة » .
أما « وعال » فقد مضى الكلام عليه في كتابنا هذا ، وهناك جبل في عالية نجد الجنوبية
يقال له « وعلة » ومنهم من يقول له « وعال » وهو جبل طرفه الشمالى منعقد في جبل كرش
تواقع قريب الصخرة مما يلي مطلع سهيل ، وطرف وعال الجنوبي يتصل بحدود ماء « الكبدى »
وهو منهل معروف في عالية نجد الجنوبية قد ذكرناه في ذكر الأملاح .

الدنا : قال في معجم^(١) البلدان : إنه موضع بالبادية ، وقيل : في ديار بني تميم بين البصرة
ونخيمة ، واستدل بيت النابغة الذى أثراه ، ثم انتقل إلى موضع ثان ، وقال : إنه قريب الكوفة
وستدل بشرط بيت للمتنبى :

* وَعَادَى الْأَضَارِعَ ثُمَّ الدَّنَا^(٢) *

عويرضات : موضع ، قال عامر بن الطفيل :

وقد صبحن يوم عويرضات قبيل الصبح باليمن الحصيا

وأنا لا أعرف موضعاً بهذا الاسم ، إلا موضعاً واحداً يقارب اسمه ذلك الاسم ، وأظنه الذى
عنه النابغة ، سنان بين الشقرة والسواد ، منقطع من جبل النير في شرقيه ، يقال له « متعرضات »
حرفها الشمالى يتصل بوادى بحار ، وطرفها الجنوبى يتصل بوادى المصبوب الذى كان يقال له في
رمن القديم « المسلوقة » وغربها جبل النير ، وشرقيها جبل الخوار ، وسيول تلك الناحية تصب
في وادى طينان الذى يقطعه طريق السيارات بين القاعية وجبل ذريع ، وتصب تلك السيول
في وادى خنوقة ، وخنوقة معروفة بهذا الاسم منذ العهد القديم إلى هذا العهد ، قال الفحيف العقيل :
تحملن من بطن الخنوقة بعد ما جرى للثريا بالأعاصير بارح
وقد ذكرنا تفصيل تلك الأودية التى يصب سيلها في وادى الرشاء .

* * *

٣٥ — وقال النابغة من قصيدته التى رثى بها النعمان بن الحارث الغساني التى مطلعها :
دَعَاكَ الْهَوَى وَاسْتَجَبَلَتْكَ الْمَنَازِلُ وَكَيْفَ تَصَابِي الْمَرْءَ وَالشَّيْبُ شَامِلُ
إلى أن قال في ذكر راحلته :

وَسَلَّيْتُ مَا عِنْدِي بِرَوْحَةٍ عِزْمِيسٍ تَحُبُّ بِرَحْلِي تَارَةً وَتُنَاقِلُ

(١) معجم البلدان ٤ / ٨٩ (٢) صدره * ومسى الجمعى دأداؤها * وهو من قصيدة له يهجو
فيها كافه را الأسود .

مَوْثَقَةَ الْأَنْسَاءِ مَضْبُورَةَ الْقَرَى نَعُوبُ إِذَا كَلَّ الْعِتَاقُ الْمَرَايِلَ
كَأَنِّي شَدَدْتُ الرَّحْلَ يَوْمَ شَدَدْتُهُ عَلَى قَارِحٍ مِمَّا تَضَمَّنَ عَاقِلُ
عاقِل : قد مضى الكلام عليه ، يقال له اليوم « العاقل » يصب في وادى الرقة ، في جهته
الجنوبية مما يلي الرس .

* * *

٣٦ — وقال النابغة في هذه المراثية :

فَآبَ مُصْلُوهُ بِعَيْنٍ جَلِيَّةٍ وَغُودِرَ بِالْجَوْلَانِ حَزْمٌ وَنَائِلُ
سَقَى الْغَيْثُ قَبْرًا بَيْنَ بُضْرَى وَجَاسِمٍ ثَوَى فِيهِ جُودٌ فَاضِلٌ وَنَوَافِلُ
وَلَا زَالَ يَسْقِي بَطْنُ شَرْجٍ وَجَاسِمٍ بَغِيثٌ مِنْ الْوَسْمِيِّ قَطْرٌ وَوَابِلُ
الجولان ، وبُضْرَى : قد مضى الكلام عليهما .

جاسم : قرية بينها وبين دمشق ثمانية فراسخ ، على يمين الطريق إلى طبرية ، سميت باسم
جاسم بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام ، قال حسان بن ثابت رضى الله عنه :
فَقَفَا جَاسِمٍ فَأُودِيَةِ الصَّفَرِ مَفْعَى قَنَابِلٍ وَهَجَانِ

وقد نسب إليها عدى بن الرقاع العاملى الطائى الشاعر ، وقد قال :

لَوْلَا الْحَيَاةُ وَأَنْ رَأْسِي قَدْ عَسَى فِيهِ الْمَشِيبُ لَزُرْتُ أُمَّ الْقَاسِمِ
وَكُنْتُهَا بَيْنَ النَّسَاءِ أَعَارَهَا عَيْنِيهِ أَحْوَرُ مِنْ جَادِرِ جَاسِمِ
وَسَنَانُ أَقْصَدَهُ النَّعَاسُ فَرَنَقْتُ فِي عَيْنِهِ سِنَّةٌ وَلَيْسَ بِنَاسِمِ

أما شرح فقد مضى الكلام عليه في مواضع كثيرة . وأما شرح الذى ذكره النابغة وقرنه
بجاسم فهو واد من أودية جاسم ، وكل واد يطلق عليه لفظ « شرح » .

* * *

٣٧ — وقال النابغة :

وَيَنْبُتُ حَوْذَانَا وَغَوْفًا مُنَوَّرًا سَاتِبِعُهُ مِنْ خَيْرِ مَا قَالَ قَائِلُ
بَكَى حَارِثُ الْجَوْلَانِ مِنْ قَعْدِ رَبِّهِ وَحَوْرَانُ مِنْهُ مُوَحِّشٌ مُتَضَائِلُ
سُجُودًا لَهُ غَسَّانُ يَرْجُونَ أَوْبَهُ وَتُرْكُ وَرَهْطُ الْأَعْجَمِينَ وَكَابِلُ

حارث الجولان ، وجولان ، وحوران : قد مضى الكلام عليها في كتابنا هذا .

* * *

٣٨ — وقال النابغة ، وهو مطلع قصيدته التي ذكر فيها غزوة عمرو بن الحارث الأصغر
في ابني مرة :

هَاجَكَ مِنْ أُنْمَاءِ رَسْمِ الْمَنَازِلِ بِرَوْضَةٍ نَعْمِيَّ فَذَاتِ الْأَجَاوِلِ
رَبَّتْ بِهَا الْأَرْوَاحُ حَتَّى كَانُوا تَهَادَيْنَ أَعْلَى تَرْبِهَا بِالْمَنَاحِلِ
وَكُلُّ مُلِثٍ مُكْفَهَرٍ سَحَابُهُ كَيْشِ التَّوَالِي مُرْتَعِنٍ الْأَسَافِلِ

روضة نعي : قد مضى الكلام عليها ، ولا تكون إلا قريب وادي النعيم الذي ذكرناه روضة نعي
في أبيه نجد .

ذات الأجاويل : لم أجد لها ذكرا في بلاد العرب الآن ، ويمكن أنه قد تغير اسمها .

* * *

٣٩ — وقال النابغة :

نَحَضْتُ بَنِي عَوْفٍ فَلَمْ يَتَقَبَّلُوا وَصَاتِي ، وَلَمْ تَنْجَحْ لَدَيْهِمْ رَسَائِلِي
فَقُلْتُ لَهُمْ لَا أَعْرِفَنَّ عَقَائِلًا رَعَائِبَ مِنْ جَنْبِي أَرِيكَ وَعَاقِلِي

أريك وعاقل

أريك ، وعاقل : قد مضى الكلام عليهما .

* * *

٤٠ — وقال النابغة :

خِلَالَ الْمَطَايَا يَتَّصِنَ وَقَدْ أَتَتْ قَنَانُ أُبَيْرِ دُونَهَا وَالْكَوَاتِلِ
وَحَلُّوا لَهُ بَيْنَ الْجُبَابِ وَعَالِيَجِ فَرَارَ الْخَلِيطِ ذِي الْأَذَاقِ الْمُرَايِلِ
وَلَا أَعْرِفَنِّي بَعْدَ مَا قَدْ نَهَيْتُكُمْ أَجَادِلُ يَوْمًا بَيْنَ شَرَى وَحَائِلِ

قنان أبير

قنان غير المضاف إلى أبير قد مضى الكلام عليه ، وأما القنان المضاف إلى أبير فلا أعلم
موضع في بلاد العرب بهذا الاسم في هذا العهد ، إلا موضع واحداً يقرب اسمه من هذا الاسم ،
وهو من المدينة في جهة مطلع الشمس يقال له « البوير » ولا يزال معروفاً بهذا الاسم إلى
هذا العهد .

الكواتل

الكواتل : قال في معجم البلدان ^(١) : الكواتل : جمع كوثل ، وهو مؤخر السفينة ، واسم
موضع في أطراف الشام مربة خالد بن الوليد لما قصد الشام من العراق . واستدل ابن السكيت
ببيت النابغة المذكور . ثم قال : الكواتل — بالناء — من نواحي أرض دُبَيَّانَ ، تلي أرض كلب .

وأنا أعرف موضعا لا يزال معروفا بهذا الاسم إلى هذا العهد .

الجباب : عطف عاجلا عليها ، وقد مضى الكلام عليها .

الجباب

عاجل : قد مضى الكلام عليه في كتابنا هذا ، وهو الأكتبة المرتكبة عن الأسياح شمالا .

عاجل

شرى : معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، في بلاد طى ، وهو من المياه المعروفة في تلك

شرى

الناحية الشمالية في الجاهلية والإسلام ، وقد أكثر الشعراء من ذكره ، قالت امرأة من طى^(١) :

دَعَا دَعْوَةَ يَوْمِ الشَّرَى بِالْمَالِكِ وَمَنْ لَمْ يُحِبْ عِنْدَ الْحَفِظَةِ يَكَلِّمْ

فِيَا ضَمِيْعَةَ الْفَتَيَانِ إِذْ يَعْتَلُونَهُ بِيْطْنِ الشَّرَى مِثْلَ الْفَنِيقِ الْمَسْدَلِ

أَمَا فِي بَنِي حِصْنٍ مِنْ ابْنِ كَرِيْمَةٍ مِنْ الْقَوْمِ طَلَّابِ الثَّرَاتِ غَشْمَشَمِ

فَيَقْتُلُ حُرًّا بَامْرَى لَمْ يَكُنْ لَهُ بَوَاءٌ ، وَلَكِنْ لَا تَسْكَيلَ بِالْدمِ

وشرى باق بهذا الاسم إلى هذا العهد ، يقع في جهة « حائل » مما يلي مطلع الشمس على

مسافة يوم تقريبا .

حائل : قد مضى الكلام عليها ، وهي عاصمة قرى الجبل ، ولا تزال بهذا الاسم إلى هذا العهد ،

حائل

وأمرها اليوم عبد العزيز بن مساعد بن جلوي ابن عم جلالة الملك

* * *

٤١ — وقال النابغة :

تَحِينُ بِكَفِّهِ الْمَنَايَا وَتَأَرَّةَ تَسْجَانٍ سَجَا مِنْ عَطَاءٍ وَنَائِلِ

إِذَا حَلَّ بِالْأَرْضِ الْبَرِيَّةِ أَصْبَحَتْ كَثِيبَةً وَجْهٍ غَبَا غَيْرُ طَائِلِ

يَوْمُ رَبِيعِي كَانَ زُهَاءُهُ إِذَا هَبَطَ الصَّخْرَاءُ حَرَّةُ رَاجِلِ

حررة راجل : قد مضى الكلام عليها في كتابنا هذا .

حررة راجل

* * *

٤٢ — وقال النابغة في مرثية له في أخيه صحرار ، وهو أخوه لأبيه وأمه ، وأمهاتكة :

لَا يَهْنَأُ النَّاسُ مَا يَرْعَوْنَ مِنْ كَلَالٍ وَمَا يَسُوقُونَ مِنْ أَهْلِ وَمِنْ مَالِ

بَعْدَ ابْنِ عَاتِكَةَ الثَّادِي عَلَى أَبَوَى أَضْحَى يَبْلُدُهُ لَا عَمَّ وَلَا خَالِ

سَهْلِ الْخَلِيقَةِ مَشَاءُ بِأَفْدَحِهِ إِلَى ذَوَاتِ الذَّرَى ، تَحَالِ أَنْفَالِ

حَسْبُ الْخَلِيلَيْنِ نَأَى الْأَرْضِ بَيْنَهُمَا هَذَا عَلَمُهَا ، وَهَذَا تَحْتَهَا بَالِ

(١) معجم البلدان ٥ / ٢٤٥ ، والشرى في هذه الأبيات مقصور كفتى ، وفي بيت النابغة بوزن ظي

أَبَوَى - بفتح الباء - الذى ذكر النابغة أن فيه قبر أخيه : أَسْمُ موضع أو جبل بالشام ، وأما الذى يسكون الباء مقصورا فاسم لقريتين على الطريق السالك من البصرة إلى مكة مثنويتين إلى طَسَم وجَدِيس ، واقعتين فى القصيم ، قال المثقَّب العبدى :

أَلَا مَنْ مُبْلَغُ عَدَوَاتٍ عَنِ وَمَا يُغْنَى التَّوَعُّدُ مِنْ بَعِيدٍ
فَإِنَّكَ لَوْ رَأَيْتَ رَجَالَ أَبَوَى غَدَاةً تَمَرُّوا حَلَقَ الْحَدِيدِ
إِذَا لَفِظْتَ جَنَّةَ ذَى عَرِينٍ وَأَسَادَ الْغَرِيفَةِ فِي صَعِيدِ

والأبواء : موضع معروف بين مكة والمدينة ، ولا يزال بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وقد سئل كثير الشاعر : لماذا سميت الأبواء أبواء ؟ فقال : لأنهم تَبَوَّأُوا بها منزلا ، وهى قريب « الفرع » بينها وبين الجحفة مما إلى المدينة ثلاثة وعشرون ميلا ، قال ابن قيس الرقيات :

فَنَى فَالْجَارِ مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ مُقْفَرَاتٍ فَبِلَدِّ خَمْرَاءَ
فَالْخَيْمِ الَّتِي بَعْثَفَاتٍ أَقْوَتْ مِنْ سُلَيْمَى فَالْقَاعِ فَالْأَبْوَاءِ

وبالأبواء قبر أمته بنت وهب أم النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان السبب فى دفنها هناك أن عبد الله والد رسول الله كان قد خرج إلى المدينة ^(١) يمتار تمرات بالمدينة ، فكانت زوجته أمته بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب تخرج فى كل عام إلى المدينة تزور قبره ، فلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ست سنين خرجت زائرة لقبره ومعها عبد المطلب وأم أيمن حاضنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما صارت بالأبواء منصرفة إلى مكة ماتت بها ، ويقال : إن أبا طالب زار أخواله بنى النجَّار بالمدينة ، وحمل معه أمته أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رجع منصرفا إلى مكة ماتت أمته بالأبواء .

* * *

٤٣ - وقال النابغة :

بَأْتَتْ سُمَادُ وَأَمْسَى حَبْلُهَا أُنْجَدَمَا وَاحْتَلَّتِ الشَّرْعَ فَلَا أَجْزَاعَ مِنْ إِضْمَا
إِخْدَى بَلَى وَمَا هَامَ الْفَوَادُ بِهَا إِلَّا السَّفَاةُ وَالْأَذِكْرَةُ حُلَمَا
لَيْسَتْ مِنَ السُّودِ أَغْقَابًا إِذَا انْصَرَفَتْ وَلَا تَبِيعُ يَحْنَبَى نَحْلَةَ الْبُرْمَا

الشرع : وادٍ معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، قريب صفينة به ماء يقال لها « الشارعة »

(١) المشهور أنه خرج فى تجارة قريش إلى الشام ، فلما كان فى طريقه عائدا إلى مكة مرض فعرج على المدينة ليتعرض فيها عند أخواله - وقيل : أخوال أبيه عبد المطلب - فمات بها .

وهي التي عنها الشاعر .

إضم

إضم : هذا الاسم يطلق على مواضع يسمى كل واحد منها بهذا الاسم : يطلق هذا الاسم على موضع بالعراق معروف بهذا الاسم ، والموضع الثاني : بطن كبير من الأرض في حبة النباخ ، وهو حنظل وأبو الدود ، وبه قصور ونخيل ومزارع ، وهو من قرى الأسياح ، والموضع الثالث : وادٍ يصب من الجبال المجاورة للمدينة حتى ينتهي إلى البحر يقال له « إضم » وهو الذي عنه الشاعر ، وهو الذي عنه سلامة بن جندل ^(١) بقوله :

يا دار أسماء بالعلياء من إضم بين الدّ كادك من قوّ فمضوب
كانت لها مرة دارا فغيرها مرّ الرياح بساقي التّرب مجلوب

الموضع الرابع : منهل في بلاد العرب ، وهو بضم الهمزة ، وأنا لا أعرفه بهذا الاسم ، وهو الذي قال فيه عنتر العبي :

عجلت بنو شيبان مدتهم والبقع أستأها بنو لأم
كنا إذا نفر المطي بنا وبدت لنا أحواض ذى أضم
نعدى فنظمن في أنوفهم نختار بين القتل والغنم
والشرع المتقدم ذكره المجاور لصفيّة هو الذي يقول فيه بشامة بن القدير ^(٢)
لن الديار عَفَوْنَ بالجزع بالدوم بين بحار فالشرع
وهو الذي يقول النابغة فيه أيضا :

لسعدى بشرع فالبحار مساكن قفار تَعَقَّتْهَا شِمَالُ فداجنُ

نخلة

نخلة :ذكروا أن العرب في الجاهلية لهم سوق ، إذا أفضت نخلة الشامية على بستان ابن عامر في مكان عين الجديدة اليوم ؛ هناك سوق تباع فيه على الحاج موجودات البلاد : ومنها البرم ، والبرم : أوان من الطين ، فيها الكبير والصغير ، والكبير منها يطبخ فيه الحنّ من الضأن ، والصغير يستعمل لشرب الماء ، ونخلة الشامية هي التي تمر في عين المضيق وتصب إلى وادي فاطمة جميع سيولها ، وهي التي يقول فيها كثير :

حلفت برب الموضعين عشية وغيطان فذج دونهم فالشقائق
يحنون صبح الحر خوصاً كأنها بنخلة من دون الوحيف المطارق
لقد لقينا أم عمرو بصادق من الصرم أوضاقت عليها الخلائق

* * *

(١) معجم البلدان ١ / ٢٨١ على اختلاف ضبطه في شعر سلامة وشعر عنتر . (٢) المعجم ٥ / ٢٥٢

٤٤ — وقال النابغة :

هَلَا سَأَلْتَ بَنِي ذُبْيَانَ مَا حَسَبِي إِذَا الدُّخَانُ تَغَشَّى الْأَشْمَطَ الْبَرَمَا
وَهَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تِلْقَاءِ ذِي أَرُلٍ تَرْجِي مَعَ الصُّبْحِ مِنْ صُرَادِهَا صِرَمًا
صُهِبَ الظَّلَالُ أَتَيْنَ التِّينَ عَنْ عُرُضٍ يُرْجَيْنِ غَيْمًا قَلِيلًا مَاؤُهُ شِبَا

أرل : موضع ذكروا أنه في بلاد غطفان ، وأنا لا أعرفه بهذا الاسم في هذا العهد ، وأمرؤ
تبس ذكره بضبط آخر حين قال :

تَخَطَّفَ خِرَانُ الشَّرْبَةِ بِالضُّحَى وَقَدْ حَجَرَتْ مِنْهَا ثَعَالِبُ أَوْرَالِ

التين : جبل أعرفه بهذا الاسم في هذا العهد ، وهو في بلاد بني أسد ، بالقرب من سميراء ،
وهو معروف عند عامة أهل نجد بهذا الاسم في الجاهلية وفي الإسلام ، وهذا الجبل قد رأيته ، أصله
وحد ، وأعله كأنه جبالان ، قال شاعر أسدي^(١) :

أَلَا لَيْتَ شَعْرَى هَلْ أَبَيَنَّ لَيْلَةً بِأَسْفَلِ ذَاتِ الطَّلَحِ مَمْنُوعَةَ رَهْبَا
وَهَلْ قَائِلُ هَذَا كُمُ التِّينِ قَدْ بَدَا كَأَنَّ ذُرَى أَعْلَامِهِ عَمَّتْ عَصْبَا
وَلَا شَارِبَ مِنْ مَاءِ زَلْفَةِ شَرْبَةٍ عَلَى الْقَلِّ مَنَى أَوْ مُجِيرٌ بِهَارِ كَبَا

وأنشد شاعر آخر أسدي ، وثناه :

أَحَبُّ مَغَارِبِ التِّينِينَ إِنِّي رَأَيْتُ الْفَوْثَ يَأْلِفُهَا الْغَرِيبَ
كَأَنَّ الْجَارَ فِي شَمَجَى بْنِ جَرَمٍ لَهُ نَعَاءٌ أَوْ نَسَبٌ قَرِيبَ

وقال شاعر من بني قُصْعَسَ ، وقد ثناه أيضا :

أَرَقَّقِي اللَّيْلَةَ بَرْقًا لَامِعًا مِنْ دُونِهِ التِّينَانِ وَالرَّبَائِعُ

والربائع قد مضى الكلام عليها ، وهي باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد قريب التين ، وقال

عمرو بن عبد الرحمن :

أَحَقُّا ذُرَى التِّينِينَ أَنْ لَسْتُ رَائِيًّا قَلَالَكُمَا إِلَّا لِعَيْنِي سَاكِبُ

وهناك جبل آخر يقال له « تين » واقع جنوبي منهل القنصلية الواقعة في أسفل الوادي

وادي الخزومة ، يبعد عنها مسافة نصف يوم ، وشرقي بلد الخزومة على مسافة يوم أو أكثر ، معروف

عند عامة أهل نجد بهذا الاسم

* * *

(١) انظر معجم البلدان ٣ / ٤٤٤ وفيه « ممنوعة رهبا »

٤٥ - وقال النابغة :

بَاتَتْ ثَلَاثَ لَيَالٍ ثُمَّ وَاحِدَةً بِذِي الْمَجَازِ تُرَاعِي مَنَزِلًا زَيْمًا
فَالنَّشَقَّ عَنْهَا عَمُودُ الصَّبِيحِ جَافِلَةً عَدَوُ النَّحُوصِ تَخَافُ الْقَائِمَ اللَّحِمًا

وفيهما :

تَحِيدُ مِنْ أَسْتَنْ سُوْدٍ أَسَافِلُهُ مَشَى الْإِمَاءُ الْفَوَادِي تَحْمِلُ الْخُزْبَا
أَوْزَى وَشُومٍ يَحْوِضِي بَاتَ مُنْكَسِرًا فِي لَيْلَةٍ مِنْ جُمَادَى أَخْضَلَتْ دِيَمًا

ذو المجاز^(١) واقع في وادي المغنس ، إذا قطعت وادي الشرائع المعروف وأنت قاصدٌ مكة ، أنيت وادي المغنس في الطريق على يسارك ، فإذا أنت حاذيت كُنبَك فهو هناك ، فيه آثار قديمة لاتزال ماثلة إلى هذا العهد ، وهو سوق من أسواق الجاهلية المشهورة ، ولكن هذا الاسم قد أُمحى واضمحل إلا عند القليل ، قال حسان بن ثابت رضي الله عنه يخاطب أبا سفيان في شأن أبي أزيهر ، وكان الوليد بن المغيرة المخزومي قَتَلَهُ ، وكان أبو سفيان صِهْرُهُ ، فأراد حَقْنُ الدماء وأدَّى عَقْلُهُ^(٢) ، ولم يطالب بدمه ، فقال^(٣) :

غدا أهلُ ضَوْجِي ذِي الْمَجَازِ كَلِيهَمَا وَجَارُ ابْنِ حَرْبٍ بِالْمُعَسِّ مَا يَفْعِدُو
وَلَمْ يَمْنَعْ الْعِيرَ الضَّرُوطُ ذِمَّارَهُ وَمَا مَنَعَتْ تَحْزَنَةَ وَالِدَهَا هَنْدُ
كَسَاكَ هِشَامُ بْنُ الْوَلِيدِ ثِيَابَهُ فَأَبْلَى وَأَخْلَقَ مِثْلَهَا جُدًّا بَعْدُ

وقال المتوكل الليثي :

لِلْغَانِيَاتِ بِذِي الْمَجَازِ رَسُومُ فِي بَطْنِ مَكَّةَ عَهْدُهُنَّ قَدِيمُ
لَا تَنْسَهُ عَنْ خَلْقٍ وَتَأْتِي مِثْلُهُ عَارُ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ

حوضي : جبل أسود في عالية نجد لبني عامر بن صعصعة ، عند ماء يقال لها « ورشة » يقع شرقها ، على مسافة نصف ساعة للراجل ، وهو معترض شمالا وجنوبا ، من أحد طرفَيْهِ إلى طرفهِ الآخر مسافة ساعة للراجل ، وهو باق بهذا الاسم إلى هذا العهد لم يتغير منه شيء ، وأحببت أن أورد ما حضرني من الشواهد لشعراء^(٤) الجاهلية وغيرهم ، قال أبو خِرَاشٍ الهذلي :

فَأَقْسَمْتُ لَا أُنْسِي قَتِيلًا رَزْنَتُهُ بِجَانِبِ حَوْضِي مَا مَشَيْتُ عَلَى الْأَرْضِ

(١) المجاز فيه بئر باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد ، يقال لها « ذو المجاز » وهي في الموضع الذي ذكرنا تحديده ، يعرفها جميع أهل تلك الناحية (٢) العقل - بالفتح - الدية (٣) انظر معجم البلدان ٣٨٥/٧ (٤) انظر جميع هذه الشواهد في معجم البلدان ٣٦٦/٣

وقال أبو ذؤيب :

من وحش حوضى يراعى الصيد مبتقلا كأنه ككوكب فى الجو منفرد ويروى منجرد
وقرأت فى نوادر أبى زياد : حوضى منازل بنى عقيل ، وفيه حجارة صلبة ، ليس بنجد أصلب
منها ، قال ذو الرمة :

إذا ما بدت حوضى وأعرض حارك من الرمل تمشى حوله العين أغفر
لقد صدق غيلان فى هذا التشبيه ، لأن الحارك المرتفع من الرمل ، وحوضى يجاورها عرق سبيع
وهى فى صفته الشرقية ، يرى جبل حوضى من مسافة يوم أو أكثر ، وهى أعظم دليل للسفار على
مادة « ورشة » وهى بئر واحدة لكنها لا تنضب على كثرة من يردّها . وقد وردت هذا المنهل
مراراً ، ومررت على حوضى فى طريقى للتجارة .

وقرأت فى بعض الكتب أن أعراية توفى زوجها فخطبها ابن عم لها ، فأطرقت وجعلت تنكت
الأرض بأصبعها حتى خدّت فيها حفيراً وملاّته بدموعها وقد دفن زوجها فى سفح حوضى ، ثم قالت :

فإن تسألانى عن هَوَاى فإنه مقيمٌ بحوضى أيها الرجلانِ
وإن تسألانى عن هَوَاى فإنه رهينٌ له بالث يافتَيَاكِ
وإنى لأستحييه والتربُّ بيننا كما كنت أستحييه وهوَ يرانى
أهابك إجلالاً وإن كنت فى التَّرى وأكره حقاً أن يسؤك مكافى

فقام الفتى وأيس منها ، ثم رآها بعدُ عند قبر زوجها فى أحسن زى ، فقال لرجل معه : أمارى
فلانة فى أحسن زى ؟ لقد خرجت متعرضة للرجال ، فلما دنت من قبر زوجها التزمته وأنشأت تقول :

يا صاحبَ القبرِ يامن كان يَنعمُ بى عيشاً ويكثر فى الدنيا مُواتاتى
لما علمتْك تهوى أن ترائى فى حلى وتهواه من ترجيع أصواتى
فمن رآنى رأى حَبْرَى مُفَجَّعةً بشهرة الزى أبكى بين أموات

ثم شهقت شهقة فارقت معها الدنيا ، فدفنت إلى جنب زوجها .

وقال القتال الكلابى ، وحوضى من بلاد قومه :

وما أنس مِلاً شيئاً لا أنس نسوة طوالع من حوضى وقد جَنَحَ العصر
ولا موقفى بالعَرَج حتى أجنها على من العَرَجَيْنِ أسيرة حر
طوالع من حوضى الرداة كأنها نواعم من مرّان أوقرها النشر
بشرقيّ حوضى أخترتى منازل قفار ، جلالى عن معارفها القطر

تَنْبِرُ وَتُشْدِي الزَّيْجَ فِي عَرَصَاتِهَا كَمَا نَحْمُ الْقُرْطَاسَ بِالْقَلَمِ الْحَبْرُ
وَحِيطَ نَعَامَى الرِّبْدِ فِيهَا كَأَنَّهَا أَبَاعِرُ ضَلَالٍ بَابَاطِهَا نَشْرُ
وحوضى : واقعة شرقى عرق سبيع وغربى جبل الصاقب .

* * *

٤٦ — وقال النابغة :

بَاتَ بِحَقْفٍ مِنَ الْبَقَارِ يَحْفَرُهُ إِذَا اسْتَكْفَ قَلِيلًا تَرْبُهُ انْهَزَمَا
مَوْلَى الرِّيحِ رَوْقِيهِ وَجَبْهَتَهُ كَالْهَبْرِ قِي تَنْحَى يَنْفَعُ الْفَحْمَا

البقار : المواضع التى أعرفها بما يقرب من هذا الاسم فى هذا العهد منها «أبقار» وهى أودية وسفان بين منهل غفيف ومنهل القاعية على الطريق السالك من مكة إلى الرياض ، وموضع «أبقار» بين المنهلين ، وهى التى قال فيها صاحب المعجم^(١) : هى من الحمى ، واستدل بقول الشاعر :

إِلَّا كِدَارُكُمْ بِذِي بَقَرٍ الْحَمَى هِيَهَاتَ ذُو بَقَرٍ مِنَ الْمُرْدَارِ

وقال القحيف العقبلى وهو يقصد «أبقارا» المشار إليها ، لأنه من أهل تلك الناحية :

فِيَا عَجَبَا مِنِّي وَمَنْ طَارِقِ الْكَرَى إِذَا مَنَعَ الْعَيْنَ الرِّقَادَ وَسَهْدَا

ومن عبرة جاءت شَائِبَ أَنْ بَدَا بِذِي بَقَرٍ آيَاتِ رُبْعٍ تَابَدَا

وأعرف وادياً يقرب أسمه من هذا الاسم إلى هذا العهد ، وهو واقع بين الزلفى والأرطاوية ، يقال لذلك الوادى « بقر » ، وأعرف منهلًا فى عالية نجد يعد من الأملاح ، يقال له « البقرة » وهو من أعذب الأملاح ، وأعرف مخلافا من مخاليف الطائف يقع جنوبى الطائف يقال له « بقران » .

* * *

٤٧ — وقال النابغة :

حَتَّى غَدَا مِثْلَ نَصْلِ السَّيْفِ مُنْصَلَّتَا يَقْرُو الْأَمَاعِزَ مِنْ لُبْنَانَ وَالْأَكَا

وَعَارَةَ ذَاتِ أَظْفَارٍ مُدْمَلِمَةً شَعْوَاءَ تَمْسِفُ الصَّحْرَاءَ وَالْأَكَا

أَقْدَمَتْهَا وَنَوَاصِي الْحَلِيلِ شَاحِبَةً جَرْدَاءَ عِجْلَزَةٍ أَرْمَى بِهَا قُدْمَا

لبنان : شهرته تكفى عن تحديده ، ولكنى أحب أن أورد عبارة صاحب معجم البلدان^(٢) قال : لُبْنَانٌ — بالضم وآخره نون — قال رجل لآخر : لى إليك حُويجة ، فقال : لا أقضيها حتى تكون لبنانية ، أى مثل لبنان ، وهو اسم جبل ، وهو فُعْلَانٌ منصرف ، كذا قال الأزهري ،

لبنان

ولبنان : جبل مطل على حمص ، يحجى من العرج الذى بين مكة والمدينة حتى يتصل بالشام ، فما كان بفلسطين فهو جبل الحجل ، وما كان بالأردن فهو جبل الجليل ، وبدمشق سنير ، وبحلب وحماة وحمص لبنان ، ويتصل بأنطاكية والمصيصة فيسمى هناك اللكّام ، ثم يمتد إلى ملطية ومُتيساط وقالقلا إلى بحر الخزر فيسمى هناك القيق ، وقيل : إن فى هذا الجبل سبعين لسانا ، لا يعرف كل قوم لسان الآخرين إلا بترجمان ، وفى هذا الجبل المسمى لبنان كورة بجمص جلييلة ، وفيه من جميع الفواكه والزرع من غير أن يزرعها أحد ، وفيه يكون الأبدال من الصالحين ، وقال أحمد بن الحسين بن حيدرة المعروف بابن الخراسانى الطرابلسي :

دَعُونِي لَقَى فِي الْحَرْبِ أَطْفُو وَأَرْسُبُ وَلَا تَنْسَوْنِي فَالْقَوَاضِي تَنْسُبُ
وَإِنْ جَهِلْتُ جِهَالَ قَوْمِي فَضَائِلِي فَقَدْ عَرَفْتُ فَضْلِي مَعَدُّ وَيَعْرَبُ
وَلَا تَعْتَبُونِي إِذْ خَرَجْتُ مُغَاضِبًا فَمِنْ بَعْضِ مَا بِي سَاحِلُ الشَّامِ يَغْضِبُ
وَكَيْفَ التَّذَادِي مَاءَ دَجَلَةٍ مَعْرَقَا وَأُمُوَاهُ لِبْنَانُ الَّذِي وَأَعْذِبُ
فَالِي وَالْأَيَّامِ لَا دَرَدَرَهَا تُشْرِقُ بِي طَوْرًا وَطَوْرًا تَقْرُبُ

٤٨ — وقال النابغة :

أَبْلُغْ بَنَى ذِيكَانَ أَنَّ لَا أَخَاهُمْ يَعْشَبُ إِذَا حَلُّوا الدَّمَاحَ فَأَظْلَمَا
يَجْمَعُ كَلَوْنَ الْأَعْبَلِ الْجَوْنَ لَوْنُهُ تَرَى فِي نَوَاجِيهِ زُهَيْرًا وَجَذِيمَا

دماخ : لا أعرف موضعا بهذا الاسم إلا جبلا مشهوراً في عالية نجد يقال له «دمخ» وهو باقٍ على اسمه إلى هذا العهد ، وقد مضى الكلام عليه

فأما «أظلم» فأنا أعرفه ، وهو باقٍ بهذا الاسم إلى هذا العهد ، تراه عينك إذا كنت في حناكية ، يقع في غربيها الشمالى على مسافة أقل من نصف يوم ، وهو الذى قال فيه ^(١) كثير :

سَقَى الْبَكْدَرُ فَالْغُبَاءُ فَالْبَرْقُ فَالْحَمَى فَلَوْذَ الْحَصَى مِنْ تَغْلَمَيْنِ فَأَظْلَمَا

وأظلم معروف عند جميع أهل نجد في تلك الناحية التى ذكرنا ، والمواقع التى ذكرها كثير فى هذا البيت — وهى : الكدر ، واللعباء ، والبرق — كلها باقية بهذه الأسماء إلى هذا العهد ، يطوف عليها الراكب فى يوم ونصف يوم ، أما أظلم فى شماليتها وأما اللعباء فى جنوبيتها .

وقد كنت فى الحناكية ضيفا عند أحمد بن نيف العلوى فى أواخر الحرب العظمى سنة ١٣٣٧

هجرية ، فينا نحن في قصره نشرب القهوة سألت أهل تلك البلد عن جبل معترض أسود فقالوا : هذا الجبل أظلم ، وقد كنت رأيت ذكره في الأشعار وفي كتب المعاجم ، فغربت الشمس عنا ونحن جلوس مما يلي طرفة الغربي ، ولا يبعد أظلم عن الحناكية أكثر من نصف يوم .

أما جبل دماخ فقد ذكرت أنى لا أعرفه ولا أعرف موقعه ، إلا أنى خرجت من الحناكية يوماً وسرت متجهاً إلى جهة الشرق قاصداً قريات الحمى مسكة وضرية ، فلما خلفت جبل رَحْرَحَان المتاخمة للحناكية الواقع في جنوبها التفت على يميني ثم سألت رجلاً في صحبتنا من أهل تلك الناحية : ما هذه الهضبة ؟ فقال : هي « الدمخاء » وأعتقد أن الدمخاء هذه هي دماخ الذي ذكره النابغة ، فلما خلفنا الدمخاء المذكورة التفت على يميني فرأيت أبرق رملٍ مرتفعاً إلى السماء في أرض مصطحبة ، فقلت لصاحبي : ما هذا الأبرق ؟ فقال : هذا « قوز اللباء » الذي تسمع به ، نعم الله الناس به ، فقلت : ما سبب المنفعة ؟ قال : إن به جنًا يسكنونه ، فإذا اشتكى المريضُ خرجوا به إلى هذا القوز ، فيذبحون عنده ويهدون إليه الحلى والحلل وخواتم المرضى ، فقلت له : إلى هذا العهد ؟ فقال : إلى هذا العهد ، ولكنه قد قل اليوم خوفاً من تأديب الحكومة ، وهذه إحدى خرافات الأعراب المقيمين في بلا غطفان ، وثمة خرافة أخرى لأعراب عتيبة تتعلق بأبرق خنوقة الذي على طريق مكة ، إذا قطعت وادي الرشا وأنت قاصد مكة وخلفت جبل ذريع جهة منكبك الأيسر ثم التفت إلى يمينك رأيت هضبة شبيهة بها أبرق رملٍ له ذكر في أشعار العرب بهذا الاسم إلى هذا العهد ، ولكن هذه الخرافات انقطعت ببركة جلالة الملك وهمته وإقامته معالم الدين وإزالة البدع والخرافات .

وسبب نزول أحمد بن نيف بِلَد الحناكية الذي كنت ضيفاً عنده أنه لما كانت الحرب العظمى أخرج لغزى باشا جميع قبائل حرب من المدينة وضواحيها ، فنفروا في البلاد ، ونزل جماعة من بني على وغيرهم بِلَد الحناكية ، وبنو على المقيمون في العوالى الذين منهم أحمد بن نيف المذكور جميعهم رافضة ، إلا هذا الرجل ، وجدته شافعي المذهب ، له تقي ودين ، فقلت له : ما السبب في تركك مذهب قومك ؟ قال : هلك والدي وأنا في حجر والدي ، فتزوجها رجل من أهل المدينة شافعي المذهب عالم في شرائع الإسلام ، فرباني ونشأت على تربيته ، وأحمد الله الذي وفقني وأخرجني من هذه الطعمة الضالة ، وليس لهذا الرجل إلا الدعاء له بالجنة

كَأَنَّ الشَّدَرَ وَالْيَاقُوتَ مِنْهَا عَلَى جَيْدَاءِ قَاتِرَةِ الْبُخَامِ
خَلَّتْ بِفَزَالِهَا وَدَنَا عَلَيْنَا أَرَاكَ الْجُزْجَ أَسْفَلَ مِنْ سَنَامِ
تَسْفُؤُ بَرِيرَةٍ وَتَرُودُ فِيهِ إِلَى دُبُرِ النَّهَارِ مِنَ الْقَسَامِ
كَأَنَّ مُشْفَعًا مِنْ خَمَرٍ بُضْرَى نَمَتُهُ الْبَخْتُ مَشْدُودَ الْخِتَامِ
نَعْنَيْنَ فَلَالَهُ مِنْ يَبْتِ رَأْسِي إِلَى لُقْمَانَ فِي سُوقِ مُقَامِ

سَنَام : أعرف ثلاثة مواضع يقال لكل واحد منها سنام ، اثنان منها في بلاد العرب ، والثالث قعة أحدثها القنع الخارجي ، وهي التي عنها مالك بن الرِّيب في قوله حين خرج مع سعيد بن عثمان بن عفان إلى خراسان :

تَدَكَّرْنِي قَبَابُ التَّرْكِ أَهْلِي وَمَبْدَأُهُمْ إِذَا نَزَلُوا سَنَامَا
وَصُوتُ حَمَامَةٍ بِجِبَالِ كَشٍّ دَعَتْ مِنْ مَطْلَعِ الشَّمْسِ الْحَمَامَا
فَبَتْ لَصُوتِهَا أَرْقًا وَبَاتَتْ بِمَنْطِقِهَا تَرَاجُعِي الْكَلَامَا

والموضعان اللذان في بلاد العرب أحدهما جبل مجاور لبلد الزبير يقال له « سنام » وذكروا فيه أخباراً كثيرة أغلبها قريب من الخرافات ، قالوا : إن بحنبه ماء كثير الساقى ، ولا شك أنه ماء سَفَوَان ، قال صاحب معجم البلدان^(١) : إنه أول ماء يرده الدجال من مياه بلاد العرب ، وذكروا في رواية ثانية أنه سار من الحجاز حتى وقف مكانه الآن متاخماً لبلد الزبير ، ونباته الذي فيه من -ت جبال الحجاز : القطف ، والإذخر ، والقياء ، كلها موجودة فيه ، وقالوا : إن ذلك الجبل صريقه وادى الرمة الذى يصب من قريب الحجاز وينتهى قريب الزبير ، ولكن هذه خرافات لا ينصورها العقل وقد اختصرناها ، وهذا الجبل قريب من الزبير ، ولم أرفيه أشعاراً وهو أشهر -وصفين المعروفين بهذا الاسم إلى هذا العهد ، والجبل الثانى جبل صغير له رأس في بلاد غطفان ، قريب ماء المرير ، يقال له « سنام » وهو الذى قال فيه شاعر من غطفان :

شَرِبْنِ مِنْ مَآوَانٍ مَاءُ مَرٍّ وَمِنْ سَنَامٍ مِثْلَهُ أَوْشَرًا

أما قوله « من ماوان » فإنه قصد ماء المويه التى تحت جبل ماوان ، وهى من أَمَرِّ المياه ، وقصد بسنام ماء المرير الذى يقول فيه الأعرابي حين مجت ناقة الماء :

هَذَا الْمَرِيرُ فَاشْرَبِيهِ أَوْ ذَرِي إِنَّ الْمَرِيرَ قِطْعَةٌ مِنْ أَخْصَرِي

وهذا الجبل يدخل في ذكر الحَمَيْنِ : حمى الرَبْدَة ، وحمى ضرية ، وهو الذى يقول فيه الشاعر
 أحقًا عبادَ الله أن لستُ ناظرًا سَنَامَ الحمى أخرى الليالى العوابر
 كأنَّ فؤادى من تَدَكَّرَه الحمى وأهلَ الحمى يهفو به ريشُ طائر
 وهذه الأبيات للصفحة بن عبد الله القُشَيْرِى ، قالها وهو مريض في « طبرستان » وهى في قصيدة
 طويلة ، ومات هناك من ذلك المرض .

بصرى : قد مضى الكلام عليها .
 بيت رأس : اسم لقريتين ^(١) في كل واحدة منهما كروم كثيرة ينسب إليهما الخمر : إحداهما بالبيت
 المقدس ، وقيل : بيت رأس كورة بالأردن ، والأخرى من نواحي حلب : قال حسان بن ثابت :
 كأنَّ سيئةً من بيت رأسٍ يكون مزاجها عسلًا وماء
 فنشربها فتركنا ملوكًا وأسداً ما ينهبننا اللقاء
 وهذه الأبيات من قصيدة لحسان بن ثابت رضى الله عنه قالها في فتح مكة ؛ مطلعها :
 عفت ذات الأصابع فالجواء إلى عذراء منزلهما خلاء
 وقال أبو نواس يذكر بيت رأس :

دثار من غنية أو سليبي أو الدهماء أخت بنى الحماس
 كأن معاهد الأوضاح منها يجيد أغنَّ نوم في الكناس
 وتبسم عن أغر كأن فيه محاج سلافة من بيت راس

* * *

٥٠ — وقال النابغة :

ولكن ما أتاك عن ابن هندٍ من الحزم المبين والتَّام
 فداء ما ثقل النعل منى إلى أعلى الذَّوَابَةِ للهمام
 ومغزاه قبائل غائطات على الدهيوط في لجب لهمام

إلى أن قال :

وأنَّ القومَ نصرهمُ جميعَ فنام مجذبون إلى فنام
 فأوردَهُنَّ بطنَ الأثم شعثًا يصنَّ المشى كالحدِّ الثَّوامِ

ذهيوط ، لا أعرفه بهذا الاسم في بلاد العرب ، ولا أعرفه في غيرها ، إلا أن صاحب معجم
 - بن (١) قال : ذَهْوُوطٌ على مثال قسور : موضع عن ابن دريد ، وقال أيضاً : ذهيوط - بوزن
 عَسُوَط - واستدل ببית النابغة الذي أوله « ومغراه » .

الأنثم : قيل : إنه موضع بالعراق ، والرواية الثانية أن الأنثم قرى واقعة في حرّة بنى سليم ،
 بين وبين المسلح تسعة أميال ، وهي من منازل حاج البصرة القاصدين لمكة ، وقال ابن
 كيت (٢) : الأنثم اسم جامع لقرى أربع : حاذة ، وقيما ، والمحدث ، والقيما ، وأنا لا أعرف
 موضعاً بهذا الاسم ولا قرية من تلك القرى . إلا حاذة فإنها باقية بهذا الاسم في بلاد بنى سليم ،
 وقريب منها صفينة والسوارقية ، وقريب منها بلد المهدي المعدن المعروف في بلاد بنى سليم ، وقد
 ذكر عمرو بن كلثوم الأنثم في قصيدة له حين قال :

صَبَحْنَا هُنَّ يَوْمَ الْأَنْثَمِ شَعْنًا قَرَّاسًا وَالْقَبَائِلَ مِنْ غِفَارِ

ويمكن أن هذا الاسم باق في ألسن سكان تلك الناحية إلى هذا العهد بلفظة الأنثم .

* * *

٥١ — وقال النابغة :

يُوصَيْنَ الرُّوَاةَ إِذَا أَلَمُوا بِشُعْتٍ مُكْرَهَيْنَ عَلَى الْعِظَامِ
 وَأَضْحَى سَاطِعًا بِجِبَالٍ حَسْنَى دُقَاقُ التُّرْبِ مُحْتَزَمَ الْقَتَامِ
 فَهَمَّ الطَّالِبُونَ لِيُدْرِكُوهُ وَمَا رَامُوا بِذَلِكَ مِنْ مَرَامِ
 إِلَى صَعْبِ الْمَغَارَةِ مُنْذِرِي نَمَاءٍ فِي فُرُوعِ الْمَجْدِ نَائِي

حَسْنَى : أحببت أن أورد عبارة كاملة لصاحب المعجم على حسنى ، وهي (٣) يجوز أن يكون
 حسم من الحسم ، وهو المنع ، وهي أرض بيادية الشام ، بينها وبين وادى القرى ليلتان ، وبين
 وادى القرى والمدينة ست ليال ، قال الراجز :

جاورن رمل أيلة الذّهاسا وبطن حسنى بلداً هرّماسا

أى واسعا ، وأيلة : قريبة من وادى القرى ، وحسنى : أرض غليظة ، وماؤها كذلك ،
 لا خير فيها ، تنزلها جذام ، وقال ابن السكيت : حسنى لجذام ، جبال وأرض بين أيلة وجانب
 تيه بنى إسرائيل الذى يلى أيلة ، وبين أرض بنى عذرة من ظهر حرة نهيل ، فذلك كله حسنى ،
 قل كثير :

(١) معجم البلدان ٢٠٠/٤ (٢) معجم البلدان ١٠٥/١ (٣) معجم البلدان ٣/٢٧٦

(٨ - صحيح الأخبار ٢)

سَيَاتِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَدَوْنَهُ جَاهِلِيَّ حَسْمَى قُورَهَا وَحَزُونَهَا
تَجَاوَبَ أَصْدَائِي بِكُلِّ قَصِيدَةٍ مِنْ الشَّعْرِ مُهْدَاةً لِمَنْ لَا يُهْنِيهَا

ويقال : آخر ماء نَضَبَ مِنْ ماء الطوفان حَسْمَى ، فَبَقِيَتْ مِنْهُ هَذِهِ الْبَقْعَةُ إِلَى الْيَوْمِ ، فَذَلِكَ هُوَ أَخْبَثُ مَاءٍ ، وَفِي أَخْبَارِ الْمُتَنَبِّئِي وَحِكَايَةِ مَسِيرِهِ مِنْ مِصْرَ إِلَى الْعِرَاقِ قَالَ : حَسْمَى أَرْضٌ طَيِّبَةٌ ، تَوْدِي لَيْلِينَ النَّخْلَةَ مِنْ لَيْلِيهَا ، وَتَنْبِتُ جَمِيعَ النَّبَاتِ ، مَمْلُوءَةٌ جَبَالًا فِي كِبْدِ السَّمَاءِ مُتَنَاحَةٌ مُلْسُ الْجَوَابِ إِذَا أَرَادَ النَّاضِرُ النَّظَرَ إِلَى قُلَّةٍ أَحَدَهَا قَتَلَ عُنُقَهُ حَتَّى يَرَاهَا بِشِدَّةٍ ، وَمِنْهَا مَا لَا يَقْدِرُ أَنْ يَرَاهُ ، وَلَا يَكَادُ الْقِتَامُ يَفَارِقُهَا ، وَلِهَذَا قَالَ النَّابِغَةُ :

فَأَصْبَحَ عَاقِلًا بِجِبَالِ حَسْمَى دَفَاقَ التَّرْبِ مُحْتَزَمَ الْقِتَامِ

وَاخْتَلَفَ النَّاسُ فِي تَفْسِيرِهِ وَلَمْ يَعْلَمُوهُ ، وَيَكُونُ مَسِيرَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي يَوْمَيْنِ ، يَعْرِفُهَا مَنْ رَأَاهَا حَيْثُ يَرَاهَا ، لِأَنَّهَا لَا مِثْلَ لَهَا فِي الدُّنْيَا ، وَمِنْ جِبَالِ حَسْمَى جَبَلٌ يَعْرِفُ بِإِرَمٍ عَظِيمٍ الْعُلُوِّ ، تَزْعُمُ أَهْلُ الْبَادِيَةِ أَنَّ فِيهِ كُرومًا وَصُنُوبَرًا ، وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ « تَخْرُجُكُمْ الرُّومُ مِنْهَا كُفْرًا كُفْرًا إِلَى سِنْبِكَ مِنَ الْأَرْضِ » قِيلَ لَهُ : وَمَا ذَلِكَ السِّنْبِكُ ؟ قَالَ : « حَسْمَى جَذَامٌ » وَقَرَأْتُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ أَنَّ بَعْضَ الْعَرَبِ قَالَ : إِنْ اللَّهُ اجْتَبَى مَاءَ إِرَمَ وَالْبَدِيعَةَ وَنَعْمَانَ وَعَلَلَانَ بِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَهَذِهِ الْمِيَاهُ كُلُّهَا بِحَسْمَى ، وَفِي كُتُبِ السَّيْرِ وَأَخْبَارِ نُوحٍ أَنَّ حَسْمَى جَبَلٌ مُشْرِفٌ عَلَى حَرَّانَ قَرِبَ الْجَوْدَى ، وَأَنَّ نُوحًا نَزَلَ مِنْهُ فِي بَنِي حِرَانَ ، وَهَذَا بَعِيدٌ مِنْ جِهَتَيْنِ : إِحْدَاهُمَا أَنَّ الْجَوْدَى بَعِيدٌ مِنْ حِرَانَ ، بَيْنَهُمَا أَكْثَرُ مِنْ عَشْرَةِ أَيَّامٍ ، وَالثَّانِيَةُ أَنَّهُ لَا يَعْرِفُ بِالْجَزِيرَةِ جَبَلٌ يَقَالُ لَهُ حَسْمَى .

أَمَّا ذُو حَسْمَ الَّذِي ذَكَرَهُ لَبِيدٌ فِي شَعْرِهِ فَإِنَّهُ غَيْرُ حَسْمَى الَّتِي ذَكَرَهَا النَّابِغَةُ وَالَّتِي أَوْرَدْنَا عَلَيْهَا الشُّوَاهِدَ ، وَأَصَحُّ مَا وَرَدَ فِي حَسْمَى الْعِبَارَةُ الَّتِي أَوْرَدْنَا ، وَأَهْلُ تَبْلُوكَ يَرُونَ جَبَلَ حَسْمَى فِي غَرْبِهِمْ وَفِي شَرْقِهِمْ وَشُرُورَى ، وَهَذِهِ آيَاتُ لَبِيدٍ فِي ذِي حَسْمَ^(١)

لَيْبِكَ عَلَى النِّعْمَانِ شَرِبَ وَقَيْنَةَ وَمُخْتَبَطَاتِ كَالسَّمَاءِ أَرَامِلُ
لَهُ الْمُلْكُ فِي ضَاحِي مَعَدٍ ، وَأَسْلَمَتْ إِلَيْهِ الْعِبَادُ كُلُّهَا مَا يَحَاوِلُ
فِيَوْمًا عِنَانًا فِي الْحَدِيدِ يَكْفُهُمْ وَيَوْمًا جِيَادًا مُلْجَمَاتٍ قَوَافِلُ
بَذَى حُسَمٍ قَدْ عُرِّيَتْ وَيَزِينُهَا دِمَاطُ فَيْحٍ رَهْوَهَا وَالْحَافِلُ

وَذُو حَسْمَ لَا أَعْرِفُهَا بِهَذَا الْأَسْمِ فِي بِلَادِ الْعَرَبِ . أَعْرِفُ حَسَلَاتٍ ، وَهِيَ هَضْبَتٌ بَيْنَ شُعْبَى

وبين عريق الدسم ، معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد .

* * *

٥٢ — وقال النابغة :

طَلَعُوا إِلَيْكَ بِرَأْيَةِ مَعْرُوفَةٍ يَوْمَ الْأَنْبَسِ إِذْ لَقِيتَ لَيْثًا
قَوْمٌ تَدَارَكَ بِالْمَقِيرَةِ رَكْضُهُمْ أَوْلَادَ زُرْدَةَ إِذْ تَرَكْتَ ذَمِيمًا

الأنيس

الأنيس : لا أعلم في بلاد العرب موضعاً بهذا الاسم ، إلا أنى أعرف جبلاً أحمر منقطعاً من جبال طخفة الواقعة في عالية نجد ، يقع في جنوبها بين وادي الريان وجبال كبشات يقال له « إنسان » في هذا العهد ، كأنه إنسان واقف ، وهو الذي يقول فيه الراجز^(١) :

خَلِيَّةُ أَبْوَابِهَا كَالطَّيْقَانِ أَحْمَى بِهَا الْمَلِكُ جَنُوبَ الرِّيَّانِ
فَكَبْشَاتُ جَنْوَبِي إِنْسَانٍ

والريان الذي قرن بإنسان : وادٍ عظيم بين طخفة وغول ، قد مضى الكلام عليه في معلقة امرئ القيس ، ليس بجبل ، ويمكن أن النابغة قصد هذا الجبل المسمى اليوم بإنسان .

العقيرة

العقيرة : لا أعرف في بلاد العرب موضعاً بهذا الاسم ، وأعرف موضعاً يقرب اسمه من هذا الاسم ، وهو مرسى هجر ، يقال له « العقير » في هذا العهد ، ويمكن أن اسمه كان في الجاهلية العقيرة ، لأن صاحب معجم البلدان قال : العقيرة مدينة على البحر ، بينها وبين هجر ليلة ، والمواقع التي تقارب هذا الاسم كثيرة : منها « عقار » موضع قريب اليمامة ، وفيه وقع يوم عقار على بني تميم وكان فارسهم شهاب بن عبد قيس ، فقتله سيار بن عبيد الحنفى ، وفي ذلك يقول شاعرهم :

وَأَوْسَعْنَا بَنِي يَرْبُوعَ طَعْنًا فَأَجْلَوْا عَنْ شِهَابٍ بِالْعُقَارِ

هذا عقار الواقع في اليمامة ، وهو الذي يقول فيه الضبابي حين أخذت ناقته إلى معاذ بن الأقرع القشيري^(٢) :

قَلْتُ لَهَا بِالرَّمْلِ وَهِيَ تَضْبَعُ رَمْلَ عُقَارٍ وَالْعَيُونُ هُجَّعُ
بِالسَّلْعِ ذَاتِ الْخَلَقَاتِ الْأُرْعِ أَلِمُعَاذِ أَنْتِ أُمُّ لِلْأَقْرَعِ

وهذا الموضع واقع قريب الأملح من مياه الدبول قريب كتيب الدحي ، وهو الذي يقول فيه الفرزدق :

(١) انظر معجم البلدان ١ / ٣٥٢

(٢) معجم البلدان ٦ / ١٩١ وفيه أن عقار اليمامة بضم أوله ، والذي في شعر الضبابي بفتح أوله

أقول لصاحبي من التّعزّي وقد نكن أكنبة العقر
أعيناني على زفّرات قلبٍ يحنُّ برامتين إلى السوار
إذا ذكرت منازلَه استهلّتْ مدامعُ مسبلِ العَبَرَاتِ جَارِي

وهناك جبل في عالية نجد في جنوبيها يقال له « العاقر » وهناك جبال متصلة بمنهل البديعة الماء المعروف في عالية نجد يقال لها « العقر » وهناك جبل في عرض ابني شمام مرتفع إلى السماء يقال له « العاقر » وجميع هذه المواضع المذكورة باقية بهذه الأسماء إلى هذا العهد ، هذا الذي أعرفه من جبال نجد ، فأما لفظ العقر فإنه يطلق على كل قصر منيع ، ويطلق على الدار ، قال ليبد في ذكر^(١) القصر :

كعقر الهاجري إذا ابتناه بأشبه حُذَيْنَ على مثال
وبنو شليل من بجيلة ، وشليل هو جد جرير بن عبد الله البجلي ، قال تأبط شرا في قصر بني شليل :

شئتُ العقر عقر بني شليل إذا هبّتْ لقارنِها الرياح
ويطلق اسم العقر على عدة مواضع : منها عقر بابل قرب كربلاء من الكوفة ، وقد روى أن الحسين بن علي رضي الله عنه لما انتهى إلى كربلاء وأحاطت به خيلُ عبيد الله بن زياد قال : ما اسم تلك القرية ؟ وأشار إلى العقر ، فقيل له : اسمها العقر ، فقال : نعوذ بالله من العقر ، فما اسم تلك الأرض التي نحن فيها ؟ قالوا : كربلاء ، قال : أرض كرب وبلاء ، وأراد الخروج منها فنع ، وكان ما كان ، وهذا الموضع الذي يقال له العقر قتل عنده يزيد بن المهلب بن أبي صفرة في سنة ١٠٢ ، وكان خلع طاعة بني مروان ، ودعا إلى نفسه ، وأطاعه أهل البصرة والأهواز وفارس وواسط ، وخرج في مئة وعشرين ألفا ، فندب له يزيد بن عبد الملك أخاه مسلمة ، فواقفه بالعقر من أرض بابل ، فانجلت الحربُ عن قتل يزيد بن المهلب ، وقال الفرزدق يُشَبِّبُ بعاتكة بنت عمرو ابن يزيد الأسدي زوجة يزيد بن المهلب :

إذا ما القرونيّاتُ أصبحن حُسْرًا وبكين أشلاء على عَقْرِ بابل
وكم طالب بنت الملاء أنها تُذَكِّرُ ريعانَ الشباب المزابل
والعقر أيضاً : قرية بين تكريت والموصل ، تنزلها القوافل ، وهي أول حدود أعمال الموصل من جهة العراق ، والعقر : قرية على طريق بغداد إلى الدَّسْكَرَة ، يسب إليها أبو الدرداء لؤلؤ

(١) انظر معجم البلدان ٦ / ١٩٤ وما بعدها ، ونسب في اللسان (ق ر أ) بيت تأبط شرا إلى مالك بن الحارث الهذلي

ابن أبي الكرم بن لؤلؤ بن فارس العَقْرِيُّ ، من هذه القرية ، والعقر أيضاً : قلعة حصينة في جبال الموصل ، أهلها أكراد ، وهي شرق الموصل ، تعرف بعقر الحُمَيْدِيَّة ، خرج منها طائفة من أهل العلم وفي حى ضرية جبالٌ يقال لها العقر ، وهي التي قال فيها طُفَيْلُ الْغَنَوَى :

وبالعقر دار من جميلة هيجت سواف حب في فؤادك منصب

وعقر السدن : من قرى الشرطة ، بين واسط والبصرة ، منها كان الضالُّ المضلُّ سنان داعية الإسماعلية ودَجَّالهم ومضلهم الذي فعل الأفاعيل التي لم يقدر عليها أحد قبله ولا بعده . والعقر - بالتحريك - من قرى الرملة في حسان السمعاني ، ونسب إليها أبو جعفر محمد بن أحمد بن إبراهيم العَقْرِيُّ الرملي ، يروى عن عيسى بن يونس الفاخوري ، روى عنه أبو بكر الثقري ، سمع منه بعد سنة ٣١٠ .

قال مصنف هذا الكتاب : وأريد أن أنبه هنا إلى أن الذي أوردته عن العاقر والعقر والعقير فما كان من الحديث عن العقير الواقع في سواحل هَجَرَ إلى عالية نجد من المواضع التي تسمى بهذه الأسماء في بلاد العرب فإنني أعرفها وأعرف مواضعها ، وما كان منها خارج بلاد العرب فهي رواية صاحب معجم البلدان ، والذي ذكره النابغة بقوله العقيرة هو الواقع في سواحل هجر .

* * *

٥٣ — وقال النابغة :

أَلَيْمَ بِرَسْمِ الطَّلَلِ الْأَقْدَمِ بِجَانِبِ السَّكْرَانِ فَلَا أَيْمَمَ

السكران : ذكروا أنه وادٍ عظيم بمَشَارَفِ الشَّامِ ، وهو الذي يقول فيه الأخطل ^(١) :

فراية السكران قَفَرُ فَمَا بَهَا لَهَا شَبَحٌ إِلَّا سِلَاحٌ وَحَرَمٌ

وذكروا أنه وادٍ عظيم قريب الشَّامِ ، إذا خرجت من الشَّامِ قاصداً المَدِينَةَ جعلته على يسارك وهو الذي يقول فيه عبيد الله بن قيس ^(٢) الرقيات :

زَوَدْتَنِي رَقِيَّةَ الْأَحْزَانِ يَوْمَ جَازَتْ حَمُولَهَا سَكْرَانِ

إن تكن هي من عبد شمس أراها فعسى أن يكون ذلك وكانا ^(٣)

أنا من أجلكم هَجَرْتُ بَنِي بَدْرٍ وَمِنْ أَجْلِكُمْ أَحْبُّ أَبَانِ

(١) انظر معجم البلدان ٥ / ٩٧ (٢) هكذا وقع البيت في معجم البلدان ، وهو في ديوان

عبيد الله بن قيس الرقيات ص ٢٦٢ أوربة على وجه آخر لا ضرورة فيه ، وهو :

إن تقل هن من بني عبد شمس فعسى ذلك أن يكون وكانا

ودخلنا الديار مانستها طمعا أن تنيلنا أو تدانا
وذكروا أن قريب المدينة جبل يقال له السكران ؛ فإذا صح ذلك فعبّد الله بن قيس الرقيات
يقصده ؛ لأنه شاعر حجازى .

وأحب أن أزيل عن القارىء بعض الالتباس ، هناك قصور ومزارع وفيها نخيل يقال لها
السكران ، واقعة بين « البرود » و « الفيضة » الواقعتين فى قرى السر ، وهذا الاسم حديث ،
بعثها على بن سكران وإخوته ، وهم أهل أشير ، وهم بطن من قبيلة الوهبة من بنى تميم ، بعثت
تلك الناحية فى أوائل القرن الرابع عشر ، فأول ما بُعث قصر واحد ، وسمى قصر ابن سكران ،
ثم زادت القصور والمزارع فاستمر الاسم « قصور ابن سكران » ثم حذفوا لفظ القصور فصار
« سكران » إلى هذا العهد ، فعلى لا تعرف عند عامة أهل نجد إلا بهذا الاسم ، وهناك فى كتيب
السر طريق مما يلى السكران يسلكه القاصد إلى قرى الوشم يسمى « خل السكران » فأما سُكْر
بوزن زفر - فهو موضع بشرق صعيد مصر ، بينه وبين مصر يومان ، كان عبد العزيز بن مروان فى
ولايته يخرج إليه ويعلده من متزهاته ، وبه مات عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ، ومات به
أبو بكر بن عبد العزيز بن مروان ، فقال نصيب يرثيه :

أصبت يوم الصعيد من سُكْر مصيبة ليس لى بها قبْلُ
تالله أنسى مصيبتى أبداً ما أسمعنى حينها الإبلُ
ولا التبكي عليه أتركه كل النصيبات بعده جَلْ (١)
لم يعرف النعش ما عليه من السـمـرُف ولا الحاملون ما حَمَلُوا
حتى أجَنُّوه فى ضريحهم حيث انتهى من خليله الأملُ

وأما عبد العزيز بن مروان والى مصر فى خلافة أخيه عبد الملك فقد ثبت أنه هلك فى حلوان
قرب مصر .

الأيهم : ذكروا أنه فى نواحى الشام ، وذكروا أيضاً أن أيهم وادٍ من أودية طى ، ولكنى
لم أجد له ذكراً إلا فى بيت النابغة الذى مر ذكره .

* * *

٥٤ - وقال النابغة :

أَلَا أَبْلُغُ لَدَيْكَ أَبَا حُرَيْثٍ وَعَافِيَةَ الْمَلَمَةِ لِلْمَلِيمِ

(١) جلال ، هنا : أى هينة سهلة .

فَكَئِيفَ تَرَى مُعَاقَتَى وَسَمْعِي بِأَذْوَادِ الْقَصِيْمَةِ وَالْقَصِيْمِ

نحب أن ننبه القارىء على هذين البيتين لئلا يظن أن القصيم المذكور فيهما هو القصيم المشهور الواقع فى القطعة الشمالية من نجد .

القصيمة فى اللغة : القطعة من الأرض ينبت فيها الفضى والأرطى والسلم ، وهى أيضاً ما سهل من الأرض .

* * *

٥٥ — وقال النابغة :

إِنِّى أَظُنُّ ابْنَ هِنْدٍ غَيْرَ تَارِكِكُمْ بِالْقُرَيْتَيْنِ وَلَمَّا يُفْرَجِ النَّعْمُ
حَتَّى تَرَاءَوْهُ مَعْصُوبًا بِلَمَتِهِ نَقَعُ الْقَنَابِلِ فِي عَرْنِينِهِ شَمَمُ

القرتين

القرتين : المواضع التى يطلق عليها اسم قريب من هذا اللفظ كثيرة ، يوجد فى بلاد غطفان هضبتان يقال اليوم لهما « الْقَرَيْتَانِ » وكان يقال لهما « القرين » وهما اللتان قال فيهما ذو الرمة ^(١) يردفنَ خَشَبَاءَ الْقَرَيْنِ وَقَدْ بَدَا لهُنَّ إِلَى أَرْضِ السَّتَارِ زِيَالُهَا

وهما قرىيتان من الستار الواقع بين أبلى وحدود حمى ضرية ، الموضع الثانى هضبة لها رأسان بين شقرا والقرين تسمى تلك الهضبة « القرين » وهناك موضع ثالث بين حريملاء وملهم ، يقال لتلك البلد اليوم القرينة ، وهى التى قال فيها جرير ^(٢) :

كَأَنَّ أَطْعَامَهُمْ تَحْدَى مَقْفِيَةً نَحْلُ بِلْمِهِمْ أَوْ نَحْلُ بَقْرَانَا

وفى بلد سدوس بئر كثيرة الماء عظيمة يقال لها القرينان ؛ فأما القرية الواقعة بين ملهم وحريملاء المعروفة اليوم بالقرينة فهى التى قتل فيها نجدة بن عامر الحنفى الحرورى ، والقرينة أيضاً : اسم روضة بالصَّمان ، قال الشاعر فى شَطْرُ بَيْتِ ^(٣) :

* جرى الرمث فى ماء القرينة والسدر *

وقال صاعد ، وأنشده أبو زياد :

أَلَا يَا صَاحِبِيَّ قَفَا قَلِيلًا عَلَى دَارِ الْقُدُورِ فَحَيَّيَاهَا
وَدَارِ الشَّمِيطِ لَحْيَاهَا وَدَارِ الْقَرَيْنَةِ فَاسْأَلَاهَا
سَقَمَهَا كُلُّ وَاكْفَةٍ هَتُونِ تَرْجِيهَا جَنُوبٌ أَوْ صَبَاهَا

(١) انظر معجم البلدان ٧ / ٧٢ (٢) انظر معجم البلدان ٧ / ٤٦

وشميط التي ذكرها قريب القرينة الواقعة في بلاد غطفان من أشمط الرضم المعروفة في هذا العهد بالأشمط وهي هضبات شهب .

* * *

٥٦ — وقال النابغة :

غَشِيَتْ مَنَازِلًا بِعَرِيْنَاتٍ فَأَعْلَى الْجَزْعِ لِلْحَيِّ الْمَيِّنِ
تَعَاقَدَهُنَّ صَرْفُ الدَّهْرِ حَتَّى عَفَوْنَ وَكُلُّ مُنْهَمِرٍ مُرِنِ

عريقات : قد مضى الكلام عليها .

عريقات

* * *

٥٧ — وقال النابغة :

إِذَا حَاوَلْتَ فِي أَسَدٍ فُجُورًا فَإِنِّي لَسْتُ مِنْكَ وَلَسْتَ مِنِّي
فَهُمْ دِرْعِي الَّتِي اسْتَلَّامْتُ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الذَّسَارِ وَهُمْ مَجْنِي
وَهُمْ وَرُودَا الْجِفَارِ عَلَى تَمِيمٍ وَهُمْ أَصْحَابُ يَوْمِ عُكَاظِ إِنِّي
شَهِدْتُ لَهُمْ مَوَاطِنَ صَادِقَاتٍ أَتَيْتُهُمْ يَوْمَ الصَّدْرِ مِنِّي

يوم النصار : يوم عظيم من أيام العرب المشهورة . وهذه رواية صاحب العقد الفريد بتمامها ، قال أبو عبيدة : تحالفت أسد وطى وغطفان ، ولحقت بهم ضبة وعدى ، فغزوا بني عامر ، فقتلهم قتلا شديداً ، فغضبت بنو تميم لقتل بني عامر ، فتجمعوا حتى لحقوا طياً وغطفان وحلفاءهم من بني ضبة وعدى يوم الفجار ، فقتلت تميم طياً أشد ما قتلت عامر يوم النصار ، فقال في ذلك بشر ابن أبي خازم :

يوم النصار

غضبت تميم أن تقتل عامر يوم النصار فأعتبوا بالنصيصة

وأحب أن أورد العبارات الواردة في النصار ، قال صاحب معجم البلدان ^(١) : النصار : جبال صغار كانت عندها وقعة بين الرباب وهوازن وسعد بن عمرو بن تميم ، فهزمت هوازن ، فلما رأوا الغلبة سألوا ضبة أن تشاطرهم أموالهم وسلاحهم ويحلوا عنهم ، ففعلوا ، قال ربيعة بن مقروم الضبي :

قَوْمِي فَإِنْ كُنْتُ كَذَبْتَنِي بِمَا قُلْتُ فَاسْأَلْ بِقَوْمِي عَلِيَا
فَدَى بِبَرَآخَةِ أَهْلِي لَهُمْ إِذَا مَلَسُوا بِالْجُوعِ الْقَضِيَا
وَإِنْ لَقِيتُ عَامِرَ النَّسَا ر مِنْهُمْ وَطَخْفَةَ يَوْمَا غُشُومَا
بِهِ شَاطَرُوا إِلَى أُمُوَاهِمِ هَوَازِنَ ذَا وَفَرَهَا وَالْعَدِيمَا

وقال في معجم البلدان^(١) عن أبي عبيدة : النصار أجيال متساورة يقال لها الأنسر ، وهي التي تسمى النصار ، وكانت به وقعة قال النظار الأسدي :

ويوم النصار ويوم النضا ركانوا لنا مقتوى المقتوي
المقتوى : هو الخادم ، كأنه يقول : إنهم صاروا خدماً لخدمنا .

وأنا أعرف النصار المذكور يقينا ، كان به ثلاث وقعات في الجاهلية ووقعة في مبتدأ القرن الرابع عشر عظيمة ، بين عرب نجد ، وفي وقعة الأنسر المتأخرة يقول رباع الصانع أحد شعراء النبط :

كريم يبارق نوه حقوق يشعل أشعال أخيل ضوحة إلى حزات وجبات الصلاة
أمطر على وادي الأنصر وأرجعه من عقب المحال وسيل شعيب الخنوقة بعد ما سئل غثات
وهو يعرف عند عامة أهل نجد اليوم بالأنصر ، أبدلت سينه صاداً ، ومائة الأنصر مائة القاعية
الواقعة على طريق السيارات السالكة من الرياض إلى مكة ، بين منهل عفيف وبلد الدوادمي ،
إذا طلعت على ماء القاعية فانظر على يمينك فإنك ترى جبيلات صفراء أصلها واحد ، ورؤسها
ثلاثة ، وحولها أبارق ، يقال تلك الجبيلات « الأنصر » والنصار هو الذي يقول فيه بشر بن
أبي خازم^(٢) :

وست بنو أسد نساء كثيرة من نساء ذبيان ، فقالت سلمى بنت الحلق تعير جَوَّاباً
والطفيل وغيرها : لحي الإله أبا ليلى بفرته يوم النصار وقنَّب العير جَوَّاباً
كيف الفخار وقد كانت بمعترك يوم النصار بنو ذبيان أرباباً
لم تمنعوا القوم إذ أشكوا سواكم ولا النساء ، وكان القوم أحراباً

النصار : جبل أصله واحد ورؤسه ثلاثة كأنها أنسر وقَّع على ظهر ذلك الجبل ، فسميت
الأنسر ، فبقيت على هذا الاسم في الجاهلية ، ثم تداولته الألسن حتى صار هذا الاسم الأنصر ،
وعنده أبارق وجبيلات كان يقال لها فيما سبق الأناسر ، ويقال لها اليوم « الأناصر » .

الجفار : منهل في^(٣) عالية نجد ، وبه وقعة عظيمة في الجاهلية بين بكر بن وائل وقيم بن مر
أسر فيه عقاب بن محمد بن سفيان بن مجاشع ، أسره قتادة بن مسلمة ، وقال شاعر بكر :
أسر المحشر وابنه وحويرث والنهشل ومالكا وعقلاً
وقال الأعشى :

وإن أخاك الذي تعلمين ليالينا إذ نَحَلُّ الجفارا

(١) انظر معجم البلدان ٢٨٤/٨ وما بعدها (٢) انظر معجم البلدان ١١٢/٣

(٩ - صحيح الأخبار ٢)

تبدّل بعد الصبا حلمه وقنعه الشيب منه خمارا

والجفار : موضع معلوم ، إذا انقطع جبل شعبي في الجهة الجنوبية منها فهناك موضع يقال له « الجفر » ذكروا عنه أخباراً كثيرة ، منها أنه من مياه الضباب ، وبلى ، قبلي ضرية على ثلاث ليال يشبه هذا الماء ماء السماء يخرج من عيون تحت هضبة كأنه وشل وليس بوشل ، ولما سمع أمير نقي عمر بن ربيعان هذه العبارة خرج بأصحابه يلتبس تلك العين ، فلم يجدها في جنبات الموضع الذي يقال له « الجفر » ، ويليّه في جهته الجنوبية الغربية منه هضبة يقال لها « مصودعة » إذا رأيتموها فسكانها متصدعة ، ويضاف هذا الجفر إليها فيقال له « جفر مصودعة » . وهو الذي يقول فيه الشاعر الضبابي ^(١) :

كفى حزنا أنى نظرت وأهلنا بهضبي شامريخ الطوال طول
إلى ضوء نار بالجديف يشبها مع الصبح سنح الساعدين طويل
على لحم ناب عضه السيف عضه فخرّ على اللحين وهو كليل
أقول وقد أيقنت أن لست فاعلا ألا هل إلى ماء الجفار سبيل
وقد صدر الوراد عنه وقد طما بأشهب يشقى لو كرهت غليل

وهذا الجفر هو الذي كان يقال له « الجفار » في الزمن القديم ، وهو الذي كانت به الواقعة المشهورة بين بكر وتميم . وقد صار اسمه في هذا العهد « الجفر » وقد أكثر الشعراء من ذكره شعراء العرب المتقدمين وشعراء العرب المتأخرين الذين سلكوا في الشعر المنهج النبطي ، ومن هؤلاء متعب بن جبرين ، وهو من رؤساء بني عبد الله بن غطفان ، وله ذكر في قيادة الفرسان ، وهو من أحلاس الخيل ، وكانت زوجته قد هلكت وهم حلول في سفح الهضبة المعروفة بهذا الاسم « المصودعة » فدفت زوجته في سفح الجفر المذكور ، فقال أبياتا نبطية منها :

يَمُصُودَعَةُ عَلَّكَ مِنَ الوسم رَعَاد سِيل على سِيل وويل يهل
عساه يسقى لبة الجفر من غاد حيثن فيها بالدويجن هل لي

ولمتعب بن جبرين هذا أخبار طريفة ، وكان تريخيب بن شري بن بصيص من مطير ، وهو من فرسان أهل نجد في أوائل القرن الرابع عشر ، حتى إن كل معركة وقعت بين مطير وعتيبة لم يتخلف عن واحدة منها ، وقد قتل في آخر وقعة قريب ماء الغريز القريب من وادي الحيسية قتله فاجر السلات من الروقة من ذوى عطية ، وكان متعب بن جبرين المذكور أخاً له من أمه ،

فقال قصيدة نبطية منها :

يَهْلُ الرَّمَكُ زِيدُوْلَهْنَ فِي الْبَرِيرَةِ نَبِيْ نَدُوْرَ فَوْقَهِنَّ اَتْرِيْحِبْ
لَا بَدَّ مِنْ يَوْمٍ يَشُوْرُ صَبِيْرَةَ عَسَامُهُ أَكْبَرُ مِنْ خَشُوْمِ الْعَرَاقِبِ
الرَّمَكُ : الخليل ، والصَّبِيْرَةُ : هو القَتَامُ ، والعَسَامُ : نوع من القَتَامِ ، العَرَاقِبِ : أ كُثْبَةُ تَقَعُ
جَنُوبِي جَبَلِ النَّبَرِ .

ومن طرائف أخبار متعب بن جبرين ما حدثني به دعييس الصفياي من عتبية سنة ٨١٣٤٥ وعمره في ذلك الوقت قريب ثمانين سنة ، قال : كنا قاطنين على ماء « دغبيجة » المعروفة قريب المويه ، وكنت إذ ذاك ابن خمس عشرة سنة ، فقال لي والدي : إن لنا غرضا عند أهل « تنضبة » الماء الواقعة في وادي العقيق قريب عشيرة والمحدثه ، وإني لا أقدر أن أترك إيلي خشية الأعداء ، ولكن انظر إلى هذا الجمل ، فإني والله لا أعلم ناقة ولا جملا يرُدَّانه عن طريقه ، فاركبه ، فإني رأيت أحداً فانهزم به فإنك تنجو إن شاء الله ، قال : فأخذت مزادتي وزادى ، وركبته لما بزغ الفجر ، فقصدت أهل تنضبة تارةً يسير سيراً عجلاً وطوراً يُرَقِّلُ إِرْقَالاً ، فما اشتدت القيولة إذا أنا قد قربت جبيل ببيان المتأخِّمِ لماء المحدثه في ركبة ، فقلت في نفسي : أرتاح قليلاً ويرتاح جملي ، فأنتخه في ظل دَوْحَةٍ ، ووضعت عنه زادى ومزادتي ، وقيدته ، فتركته يرعى في الشجر ، واضطجعت على جنبى ، فما شعرت وأنا في النوم إلا بالأصوات المرتفعة ، وإذا جيش يبلغ عدده مئة من المهارى النجُب ، وإذا السابقون من هؤلاء إلى جملي يحاوزون العشرين وهم مختلفون على هذا الجمل الواحد ، كل منهم يقول : أنا السابق إليه وهو لى ، فما شعرت إلا برجل يقول : يا صاحب الجمل من أنت وما قبيلتك ؟ فقلت : من عتبية ، فقال : عليك اللعنة مأخوذ ومجحد ، أقبل إلى وخذ أمتعتك معك ، فحُثَّ بها ، وكان هذا الشيخ هو متعب بن جبرين ، فلما أتيت به بأمتعتي قال : ضعها على جملك واركبه ، وقف ، ثم التفت إلى هؤلاء فقال لهم : أيها المختلفون ، إني أريد أن أترك صاحب هذا الجمل حتى يصل إلى تلك الشجرة ، وأنامره يندفع في السير ، ثم أتم تغيرون على أثره ، فمن لحقه فهو له ، فرضى الجميع بذلك ، فالتفت إلى وقال : اندفع على جملك ، فاندفع الجيش على أثرى فما مضى إلا قليل ، ثم التفت فلم أر من القوم إلا ثماناً ، ثم اندفعت أيضاً والتفت فلم أر إلا أربعا ، ثم اندفعت قليلاً ثم التفت فلم أر إلا اثنين ، فأنتخت جملي وأخذت حَنَوَاتٍ من التراب فرميت بها أمام وجوههم ، وركبت جملي ، فانطلقت إلى ماء تنضبة ، فأتجاني الله منهم ، ووصلت قومي سالماً والذي أعرفه في بلاد العرب من المواضع التي يقال لها « الجفر » هو هذا الموضع المذكور ،

وهو الجفار الذي ذكره النابغة . وأعزف منهلاً بين القصيم وحائل يقال له « الأجر » وأعرف منهلاً كثير الماء في عالية نجد جنوبي عرض باهلة يقال له الجفر جفر بتران ، و بتران : جبل أسود رفيع القمة مُطل على هذا الجفر ، فأضيف الماء إلى هذا الجبل ، فمئل له « جفر بتران » وقد مضى الكلام عليه في ذكر أملاح الدبول ، و بتران قد مضى الكلام عليه في كتابنا هذا ، وهناك موضع آخر يقال له « الجفر » في أسفل بيشة ، وهو هضبات حمر بها ماء يقال له « الجفر » مُطل على النقيع البلد الواقعة في وادي بيشة وفي بلد أشيقر بئر يقال لها الجفر .

وعكاظ : قد مضى الكلام عليه في كتابنا هذا ، وسيأتي لنا بحث وافٍ عنه في آخر هذا الكتاب عكاظ

* * *

٥٨ — وقال النابغة :

لَعَمْرُكَ مَا خَشِيتُ عَلَى زَيْدٍ مِنْ الْفَخْرِ الْمُضَالِ مَا أَتَانِي
كَأَنَّ التَّاجَ مَعْقُودٌ عَلَيْهِ لَأَذْوَادٍ أُخِذْنَ بِذِي أَبَانٍ
فَحَسْبُكَ أَنْ تَهَاضَ بِمُحْكَمَاتٍ يَمُرُّ بِهَا الرُّوِيُّ عَلَى لِسَانِي

أبان : قد مضى الكلام عليه مفرداً ومثنى ، وذكرنا تحديده و بينا أن وادي الرمة ينفذ إلى جهة القصيم من بينهما وهذا المنفذ يقال له الخنق . أبان

* * *

٥٩ — وقال النابغة :

أَتَهْدِي لِي الْوَعِيدَ بِذَاتِ وَجٍّ كَأَنِّي لَا أَرَاكَ وَلَا تَرَانِي
فَإِنْ يَقْدِرْ عَلَيْكَ أَبُو قَبَيْسٍ تَمَطَّ بِكَ الْمَعِيشَةُ فِي هَوَانٍ

وج : هو وادي الطائف ، واسمه باقٍ إلى هذا العهد ، وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن آخر وطأة الله وج » وهو الطائف ، وأراد بالوطأة الغزاة ها هنا ، وكانت غزاة الطائف آخر غزوات النبي صلى الله عليه وسلم ، وقيل : سميت وجا بوج بن عبد الحق من العالقي ، وقيل : من خزاعة ، وقد ذكر خبر وج مستقفاً في معجم البلدان على ذكر الطائف ، وقال أبو الصلت والد أمية يصف وادي وج (١) :

نحن المبتون في وج على شرف تلقى لنا شفعاً فيه وأركاناً
إنا لنحن نسوق العير آونةً بنسوة شعث يزجين ولذانا

وما وأدنا حذار الهزل من ولد
ويا نعاماً من صنوف الكرم عجبنا
قد اذهأمت وأمست ماؤها غدق
إلى خضارم مثل الليل متجنا
فيها كواكب مثلوج مناهلها
ومقربات صفون بين أرحلنا
فيها وقد وأدت أحياء عذنا
منه ، ونعصره خلاً ولذنا
يمشي معاً أصلها والفرع آبانا
فوماً وقضبا وزيتونا ورمانا
يشفي الغليل بها من كان صدانا
تحالها بالكفا الصيد قُضباناً

وقال عروة بن حزام :

أحقاً يا حمامة بطنٍ وجَّ
غلبتك بالبكاء لأن ليلي
وأنى إن بكيتُ بكيت حقاً
فلمست وإن بكيت أشد شوقاً
فنوحى يا حمامة بطن وج
قد هيَّجت مشتاقاً حزيناً

وقال كعب بن مالك الأنصاري :

قضينا من تهامة كل إرب
نسائلها ، ولو نطق لقال
فلمست لملك إن لم نزر كم
ونتنزع العروش عروش وج
بخير ثم أعمدنا الشيوخا
قواطعهم دوساً أو ثقيفا
بساحة داركم منا ألوفاً
وتصبح دوركم منا خلوفاً

وفي وادي وج أحاديث كثيرة ، منها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن وادي وج حرام ، لا يُعُضد شجره ، ولا يقتل صيده » وهذا حديث لم تثبت صحته .

أبو قبيس

أبو قبيس : هو الجبل المشهور المطل على الكعبة ، قيل : إنه سمي باسم رجل من مذحج كان يكنى أبا قبيس لأنه أول من بنى به قبة ، قال أبو المنذر هشام : أبو قبيس الجبل الذي بمكة ، أول من كناه بهذا الاسم آدم عليه السلام حين اقتبس منه هذه النار التي في أيدي الناس إلى اليوم من مَرَحَتَيْن نزلتا على أبي قبيس من السماء فاحتكتا فأورتا ناراً ، فاقبس منها آدم ، فذلك لمرخ إذا حك أحده بالآخر خرجت منه نار ، وكان في الجاهلية يسمى الأمين ؛ لأن الركن كان مستودعاً فيه أيام الطوفان ، وهو طرف أحد الأخشين ، والروايات في ذلك كثيرة ، قال عمرو بن حسان أحد بني الحارث بن همام ، وذكر الملوك الماضية :

ألا يا أم قيس لا تلومي وأبقى إنما ذا الناس هام
أجدك هل رأيت أبا قيس أطال حياته النعم الركام
وكسرى إذ تقسمه بنوه بأسياف كما اقتسم اللحم
تمخضت المنون له بيوم أنى ، ولكل حاملة تمام
وهو باق بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهو الجبل المعروف الآن بمكة .

* * *

٦٠ — وقال النابغة :

إنّا أناس طالِبُونَ لِثَارِنَا فَالْحَقْ بِأَرْضِكَ خَارِجَ بَنِ سِنَانِ
لَا أَعْرِفَنَّ شَيْخًا يَجْرُ بِرِجْلِهِ بَيْنَ الْكَثِيبِ وَأَبْرِقِ الْخَنَانِ

أبرق الخنان : لا يزال معروفاً بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهو متاخم لماء الصخرة ، يقع في الجهة الشمالية منها ، بينها وبينه أقل من نصف يوم ، والصخرة قد مضى الكلام عليها ، وهو منقطع من كتيب الصخرة ، قال في معجم البلدان ^(١) : هو ماء لبنى فزارة ، فأما الماءة فهي ماء الصخرة المعروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد ، فأما أبرق الخنان فهو كتيب مرتكم ، إذا ارتكمت رماله وتساقط بعضها على بعض من تحريك الرياح سمع له حنين ، ولا يزال الناس يسمعون ذلك إلى هذا العهد ، ولا أشك أن هذه الأصوات التي تسمع فيه ناشئة عن نزول الرمل من أعلاه إلى أسفله ، وفي رواية صاحب معجم البلدان : قالوا ^(٢) سمي ذلك لأنه يسمع فيه الحنين ، فيقال : إن الجن فيه تحن إلى من قفل عن ذلك المنهل ، هذا كلام أهل الجاهلية ، فأما كلام الأعراب فيقولون : إنا نبئت تحت هذا الكتيب وسمع فيه الأصوات المزعجة المختلفة الجرس ، ولانتك أنها أصوات الرمال إذا تهائل بعضها على بعض ، قال كثير ^(٣) :

لمن الديار بأبرق الخنان فالبرق فالهضبات من أدمان
أقوت منازلها وغيرَ رثمها بعد الأنيس تعاقب الأزمان
فوقفت فيها صاحبي وما بها ياعز من نعم ولا إنسان

ولا أعرف في نجد كتيباً له حنين وأصوات إلا هذا الكتيب الذي في هذا الموضع ، أعرف أكتبة مرتكمة في الجنوبي الغربي من ثادق وهي أكتبة ارتكمت بعضها فوق بعض ثم زاد هذا الارتكام وسار قليلاً قليلاً وترك مدينة ثادق على شماله وهو يمشى وتناخه محلة من تلك المحلات

(١) انظر معجم البلدان ١ / ٧٦ .

يقال لها الشعبية مختلطة بمدينة ناذق ، فعزم أهل تلك القرية أن يحجزوا دونه ، واستصرخوا بأهل المدينة ، فلم يُجَدِ ذلك شيئا ، بل ردم ما فيها ، ودَفَنَ القصور والنخيل ، واضطر أهلها إلى أن يرحلوا عنها ، ورأيتها بعد ذلك فإذا القصرُ الذى طوله خمس عشرة قامة إلى عشرين قامة ، لا يظهر منه غير شرفاته العالية ، وإذا النخلة السامقة فى الجولا ترى منها إلا أطراف جريدها ، وعلى الجملة فإن هذه القرية قد انطمست تحت الرمال ، وخرج يتبنى ويمشى قليلا قليلا فسلمت منه مدينة ناذق الواقعة فى مفيض العتك مما يلي بلد القصب تقع عن البكرات والغرابة جنوبا ، وقد سلم أهل تلك القرية من الرمال ، ومع هذا فإنك لا تسمع فيها أصواتا كالتى يتحدث الناسُ عنها فى أبرق الحنان ، ولا أشك أنها من الرمال وسقوط بعضها على بعض .

* * *

٦١ — وقال النابغة :

لِسُعْدَى بِسَرَعٍ فَالْبُحَارِ مَسَاكِينُ قَفَارٌ تَعَفَّتْهَا شِمَالٌ فَدَاجِنُ

سرع - وقع اختلاف فى هذا اللفظ ، فبينما تجده فى هذه القصيدة فى نسخة ديوان النابغة التى جمعها الشيخ عبد الرحمن سلام بالسين المهملة ، إذا أنت تجده فى مراجع أخرى منها معجم البلدان لياقوت بالسين المعجمة ، وقد وجدنا سرعا بضم السين والراء المهملتين فى كلام ابن مقبل ، وهو من شعراء نجد المشهورين ^(١) :

قَالَتْ سُلَيْمَى بِيَطْنِ الْقَاعِ مِنْ سُرْعٍ لَا خَيْرَ فِي الْمَرْءِ بَعْدَ الشَّيْبِ وَالْكِبَرِ
وأما « شرع » فقد مضى الكلام عليه فى كتابنا هذا ، قال بشامة بن الغدير ^(٢) :
لَمَنِ الدِّيارُ عَفْوَنَ بِالْجَزَعِ بِالْذُّومِ بَيْنَ بُحَارٍ فَالْشَّرْعِ

وأنت تجد الشرع قد قرن ببهار فى بيت بشامة هذا ، كما قرن به فى بيت النابغة الذى أثرناه وأنا لا أعرف ذلك الموضع بهذا الاسم فى هذا العهد ، إلا أن يكون « الشارعة » التى هى ماء قريب صفيته .

أما بحار : فهو وادٍ معروف ، يقسم جبل النير نصفين من غربيه إلى شرقيه ، جميع أودية النير التى تتجه إلى جهة الشرق تصب فى وادى بحار ، وهو معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهذا اسمه فى الجاهلية والإسلام ، قال النمر بن تولب ^(٣) :

وَكُنْهَآ دَقْرَى تَحِيلُ نَبْهَآ أَنْفٌ يَغْمُ الضَّالُّ نَبْتَ بَحَارِهَا

(١) انظر معجم البلدان ٥ / ٧٠ (٢) معجم البلدان ٥ / ٢٥٢ واستشهد له أيضا بيت النابغة وجعله بالمعجمة . (٣) معجم البلدان ٢ / ٦٤ وما بعدها إلى آخر هذا البحث

الذكرى : الروضة الكثيرة الماء والندى ، وقال النابغة الجعدي في يوم شعب جبلة وهذا الوادي ليس بالبعيد عن جبلة :

ونحن حبسنا الحى عسا وعامرا محبان وابن الجون إذ قيل أقبلا^(١)
وقد صعدت عن ذى بحار نساؤهم كإصعاد نسري لا يرومون منزلا
عطفنا لم عطف الضروس فصادفوا من الهضبة الحمراء عزًا ومقلا

يعنى بالهضبة الحمراء شعب جبلة ، وهو معدود من بلاد بنى عامر بن صعصعة ، وتختص به بنو عمرو بن كلاب ، قال شاعر منهم :

عفا ذو بحار من أميمة فالهضب وأقفر إلا أن يلم به الركب
وقال بشر بن أبى خازم :

لللى على بعد المزار تذكرك ومن دون لى ذو بحار فنور

منور فى قول بشر بن أبى خازم إما أن يكون قد عنى به النير ، وأجأته الضرورة ، أو يكون جبلا يقال له « منور » وقد درس ذكره اليوم ، وبحار الواقع فى عالية نجد جميع سيوله تأتى مع الوادى الذى يقال له « طينان » المعترض فى طريق نجد بين مكة والرياض ، بين جبال ذريع ومائة القاعية ، وهناك فى بلاد بنى سليم جبل يقال له « بحار » وهو الذى يقول فيه البريق الهذلى :
وَمَرَّ عَلَى الْقَرَائِنِ مِنْ بَحَارٍ فَكَادَ الْوَيْلُ لَا يُبْقَى بُحَارًا
وهناك بين بلاد بنى سليم وبلاد غطفان هضبات يقال لهن « القرائن » إلى هذا العهد ، وأما الواقع فى جبل النير فهو باق على اسمه إلى هذا العهد .

* * *

٦٢ — وقال النابغة :

كَأَنَّ حُدُوجَهَا فِي الْآلِ ظُهْرًا إِذَا أْفَرَّغْنَ مِنْ نَشْرِ سَقِينُ
أَوْ التَّحَلَّاتُ مِنْ جَبَّارٍ قَرْجٍ تُرَبِّيهُنَّ يَعْجُوبُ مَعِينُ
قَطَنَ الدَّارَ نَمَفَ عُرْيَدِنَاتٍ فَمَجَزَعُ أَرِيكَ فَاَنْتَقَلَ الْقَطِينُ

قرج^(٢) : هو موضع فى سيف القطيف من ديار هجر يقال له « القراح » وهو الذى قال فيه جرير :
ظلمات لم يدن مع النصارى ولم يدرين ما سمك القراح

(١) فى معجم البلدان « بحسان وأبى الجون » ولا يستقيم عليه الوزن

(٢) انظر معجم البلدان ٧ / ٤٠

فمن كان من أهل تلك الناحية يقال له « قُرَاحِيٌّ » كما قال أبو عمرو في قول الشاعر :

* وَأَنْتَ قُرَاحِيٌّ سَيْفِ الْكُؤَاظِمِ *

وتلك الناحية معروفة بجودة النخل ، وقد سمعت في بيت النابغة الذي يقوله في صفة النخلة :

* بُرَاحِيَّةٌ أَلُوتَ بَلِيفَ كَأَنَّهَا * وَقَدْ مَرَرْنَا عَلَى هَذَا الْبَيْتِ فِي كِتَابِنَا هَذَا ، وَأَوْرَدْنَا الشَّوَاهِدَ عَلَى بُرَاحِيَّةٍ ، وَأَعْرَفَ مَوْضِعَهَا فِي بِلَادِ الْعَرَبِ فِي جَبَلِ الْيَمَامَةِ مِمَّا يَلِي وَادِي سَدِيرٍ يَنْفَرِعُ مِنْهُ وَادِيَانِ : أَمَّا أَحَدُهُمَا فَهُوَ وَادِي الْمَشْقَرِ ، الَّذِي يَصُبُّ سَيْلُهُ عِنْدَ الْجُمُعَةِ وَقَرَاهَا وَبَلَدُ حَرْمَةٍ ، وَهَذِهِ النَّاحِيَةُ مَعْرُوفَةٌ بِجُودَةِ النَّخْلِ أَيْضًا ، وَأَمَّا الْوَادِي الثَّانِي فَإِنَّهُ يَصُبُّ عِنْدَ بَلَدِ الْحَرِيقِ ، وَيَتَجَهُّ إِلَى بَلَدِ الْقَصَبِ ، وَيَشْرَبُ مِنْ هَذَا الْوَادِي نَخِيلُ الْبَلَدَيْنِ وَزُرُوعُهُمَا ، وَفُرُوعُ الْوَادِيَيْنِ يُقَالُ لَهَا « الْمَقْرَحُ » وَأَمَّا لَفْظَةُ الْقَرَّاحِ فَكَثِيرٌ فِي بِلَادِ الْعَرَبِ فِي جِهَةِ بَغْدَادَ ، وَأَمَّا الْقَرَّاحُ الْمَذْكُورُ فَهُوَ بَاقِي هَذَا الْاسْمِ إِلَى هَذَا الْعَهْدِ أَمَّا عَرِيقَاتُ فَقَدْ مَضَى الْكَلَامُ عَلَيْهَا فِي كِتَابِنَا هَذَا .

عريقتات

* * *

٦٣ — وقال النابغة :

رَبَاعِيَّةٌ أَضَرَّ بِهَا رَبَاعُ بِذَاتِ الْجَزْعِ مِسْحَاجُ شَنُونُ
تَرَبَّعَتِ الشَّهَاقُ سَجَانِدِيهِ وَلَاقَاهَا مِنَ الصَّمَانِ عُونُ
نَهَزَنَ الْبَقْلَ بِالْفَيْعَانِ حَتَّى تَعَالَى النَّبْتُ وَالْتَقَتِ الْبُطُونُ

شهاق : موضع ، وأنا لا أعرفه بهذا الاسم في هذا العهد ، ولم أره في أشعار العرب إلا في هذا البيت من كلام النابغة ، ولكنك تجد قرنه بالصمان ، فلا بد أن يكون من الصمان أو من نواحيه فَمَا الصَّمَانُ فَقَدْ مَضَى الْكَلَامُ عَلَيْهِ .

* * *

٦٤ — وقال النابغة :

وَقَالَ الشَّامِتُونَ هَوَى زِيَادُ لِسَكْلٍ مَبِيَّةٍ سَبَبُ مُيِّنُ
حَافَقْتُ مِمَّا تَسَاقُ لَهُ الْهَدَايَا عَلَى التَّأْوِيبِ يَمُصُّهَا الدَّرِينُ
بِرَبِّ الرَّأكِضَاتِ بِكُلِّ سَهْبٍ بِشُمْتِ الْقَوْمِ مَوْعِدُهَا الْحُجُونُ

الحجُون : هو الجبل المعروف في أعلى مكة ، لا يزال معروفًا بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهو الذي يقول فيه مُضَاضُ بْنُ عَمْرِو الْجَرْهَمِيُّ :

كأن لم يكن بين الحُجُون إلى الصَّفا أنيسٌ ولم يسمر بمكة سامر
كَلَى نَحْنُ كُنَّا أَهْلَهَا فَازَالَنَا صُرُوفُ اللَّيَالِي وَالْجُدُودُ الْعَوَائِرُ
وهذا الجبل معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وبه اليوم ثَفِيَّة يسلك فيها السائر بين
المعبدة وجرول ، وتقع مقابر أهل مكة القديمة والحديثة في منتصف هذا الطريق .

اتمى بنا القول على المواضع الواقعة في شعر النابغة الذبياني ونأخذ ، بعده - إن شاء الله - في
القول على المواضع الواقعة في قصيدة عبيد بن الأبرص الممدودة في جملة الحلقات ، نسأله تعالى أن
يسددنا في القول والعمل ؛ إنه ولي ذلك .

١٠

عَبِيدُ بْنُ الْأَبْرَصِ الْأَسَدِيُّ

عبيد بن الأبرص

هو عبيد بن الأبرص، ينتهي نسبه إلى أسد بن خزيمه، وهو من لحول شعراء مضر في الجاهلية، واشتهر بعدم إقامته وزن الشعر حتى قال أبو العلاء المعري في إحدى لزومياته :
وقد يُخطئ الرأي امرؤ وهو حازمٌ كما اختلَّ في وزن القريض عبيدُ
وقد هلك عبيد بن الأبرص في سنة ١٧ قبل الهجرة (٦٠٥ من الميلاد) وسنورد في هذا المكان من كتابنا المواضع التي وردت في قصيدته المعتبرة عند بعض العلماء من المعلقات .

* * *

١ — قال عبيد بن الأبرص :

أَقْفَرُ مِنْ أَهْلِهِ مَلْحُوبٌ فَالْقَطِيبَاتُ فَالذَّنُوبُ
فَرَاكِسٌ فَتُمِيلِبَاتٌ فَذَاتُ فِرْقَيْنِ فَالْقَالِبُ
فَعَرْدَةٌ فَقَفَا حَبْرٌ لَيْسَ بِهَا مِنْهُمْ عَرِيبُ
وَبَدَلْتُ مِنْهُمْ وَخُوشًا وَغَيَّرْتُ حَالَهَا الْخُطُوبُ

ملحوب : معروف في الجاهلية بهذا الاسم ، ومعروف موقعه ، وقد أكثر الشعراء من ذكره منهم لبيد بن ربيعة العامري حين قال : * وصاحب ملحوب فجنا بئوته - إلخ * وقد ذكرنا هذا الشطر فيما مضى ، وصاحب ملحوب الذي أشار إليه لبيد هو عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب ، وقد مات بمحلوب .

وقال عامر بن عمرو الحصني ثم المكارى^(١) :

بَسْمَلَةٌ دَارَ غَيْرَتِهَا الْأَعَاصِرُ تَرَاوَحَهَا وَالْعَادِيَاتُ الْبَوَاكِرُ
قَطَارٌ وَأَرْوَاحٌ فَاضَتْ كَأَنَّهَا صَخَائِفُ يَتَنَوَّاهَا بِمَلْحُوبٍ وَابِرُ
وَأَقْفَرْتُ الْعَبْلَاءُ وَالرَّسُ مِنْهُمْ وَأَوْحَشَ مِنْهُمْ يَثْقُبُ فَقَرَارُ

قال في معجم^(١) البلدان : قال السكلي عن الشرق : سمي ملحوب ومليحيب بابني تريم ابن مبيع بن عردم بن طشم ، فأما تلك الأسماء فقد تغيرت ودرست وليس لها اليوم ذكر .

أما ملحوب فهو يعرف اليوم بمكحول ، ومليحيب يعرف اليوم بالعظيم - بصيغة التصغير - وهما في بلاد بني أسد ، أما مكحول فهو منهل عظيم كثير الماء ، والعظيم : جبيل على سطح وادٍ

(١) معجم البلدان ١٤٨/٨ ، وفيه « والعاديات البوائر » تحريف ما أثبتناه .

به منهل ، وقد تحول الاسم لهذا المنهل ، وبين المنهلين أقل من نصف يوم ، يقعان في شرق سميراء ، على مسافة أكثر من يوم ، وجبل حبش المعروف بهذا الاسم واقع بين سميراء ومكحول ، وهذه من مناهل بنى أسد ، متصل بعضها ببعض : العظيم ، ومكحول ، والجُرثم وهو المنهل الذي ذكره زهير بن أبي سلمى في قوله :

تبصر خليلي هل ترى من طعائن تحمّلن بالعلاء من فوق جرثم

القطيبات : ذكر أهل اللغة وأصحاب المعاجم ^(١) أن القطيبات ، أو القطيبة ، في جبل سَوَاج أو قريب منه ، وأنا لا أعرفها بهذا الاسم في هذا العهد ، ولكنني أعرف في عالية نجد الجنوبية ثلاث هضبات حمر يقال لها : « الحصيات » وهناك ملازم مياه قريب جبل الينوفي يقال لها : « الرقيات » فهذا الذي أعرفه مقاربا للفظ القطيبات .

أما الذنوب فهي معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهي جيبيلات صغار يقال لها « الذنائب » وهي متفرقة قريب ست أكَات ، جمعُ الذنائب ، ومفردها الذنوب . والذنيبة والذنيبة مصغرها ، قال صاحب معجم البلدان على ذكر الذنائب : هي جمع ^(٢) أذنية ، وأذنية : جمع ذنوب ، وهي الدلو المملأ ماء ، وقيل : القرية من الملاء ، وهي ثلاث هضبات بنجد ، قل : وهي عن يسار فلجة للمصعد إلى مكة ، وفي شرح قول كثير :

أمن آل ليلى دِمنة بالذنائب إلى الميث من ريعان ذات المطارب

الذنائب : في أرض بنى البكاء على طريق البصرة إلى مكة ، والمطارب : الطرق الصغار .

يُلوح بأطراف الأجدة رُسمها بنى سلم أطلالها كاندواهب

ذو سلم : وادي ينحدر على الذنائب ، وبها قبر كُتَيْب بن وائل ، قال مهمل أخوه يرثيه :

أَلَيْتَنَا بنى حُسْمُ أَيْرى إذا أنت انْقَضَيْتِ فلا تَحْورى

فإن يك بالذنائب طال ليلى فقد أبكى من الليل القصير

فلو نبش المقابر عن كليب فيخبر بالذنائب أى زير

بيوم الشعثمين أقر عينا وكيف لقاء من تحت القبور

وأنى قد تركت بواردات بُحَيْرًا في دَمٍ مثل العبير

فلولا الريح أسمع أهل حجر صليل البيض تفرّع بالذكور

وقال أبو زيد : الذنائب من الحمى حمى ضَرِيّة في غربي الحمى ، والله أعلم .

(١) انظر معجم البلدان ١٧١/٧ فلم يزد على أنه اسم جبل (٢) معجم البلدان ١٩٧/٤

وقال بشر بن أبي خازم :

أى المنازل بعد الحى تَعْتَرَف أم هل صباك وقد حكمت مُطَرَف
كأنها بعد عهد العاهدين بها بين الذنوب وحَزَمى واهب صُحَف

أما حزمًا واهب فهما معروفان بهذا الاسم إلى هذا العهد ، بين الذنوب وبين الحرب واللساسة
وعندها ملزم ماء يسمى « خفق واهب » وما حوله من السفين مضاف إليه ، وهو معروف بهذا
الاسم إلى هذا العهد .

والذنائب باقية بأسمائها إلى هذا العهد ، إذا كنت على ماء الخضارة على الطريق بين مكة
والرياض فالتفت على شمالك وأنت مشرق فإنك ترى جيالات الذنائب هناك ، ينقطع جذيب
الخضارة في جهته الشمالية قريباً منها ، والجذيب هو الذى يسمى اليوم « سمر الخضارة » وهو
جيالات سود متصل بعضها ببعض ، ذكروا فى أوائل القرن الرابع عشر أن امرأة من قبيلة الروقة
من ذوى عطية يقال لها « مرساء » وهى من شواعر النبط كانت مسافرة إلى مكة مع قومها
للاستئجار ، فسمعت منادياً ينادى ، وهو طوراً يقول « لبن ، لبن » وتارة يقول « حليب ، حليب »
فنادته وقالت : ما تقول ؟ قال : أبيع حليباً ، فقالت له : أين حليبك ؟ فرفع لها السطل ، فالتفتت
إليه وقالت : الحليب ليس فى سَطْلِكَ ، بل الحليب عند خونان بن عقيل ^(١) فى الدعيكة ، ثم
اندفعت تقول أبيتانا نبطية منها :

يالى اتنادى باللبن مالنا فيه أبا ذكره وإن كنت للذَّرب غاوى
خشم الينوفى والحوم بارك فيه وسيحان والبرة وعبله ملاوى
ووادى الجرير إلى حدر من علاويه وخشم الذنيبة والجذيب متساوى

الينوفى ، والحوم ، وسيحان ، والبرة ، وعبله ملاوى : جميعُ هذه المواضع المذكورة فى
الموضع الذى كان يسمى فى الجاهلية المطلق ، ويسمى اليوم العبله ، وبعضها فى حمى سجا الذى حماه
صاحب السمو الملكى الأمير فيصل بن عبد العزيز آل سعود لمواشيه فأما الذنيبة فهى التى كنا فى
نذكرها ، والجذيب هو جذيب الخضارة ، ووادى الجرير معروف عند عامة أهل نجد ، وقد مضى
الكلام عليه ، وهو الذى كان يقال له فى الجاهلية « الجريب » وهو أعظم واد من الأودية التى
تصب فى الرمة ، قالت العرب على لسان الرمة ^(٢) :

(١) خونان بن عقيل من رؤساء عتبية من الدعاجين ، صاحب إبل كثيرة ، والدعيكة موضع صالح
لرعى الإبل فى حمى سجا ، النيل المعروف فى عالية نجد ، يقع فى نصف الطريق بين مكة والرياض .

(٢) انظر معجم البلدان ٩١/٣

كل بني فإنه يحسنى إلا الجريب إنه يرويني

وهو من أصلح البلاد لرعى الإبل ، قال الشاعر :

سيكفيك بعد الله يا أم عاصم مجاليع مثل الهضب مصبورة صبرا

عوادِنُ من حمض الجريب ، وتارة تعاتب منه خلة جارة جأرا

وقال عمرو بن شاس الكندي :

قلت لهم إن الجريب وراكسا به إلى ترعى المرار رِتاَع

وقال المهدي بن الملوح :

إذا الريح من نحو الجريب تنسمت وجدت لريّاها على كبدي بردا

على كبدي قد كاد يُبدِي بها الجوى ندُوبًا ، وبعض القوم يحسنى جلدًا

أما سيول الذنائب وما حولها فأما ما كان منها يتجه إلى جهة الشرق فإنه يصبُّ في وادي الجريب المعروف بوادي الجرير اليوم ، وما كان منها يتجه إلى جهة الغرب فإن سيوله تجتمع حتى تصب في الشعبة التي تتجه إلى المدينة ، وقد مضى الكلام عليها .

ووادي الجريب من أصلح بلاد الله لرعى الإبل ، ويقتل عنده قبائل العرب من أجل الكلاء وقد قتل في ذلك الوادي من رؤساء عتيبة عدد كثير : منهم تركي بن حميد أكبر رئيس في عتيبة في زمانه ، قتله الشريف أحد بني عبد الله بن غطفان ، ثم من بعده ابن عمه سلطان بن هندی بن حميد وهو من أكبر الرؤساء في زمانه ، وقتل في ذلك الوادي زايد بن محيا رئيس الحناتيش من الروقة ، وقتل بعده ابن عمه فلاح بن محيا ، وقتل في ذلك الوادي أيضاً شليل بن نجم ، ومارق الضيظ قتله حرب ، وهو رئيس العضيان من الروقة ، وغزا بعد ذلك ابنه بدر بن مارق ليأخذ ثأر أبيه فألحقته حرب بأبيه ، وقتل في ذلك الوادي جدي بن زريبة قتله دواس أحد الغيادين ، وهم بطن من حرب ، وقد وقعت على أثر هذه القتلة حروب كثيرة . وأما القتلى الذين ليسوا برؤساء فهم كثيرون في هذا الوادي .

راكس

راكس : سِناف متصل به أبرق في أسفل وادي بلفة قريب الجبل المشهور الذي يقال له عاج ، وهو في بلاد غطفان ، وقد مضى الكلام عليه في كتابنا هذا .

ثعلبات

ثعلبات ، لا يزال معروفًا إلى اليوم ، وقد صار اسمه « الثعلبي » وهو من مناهل الجبلين أجأ وسلمى أو قريب منهما ، وهو غير الثعلبية التي في طريق حاج البصرة ، وفي ثعلبات يقول بعض شعراء الجاهلية ^(١) :

أجْدُكَ لَنْ تَرَى بُعَيْبَاتٍ وَلَا يَدَانِ نَاجِيَةً دَمُولَا
وَلَا مُتَلَاقِيَا وَالشَّمْسُ طَلْفَلٌ بَعْضُ نَوَاشِعِ الْوَادِي حُمُولَا

ذات فرقين : هو جبل له رأسان ، إذا كنت في « نقي » تراه بعينك ، وقد مضى الكلام عليه في كتابنا هذا ، وعامة أهل نجد يعرفونه باسم « فرقين » قال شاعر نبطي :

الرَّكَايِبُ وَطَنُ فَرْقَيْنِ وَالْغُضَى مَدَهْلُهُ حَرَمُهُ
عَقِبَكُمْ يَا مَقَرَّ الزَّيْنِ عُرْوَةُ الْقَلْبِ مَنْصَرَمُهُ

القايِب : قد مضى الكلام على هذا الموضع ، وهو معروف بهضب القلب ، وعبيد ترك كلمة الهضب للضرورة واكتفى بالقلب ، وهو معروف مقابل لطرف كشب الشمالى .

عردة : باقية بهذا الاسم ، إلا أنها أبدلت هاؤها نونا ، فيعرف هذا الموضع اليوم عند عامة أهل نجد بعردان ، وهو أبرق بين ظلم وأجله ، وبه حجارة ورمال ، وهو الذى يقول فيه طهمان^(١)

صَعَلَا تَذْكُرُ بِالسَّفَاءِ وَعَرْدَةَ غَلَسَ الظَّلَامُ فَابْهَنَ رَثَالَا
يَا وَجْجٌ مَا يَفْرِى كَأَنَّ هَوِيَّةً مَرِيحٌ أَعْسَرَ أَفْرَطَ الْإِرْسَالَا

وقال عبد بن معرض الأسدي :

لَمَنْ طَلَّلَ بِعَرْدَةَ لَا يَبِيدُ خَلَاَ وَمَضَى لَهُ زَمَنٌ بَعِيدُ

والسفاء الذى قرنه طهمان بعردة هو « سفوات » المعروفة اليوم بهذا الاسم ، وسفوات وعردان معروفان عند عامة أهل نجد بهذين الاسمين اليوم ، وهما في شمالى المثلث ، ومن حدود حمى سبأ ، في الجهة الغربية منه .

قفا حبر : حبر : جبل أسود معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، يقع في عالية نجد في الجهة الشمالية منها ، إذا خرجت من ماء الدفينة قاصداً غفياً ، وكنت بين ماء الدفينة وماء الخضارة ، وأنت إلى ماء الدفينة أقرب ، فالتفت صوب يمينك فإنك ترى رأس عردان الذى ذكره عبيد في معلقته باسم « عردة » ثم التفت صوب شمالك فإنك ترى رأس حبر ، وأنت في مكان واحد ، والموضعان متقابلان ، وبينهما الطريق الناجد من مكة إلى الرياض ، وحبر كما قلنا لم يتغير اسمه إلى هذا اليوم من العهد الجاهلى ، وقد أكثر الشعراء من ذكره ، قال الفقعسى وهو يرى أخاه بدر^(٢)

أَلَا قَاتِلَ اللَّهِ الْأَحَادِيثَ وَالْمَنَى وَطَيَّرَا جَرَّتْ بَيْنَ السَّعَاقَاتِ وَالْحَبْرِ

(١) معجم البلدان ٦ / ١٤٢ (٢) معجم البلدان ٣ / ٢٠٨ والذى في شعر المرار بكسر الحاء وسكون الباء ، والذى في بيت ابن مقبل بكسر تين فراء مشددة كالذى في بيت عبيد وجعلهما ياقوت موضعين

وقاتل تثریب العیافة بعد ما زجرتُ فما أغنى اعتیافی ولا زجری
وما للقفول بعد بدرٍ بشاشةً ولا الحی یأتیهم ولا أوبة السفر
تذكرنی بدرا زعازع لزبةٍ إذا أعصبت إحدى عشيَّاتها الغبر
وقال ابن مقبل :

سَلِ الدَّارَ مِنْ جَنْبِ حَبْرٍ فَوَاهِبٍ إِلَى مَا تَرَى هَضْبَ الْقَلِيبِ الْمُضِیْحِ
والمضیح فی قول ابن مقبل « هَضْبُ الْقَلِيبِ الْمُضِیْحِ » معطوف على القلب ، لأن بین المضیح وهضب القلب مسافة ثلاثة أيام أو أربعة ، والمضیح باقی بهذا الاسم إلى هذا العهد .
والمواضع الذی ذكرها عبید : حبر ، وعردة ، والذنوب ، والقلب ، هذه یرى بعضها من بعض ، وهی باقية إلى هذا العهد بما ذكرنا من الأسماء ، وملحوب ، وراكس ، وذات فرقین : لا یبعد بعضها عن بعض ، وأما القطیبات فلا أعلم موقعها .

* * *

٢ — وقال عبید بن الأبرص :

أَخْلَفَ مَا بَازِلًا سَدُّوسُهَا لَاحِقَةٌ هِيَ وَلَا نَيُوبُ
عَمْرَانَةٌ مُؤَجَّدَةٌ فَقَارُهَا كَأَنَّ حَارَكَهَا كَنِيبُ
كَأَنَّهَا مِنْ حَمِيرٍ غَابٍ جَوْنٌ بِصَفْحَتِهِ نُدُوبٌ^(١)

إلى أن قال :

كَأَنَّهَا إِقْوَةٌ طَلُوبُ تَحْرُ فِي وَكْرَهَا الْقُوبُ
بَاتَتْ عَلَى إِرَمٍ عَذُوبًا كَأَنَّهَا شَيْخَةٌ رَقُوبُ

غاب : لا أعرف موضعاً فی بلاد العرب یقال له غاب ، ولكنی أعرف موضعاً یقال له « الغابة » غاب وهو موضع تجتمع فيه سیول وادی القصب ووادی الحریق المجاورین لجبل طویق .
إرم : هو - كما ذكره عبید - مَرَقَبٌ فی رأس جبل ، وكل مرقب یقال له « إرم » وليس بموضع مخصوص .

(١) رواية التبریزی « كأنها من حمير غابت » والعانات : جمع عانة ، وهی الجماعة من حمير الوحش ، وذكر الرواية الأخرى « من حمير غاب » ثم قال : « وغاب مكان » . والجون : الأبيض ، وهو الأسود أيضاً ، ضد ، واندوب : جمع ندب - بالفتح - وهو الجرح .
(١١ - صحیح الأخبار ٢)

القسم الثانى

من الكتاب

فى ذكر أماكن وردت فى غير المعلقات لشعراء مختلفين

١ — قال عمرو بن كلثوم يهجو النعمان بن المنذر ويعيره بأمه :

حَلَّتْ سُلَيْمَى بِحَبْتِ بَعْدَ فِرْتَاكِجَ وَقَدْ تَكُونُ قَدِيمًا فِي بَنِي نَاجِ
إِذَا لَا تُرْجَى سُلَيْمَى أَنْ يَكُونَهَا مَنْ بِالْخَوَزَنْقِ مِنْ قَتْنٍ وَلَسَاجِ
وَأَنْ يَكُونَ عَلَى أَبْوَابِهَا حُرُوسٌ وَلَا تُكْفَفُ قُبُطِيًّا بِدِيَاكِجِ^(١)
تَعْنِي بِعِذْلَيْنِ مِنْ لُؤْمٍ وَمَنْقَصَةٍ مَشَى الْمُقَيْدِ فِي الْيَبُوتِ وَالْحَاجِ

فرتاج

أما فِرْتَاكِجَ الذى ذكره عمرو بن كلثوم فكأنى أراه ، هضبات بها ماء يقال لها « فرتاج » إلى هذا العهد : فرتاج ، والعيار ، والقعاء ، جميع هذه الهضبات بها مياه ، وهى من هضبات سميراء لا تبعد عنها أكثر من نصف يوم ، وفرتاج فى الجهة الغربية منها ، قال زيد الخليل الطائى^(٢) :

فلو أن نَصْرًا أَصْلَحَتْ ذَاتَ بَيْنَهَا لَصَجَّتْ رَوِيدًا عَنْ مَطَالِبِهَا عَمْرُو
ولكن نصرًا أَدَمْتَ وتَخَاذَلْتَ وقالوا : عَمْرُونَا مِنْ مَحَبَّتِنَا الْقَفْرِ
فإن تمنعوا فرتاجَ فالعمرَ منهم فإن لهم ما بين جَرْمٍ وَالْعَمْرِ

وفى كلام زيد الخليل وهو مخضرم ذكر فرتاج والعمر وجِرم الذى ذكره زهير ، وهذه المواضع الثلاثة يرى بعضها من بعض : فرتاج ، والعيار ، والجِرمى ، وقال الراعى النميرى يذكر فرتاجا^(٣) :

ما زال يفتح أبوابا وَيُغْلِقُهَا دُونِي وَأَفْتَحَ بَابًا بَعْدَ إِرْتَاكِجِ
حتى أَضَاءَ سِرَاجٌ دُونَهُ بَقَرِ حَوْرُ الْعَيُونِ مِلَاحَ طَرْفُهَا سَاجِ
يكشرون للهو واللذات عن بَرَدِ تَكْشِفُ الْبَرْقِ عَنْ ذِي لُجَةِ دَاجِ
كأنما نظرت دُونِي بِأَعْيُنِهَا عَيْنُ الصَّرِيمَةِ أَوْ غَزْلَانُ فِرْتَاكِجِ
وقال رجل من عُذْرَةٍ :

بِفِرْتَاكِجَ مِنْ أَرْضِ الْخَلِيفَيْنِ أَرَقَّتْ جَنْبُوبٌ وَلَا لَاحَ السَّمَاءِ وَلَا النَّسْرِ
ومن دُونِ مَسْرَاهَا الَّذِي طَرَقَتْ بِهِ شَمَارِيحُ مِنْ رِيَّانٍ يَرَوَى بِهَا الْعَمْرِ^(٤)
وهذا الشاعر العذرى ذكر فرتاجا والعيار وكان يسمى العمر فى الزمن القديم .

* * *

(١) هذه رواية ديوان عمرو بن كلثوم ص ٦ ووقع فى بعض الأصول :

* كما تلفف قبطى بدِيَاكِجِ *

(٢) معجم البلدان ٦/٣٥٤ وفيه فى ثالثها « ما بين جِرمٍ فالعمر » (٣) المعجم فى الموضع نفسه

(٤) فى معجم البلدان « العفر » وفسره فقال « العفر : ولد الأروية ، والجمع غفرة وأغفار »

٢ — وقال لَيْبِدُ بْنُ رَبِيعَةَ العامري (١) :

لِهِنْدٍ بَأَعْلَى ذِي الْأَغَرِ رُسُومٌ إِلَى أَحَدِ كَأَنَّهُنَّ وَشُومٌ
فَوَقَفَ فَسَلَّى فَأَكْنَفَ ضَلْفَعٍ تَرَبَّعُ فِيهِ تَارَةً وَتَقِيمُ
بِمَا قَدْ تَحُلُّ الْوَادِيَيْنِ كِلَيْهِمَا زَنَانِيرُ مِنْهَا مَسْكَنٌ فَتَدُومُ

في هذه الأبيات الثلاثة أربعة مواضع كلها باقية بأسمائها إلى هذا العهد ، وهي : سَلَى ، وضلفع ، وزنانير ، وتقدم .

أما زنانير فهي هَضَبَات على وادي رنية في المنتصف بين رنية وجرش الذي يقال له اليوم زنانير « أبا الجرشي » يقع وادي رنية بينهما .

فأما سلى فهو جبل أسود ، ليس بالكبير ، على ضفة وادي رنية ، على جانبه الجنوبي مما يلي موضعا يقال له « الخرقان » مزارع ، وهو حد المعمور من رنية من جهة الشرق ، وجبل سلى مجاور لذلك الموضع ، ووادي رنية يأتي بينها : الخرقان على ضفته الشمالية ، وسلى على ضفته الجنوبية وهو باقي بهذا الاسم إلى هذا العهد .

وضلفع : جبل يقع في الجهة الجنوبية من جبل سلى ، على مسافة نصف يوم ، وهو معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، يمر به السالك من نَجْدٍ إلى بيشة ، وضلفع هذا في الجهة اليمانية من نجد ، وهو غير ضلفع الذي ذكره متم بن نويرة وهو يرثى أخاه مالكا حين قال (٢) :

أَقُولُ وَقَدْ طَارَ السَّنَا فِي رَبَابِهِ وَغَيْثٌ يُسْحُ الْمَاءَ حَتَّى تَرَبَّعَا
سَقَى اللَّهُ أَرْضًا حَلَمًا قَبْرِ مَالِكٍ ذَهَابَ الْغَوَادِي الْمُدْجَنَاتِ فَأَمْرَعَا
وَأَثَرُ سِيلِ الْوَادِيَيْنِ بَدِيعَةً تَرَشَّحَ وَنَمِيًّا مِنَ النَّبْتِ خِرُوعَا
فَنَعْرَجُ الْأَجْنَابَ مِنْ حَوْلِ شَارِعٍ فَرَوَى جَنَابَ الْقَرِيَتَيْنِ فَضْلَعَا
تَحِيَّتَهُ مَنَى وَإِنْ كَانَ نَائِيَا وَأَمْسَى تَرَابًا فَوْقَهُ الْأَرْضُ بَلَقَعَا

أما ضلفع الذي ذكره متم بن نويرة فهو الموضع الذي في أعلى القصيم ، يقال له في هذا العهد « الضلفعة » وذلك لأن مالكا بن نويرة قتل في البطاح ، والبطاح من أودية الرس ، ودُفِنَ في وادي الضلفعة المعروف بهذا الاسم اليوم ، ولكن أهل المعاجم الذين يوردون الشواهد على الأسماء ليس لهم علم بما اتفق منها وما اختلف ، وضلفع الذي ذكره لبيد في شعره هو الذي يقول فيه

(١) البيتان الأولان في معجم البلدان ١١٨/٥ وفي ٥٣٠/٨ ، وثالثها وحده في ٣٧٢/٢ ، وثلاثتها

مجمعة في ٤٠٦/٤ (٢) معجم البلدان ٤٣٩/٥

جامع بن عمرو بن مُرخية^(١) :

بَدَتْ لى وللتيمى صهوة ضلفع على بعدها مثل الحصان المحجل
وهو باق بهذا الاسم إلى هذا العهد فى تلك الناحية .

تدوم أما تدوم فهو جبل مُغبر الجنبات ، ليس بالكبير ، يقع فى الجهة الجنوبية من رنية ، على مسافة ساعة ، وهو الذى يقول فيه الراعى وقد غضب عليه مروان بن الحكم وتوعده ، فذهب إلى بلاد قومه ، وقال :

خَبَّرْتُ أَنَّ الْفَتَى مَرْوَانَ يُوعِدُنِي فَاسْتَبَقَ بَعْضَ وَعِيدِي أَيُّهَا الرَّجُلُ
وَفِي تَدُومَ إِذَا اغْبَرَّتْ مَنَاكِبُهُ وَدَارَةَ الْكُورُ عَنْ مَرْوَانَ مُعْتَزِلُ

سألت الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم قاضى رنية فى سنة ١٣٦٦ هـ عن تدوم ، فقال : والله إنى إذا رأيته أذكر بيت الراعى الذى يقول فيه :

* وفى تَدُومَ إِذَا اغْبَرَّتْ مَنَاكِبُهُ - البيت *

وأما الكور الذى ذكره الراعى فهو جبل عظيم أسود ، يطل على بلد رنية ، يقع فى غربها ، ولا يزال بهذا الاسم إلى هذا العهد ، ووادى رنية يقسم هذا الجبل نصفين ، وفيه نخل يقال له الأملح ، فى وادى رنية فى مقسم تلك الجبل ، وهذا المقسم كان يقال له فى الجاهلية ثنية الكور ، وكان به يوم من أيام العرب بين بنى عامر وبين اليمن ، وفى هذه الثنية التى تسمى اليوم الأملح كانت أيام وحروب فى أوائل القرن الرابع عشر بين سبيع بين بريمة وبين الزكور ، والكور يقال له « ضلع الجامعة » والجامعة : بطن من سبيع ، والحروب التى وقعت بين بطنين عظيمين من سبيع : بين بريمة ، وهى التى تسكن جبل الكور والأملح ، والزكور ، وهم سكان رنية ، وبين الموضوعين أقل من مسافة نصف يوم ، وأنا أعرف فى بلاد العرب أربعة جبال تعد من الجبال السود ، وكل جبل فى ضفته الشرقية بلد : أحدها أبان الأسود ، وهو الشمالى من أبانين ، فى ضفته الشرقية « النبهانية » وبها قصور ونخيل ومزارع ، وثانيها جبل شعبي ، فى شرقيه مسكة وضرية ، وهو جبل الحمى المشهور ، وثالثها جبل شعلان ، وفى ضفته الشرقية الشعراء ، وهى ذات قصور ومزارع ونخيل حديثة ، ورابعها جبل الكور الذى مر ذكره ، وفى ضفته الشرقية رنية ذات قصور ونخيل ومزارع . وهى لعقيل بن عامر ، وربما أن سبيع بطن من عقيل .

* * *

٣ — وقال الحطيئة ، وهو شاعر مخضرم ^(١) :

أَقَامُوا بِهَا حَتَّى أَبْنَتْ دِبَارَهُمْ عَلَى غَيْرِ دِينِ ضَارِبٍ يَجْرَانِ
عَوَاسٍ بَيْنَ الطَّلَحِ يَرْجَمُ بِالْقَنَا خُرُوجَ الظِّبَاءِ مِنْ حِرَاجِ قِطَانِ

قطان : وادٍ عظيمٌ كثير الظباء ، سيّله يأتي من جهة الجنوب إلى جهة الشمال ، أعلاه مُتَنَاحِمٌ نَيرِيمِ الواقع في شرق حضن ، ومتناخم لجيالات الرحي ، يقطعه طريق السيارات بين ركبة وقصر ثوريه ، يصب سيّله في الأرض السبخة التي تلي دغيبجة المنهل المعروف في جبل كشب ، وقد أحسن الحطيئة في ذكره الظباء ؛ فإن وادي قِطَان من أعلاه إلى أسفله جمع للظباء ، ولا يزال معروفًا باسم قطان إلى هذا العهد .

* * *

٤ — وقال الأعشى ^(٢) :

لِمَنِ الدَّارُ تَعَنَّى رَسْمُهَا بِالْغَرَابَاتِ فَأَعْلَى الْعَرَمَةِ

العَرَمَةُ ، والغَرَابَاتُ : معروفان بهذين الاسمين إلى هذا العهد ، قال رؤبة الراجز ^(٣) :
* وعارض العرق وأعناق العَرَم *

الغرابات : هي جيالات صفار سود في العتك ، بين القصب وثادق ، عند ما ينقسم جبل نيمامة هناك .

وأما العرمة : فهو جبل عظيم طرفه الجنوبي مما يلي السبهاء ، وفيه منهلٌ وسيمٌ ، ومنهل أبي جفان ، ومناهل كثيرة : منها رماح وغيره ، ورماح هذا هو الذي يقول فيه جرير :

يَذْكُرُنِي فَوَادِي مِنْ هَوَاهُ ظُعَانٌ يَجْتَزَعْنَ عَلَى رِمَاحِ

وطرف العرمة الشمالي يتعقد في جبل مجزل ، وقد قال صاحب معجم البلدان عن مجزل : هو جبل أو روضة ، ولكنني أعرف أنه جبلٌ ، ولا يزال باقيا بهذا الاسم إلى هذا العهد .

* * *

٥ — وقال الحارث بن عمرو الفزاري ^(٤) :

تَحَزَّمُ قُطَيَّاتٍ إِذِ الْبَالُ صَالِحٌ فَكَبْشَةَ مَعْرُوفٍ فَعَوْلًا فَقَادِمًا

قُطَيَّاتٍ : قد مضى الكلام عليها ، وغول كذلك .

وأما كبشة فهو اسم لواحد من كبشات ، وكبشات ثلاثة أجبل سود عظام ، إذا أفردت

(١) معجم البلدان ٧/١٢٠ (٢) معجم البلدان ٦/١٥٧ و ٢٧٢ (٣) معجم البلدان ٧/٢١٣

أحدها قلت كبشة ، وإذا جمعت يقال لها كبشات ، وهي باقية على أسمائها إلى هذا العهد ، وهي لم تدخل في حمى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ودخلت في حمى عثمان بن عفان رضى الله عنه ، قال الأصمعي : كبشات جبال في الحمى : كبشة بنى جعفر ، وكبشة لقيطة ، وهي لغنى ، وكبشة الضباب ، وهي حدود حمى عثمان ، بينها وبين بلد ضرية مسافة يوم مما يلي مطلع الشمس .

* * *

٦ — وقال الخطيئة لما حبسه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ^(١) :

مَاذَا تَقُولُ لِأَفْرَاحٍ بِذِي مَرِيخٍ زُغَبِ الْخَوَاصِلِ لَأَمَلِهِ وَلَا شَجَرٍ
الْقَيْتَ كَاسِبَهُمْ فِي قَعْرِ مُظْلِمَةٍ فَأَغْفِرْ فِدَاكَ جَمِيعِ النَّاسِ يَا عُمَرُ

الموضع المشهور عند عامة أهل نجد بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهو واد يقع في الجهة الشمالية الشرقية من الزلفي ، قريب روضة السبلة وقريب نفوف الضويحي ، وادٍ عظيم يقال له « مرخ » وهو الذي ذكره أبو وخزة في قوله :

مرخ

وَاخْتَلَّتْ الْجَوَّ فَالْأَجْزَاعُ مِنْ مَرِيخٍ فَمَا لَهَا مِنْ مَلَا حَاةٍ وَلَا طَلَبٍ
وبين المدينة وفدك وادٍ عظيم يقال له « مرخ » وظنى أن هذا الوادى الحجازى هو الذى عناء الخطيئة ؛ لأنه سجن فى المدينة ، وربما كانت فراخه قريبا منه .

* * *

٧ — وقال عروة بن الورد العبسى ^(٢) :

سَقَى سَلْمَى وَأَيْنَ مَحَلِّ سَلْمَى إِذَا حَلَّتْ مُجَاوِرَةَ السَّرِيرِ
إِذَا حَلَّتْ بَارِضِ بَنِي عَلِيٍّ وَأَهْلُكَ بَيْنَ إِمْرَةٍ وَكَبِيرِ
ذَكَرْتُ مَنَازِلَ مَنْ آلٍ وَهَبِ مَحَلِّ الْحَيِّ أَسْفَلَ ذِي النَّقِيرِ

إِمْرَة : معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد ، جبل صغير ، كانت به أبارق ، بين أبانين وخزاز وجبل كير معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، من أجلة الحاضر ، بين الشيكية والرس ، لا يزال يطلق عليه جميع الناس اسم « كير » .

إمرة

كير

* * *

٨ — وقال أبو زياد الكلابى ^(٣) :

(١) المعجم ٢٠/٨ (٢) المعجم ٣٠٥/٧ و ٣١١/٨ (٣) معجم البلدان ٤٩٤/٨

أَرَاكَ إِلَى كُثْبَانٍ يَبْرِينَ صَبَّةً وَهَذَا لَعَمْرِي لَوْ قَنَعْتَ كَثِيبُ
وَإِنَّ الْكَثِيبَ الْفَرْدَ مِنْ أَيْمَنِ الْحِمَى إِلَى وَإِنْ لَمْ آتِهِ لَحْيِبُ

يبرين : منهل كثير المياه ، به عيون ونخيل ، باق بهذا الاسم إلى هذا العهد ، في شرق الدهناء
مما يلي الخرج ، في الجهة الشرقية الجنوبية من الخرج ، وهو الذي يقول فيه جرير :
لما تذكرت بالديرين أَرْقِي صوتُ الدجاج وَضَرْبُ النواقيسِ
فَقُلْتُ للركب إِذْ جَدَّ الرِّحْلُ بِنَا يَا بُعْدَ يَبْرِينَ مِنْ بَابِ الْفَرَادِيسِ
وهو من مياه بني تميم في الجاهلية ، ويسكنه الآن آل مرة .

* * *

٩ — وقال القحيف العقيلي ^(١) :

أَلَا يَا حَمَامَ الشَّعْبِ شِعْبِ مُرَيْفِقِ سَقَتِكَ الْغَوَادِي مِنْ حَمَامٍ وَمِنْ شَعْبِ
سَقَتِكَ الْغَوَادِي رُبَّ جَوْدٍ غَزِيرَةٍ أَصَاخَتْ لِحْفُضٍ مِنْ عَنَانِكَ أَوْ نَصْبِ
فَإِنْ يَرْتَحِلْ صَحْبِي بِحِثْمَانٍ أَعْظَمِي يَقُمُ قَلْبِي الْمَخْزُونُ فِي مَنْزِلِ الرَّكْبِ

مریفق : معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهو ماء عذب ، بل هو أعذب أمياه التي في
جهته ، في شمالي الزيدى مما يلي الصخة ، وعليه شجرة أراك عظيمة ، معروفة بحسن المساويك ،
وقد وردت ذلك المنهل وأخذت مساويك من تلك الشجرة .

* * *

١٠ — وقال أبو ذؤيب الهذلي ^(٢) :

لَعَمْرُكَ مَا عَيْنَاهُ تَنْسَأُ شَادِنَا يَمِنْ لَهَا بِالْجُزْعِ مِنْ نَحْبِ النَّجْلِ

نخب : وادٍ من أودية الطائف ، وهو من الأودية العظام ، يقع جنوبى الطائف ، على طريق
الحجاز ، معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وأبو ذؤيب الهذلي من شعراء تلك الناحية ، وقال
شاعر من ثقيف :

حَتَّى سَمِعْتُ بِكُمْ وَدَعَمْتُ نَحْبَا مَا كَانَ هَذَا بِحَيْنِ الْفَرِّ مِنْ نَحْبِ

وهذا الوادى المسمى نخباً فيه أحجار لم أر مثلاً ، كبيرة الحجم جداً ، حتى إنك لترى الحجر
منفرداً ، وترى الحجر عليه حجر ثان لا يقدر أن يضعه فوقه مئاة من الناس ، وعليه حجر ثالث
مثله ، رأيت جملة من الأحجار على هذه الصفة ، وهو بين وادى الطائف ووادى لثية ، وهو لقوم

(١) معجم البلدان ٨/٤٢ غير منسوبة (٢) المعجم ٨/٢٧٣ واللسان (ن خ ب)

(١٢ - صحيح الأخبار ٢)

يقال لهم وقدان ، هم أهله في هذا العهد ، وهم من العرب ، لكنهم ليسوا من ثقيف ولا من عتيبة على ما ظهر لي .

* * *

١١ — وقال عَبدَةُ بن الطيب ، وهو تميمي النسب وأسلم^(١) :

كَأَنَّ ابْنَةَ الزَّيْدِي يَوْمَ لَقِيَتْهَا هَنِيْدَةٌ مَكْحُولُ الْمَدَامِجِ مُرْشِقُ
تُرَاعَى خَذُولًا يَنْفُضُ الْمَرْدَ شَادِنًا تَنْوُشُ مِنَ الضَّالِّ الْقَذَافِ وَتَعْلَقُ
وَقَلْتُ لَهَا يَوْمًا بِوَادِي مُبَايَضٍ أَلَا كُلُّ قَانٍ غَيْرَ قَانِيكَ يُعْتَقُ
بُصَادِفٍ يَوْمًا مِنْ مَالِكَ سَمَاحَةٍ فَيَأْخُذُ عَرْضَ الْمَالِ أَوْ يَتَصَدَّقُ
وَذَكَرْنِيهَا بَعْدَ مَا قَدْ نَسِيَتْهَا دِيَارُ عَلَاهَا وَابِلٌ مُسَبِّقُ
بِأَكْنَافِ شَمَاتٍ كَأَنَّ رُسُومَهَا قَضِيمُ مَنَاجٍ فِي أَدِيمٍ مُنَمَّقِ

مبايض

مُبايَضُ : معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وكان به يوم من أيام العرب بين تميم وبكر ، وكانت بنو بكر قد لجأت إلى وادي مبايض فتألبت بنو تميم فجاءت إلى بني بكر ، ورئيس بني حنظلة أبو الجدعاء ، ورئيس بني سعد بن زيد مناة فذكى ، ورئيس بني العنبر طريف ، ورئيس بني بكر هاني بن مسعود الشيباني ، فالتقوا في وادي مبايض ، فاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، وانتهزمت بنو تميم ، وقتل طريف وهو فارس تميم على الإطلاق ، قتله حميص بن جندل الشيباني . ومبايض في جبل مجزل مما يلي شمالي العرمة ، يقع شرقي وادي سدير ، سكنته في هذا العهد الأخير فيلستان من بربه : بطن من مطير ، وهم الهوامل والعفسة .

* * *

١٢ — قال شاعر من بني إنسان بن عتوارة^(٢) :

أَتَيْنَا بَنُو نَصْرٍ تَرَحُّحٌ وَطَاهَا وَخَرَفَانَهَا مَسْمُومَةٌ لِلتَّزَوُّدِ
إِذَا مَا بَرْتَمِ مِنْ بَرِيمٍ وَأَهْلِهِ فَرَدُّوا عَكَظِيَا بِكُمْ لِلتَّصَعُّدِ
فَإِنِّي أَرَى أَنَّ الْمَخَاضَ أَصَابَهَا بَنِي عَامِرٍ أَهْلُ التَّهْدَى وَنَهْمِهِ
سَرَتْ مِنْ جَنُونِ اللَّيْلِ عَزْفًا فَاصْبَحَتْ بِشَعْفَيْنِ يَا هَذَا بِإِدْلَاجِ أَعْبُدِ

وقال ابن مقبل :

تأمل خليلي هل ترى ضوء بارق يمانٍ مَرَّتُهُ رِيحٌ نَجْدٍ فَقَرَّا

(١) انظر معجم البلدان ٣٧٩/٧ (٢) انظرها وأبيات ابن مقبل في معجم البلدان ٢٧٥/٥

مرته الصَّبَا بِالْعَوْرِ غُورِ تِهَامَةٍ فَمَا دَنَتْ مِنْهُنَّ شَعْفَيْنِ أَمْطَرَا

بريم

شعفان

أما بريم فهو منهل معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد يقع شرقي جبل حَضَن .
وأما شَعْفَان فهُمَا جَبَلَانِ صَغِيرَانِ فِي قِطْعَةٍ مِنَ الْأَرْضِ تُسَمَّى الْيَوْمَ عِنْدَ عَامَةِ أَهْلِ نَجْدِ
« الْحِزْمِ » وَاقْعَةُ بَيْنَ الْمَوِيَةِ وَالْحَرْمَةِ ، وَهِيَ مُخْتَلِفَا الْأَلْوَانِ ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا « شَعْفُ الْأَسْوَدِ » وَيُقَالُ
لِلْآخَرِ « شَعْفُ الْأَعْفَرِ » وَالْعِنَارُ : الْبَيَاضُ ، وَالْمَسَافَةُ بَيْنَهُمَا لِلْسَّائِرِ عَلَى قَدَمَيْهِ ثَلَاثُ سَاعَاتٍ ، أَحَدُهُمَا
مُقَابِلُ الْآخَرِ ، الْأَسْمَرُ مِمَّا يَلِي مَغْرِبَ الشَّمْسِ ، وَالْأَعْفَرُ مِمَّا يَلِي مَطْلِعَهَا ، وَأَمَّا الْمَثَلُ السَّائِرُ عِنْدَ الْعَرَبِ
إِلَى هَذَا الْعَهْدِ « لَسَكْنِ بَشْعَيْنِ كُنْتَ جَدُودًا » فَقَدْ قَالَ فِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ : إِنْ أَصْلُ هَذَا الْمَثَلِ أَنَّ
عُرْوَةَ بَنِ الْوَرْدِ وَجَدَ جَارِيَةً بَشْعَيْنِ وَقَدْ أَنْحَى عَلَيْهَا الزَّمَانُ فَاتَى بِهَا أَهْلُهُ وَرَبَّاهَا ، حَتَّى إِذَا سَمِعَتْ
وَبَطْنَتْ بِطَرْتِ ، فَرَأَاهَا يَوْمًا وَهِيَ تَقُولُ لْجَوَارِ كُنْ يَلَاعِبْنِي وَقَدْ قَامَتْ عَلَى أَرْبَعِ « احْلُبُونِي
فَإِنِّي خَلِيفَةٌ » فَقَالَ لَهَا عُرْوَةُ « لَسَكْنِ بَشْعَيْنِ كُنْتَ جَدُودًا » يَضْرِبُ مَثَلًا لِمَنْ نَشَأَ فِي ضَرْثِ مَنْ تَرْفَعُ
عَنْهُ فِطْرٌ ، وَالْجَدُودُ : هِيَ الَّتِي انْقَطَعَ لَبْنُهَا ، وَهَذِهِ لَفَةٌ بَاقِيَةٌ إِلَى الْآنَ ، وَقَدْ غَلَطَ صَاحِبُ مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ
فِي قَوْلِهِ « إِنْ شَعْفَيْنِ أَكْمَتَانِ بِالسِّي » وَالصَّحِيحُ أَنَّهُمَا أَكْمَتَانِ بِالْحِزْمِ ، وَأَمَّا السِّي فَهُوَ الْقِطْعَةُ مِنَ
الْأَرْضِ الْوَاقِعَةُ بَيْنَ جَبَلِ كَشْبٍ وَوَادِي الْعَقِيقِ وَالَّذِي فِيهِ جَبَلُ بَسْيَانِ .

* * *

١٣ — وَقَالَ شَاعِرُ جَاهِلِيٍّ بِاسْمِهِ عَوْفُ بْنُ الْخُرَيْجِ أَحَدُ بَنِي الرَّبَابِ (١) :

أَمِنْ آلِ سَلْمَى عَرَفْتَ الدِّيَارَا بِحُجْبِ الشَّقِيقِ خَلَاءَ قَفَارَا

وَقَفْتُ بِهَا أَصْلًا مَا تَبَيَّنَ لِسَائِلِهَا الْقَوْلُ إِلَّا سَرَارَا

وقال ابن مقبل :

خِيَاضُ ذِي بَقَرٍ ، خِزْمُ شَقِيقَةٍ قَفَرٌ ، وَقَدْ يَفْنِينِ غَيْرَ قَفَارِ

الشقيق : جمع شقيقة ، وهو كل ما غلظ من الأرض وانخفض بين كثيبين ، وتسميها عامة أهل نجد اليوم « الخبة » وأعرف موضعًا في بلاد العرب بآقيًا بهذا الاسم الذي مر ذكره .

الشقيقة : قطعة من الرمال واقعة بين عنيزة والمذنب ، تقع في غربيها ، يحدها شمالًا وادي الرمة ، ويحدها جنوبًا الحرما وخريمان التي تجتمع بها سيول أودية نجد الوسطى .

قال نصر بن زياد العقيلي :

مَرَّتْ حَوْمَلُهُمْ سَفْحَى شَبِيرَةِ وَالشَّمْسُ طَالَعَةُ الْقَلْبِ مُشْتَغَلُ

قال في معجم البلدان : الشبيرة كأنها تصغير شبيرة ضرب من النبات ، وهو ماء للضباب

بالحمى حى ضرية ، وأقول : شبيمة فى خارج حدود الحمى الجنوبية .

١٤ — وقال حين بن جبلة الحارثى ، وهو شاعر جاهلى :

أَلَا إِنَّ جِيرَانَ الْمَشْيَةِ رَائِحٌ دَعَتْهُمْ دَوَاعٍ مِنْ هَوًى وَمَنَادِحُ
فَسَارُوا الْغَيْثَ فِيهِ اغْنَى وَغُرَبٌ فَذُو بَقَرٍ فَشَابَةٌ فَالذَّرَائِحُ

اغنى وغرب : جبل قريب بعضها من بعض ، فى عالية نجد ، لاتزال بهذا الاسم إلى هذا العهد
أما غرب فهى جبال سود فى طرف أجلة الحمار فى جنوبها مايل عرق سبيع .
وأما اغنى فيقال لها فى هذا العهد « بنى غنى » وهى سفان بين الحرة والسواد ، بين غرب
وعرق سبيع ، تقع فى جهة مطلع الشمس من غرب .

غرب

اغنى

ذو بقر

الذرائح

* * *

١٥ — وقال شاعر ، وأنشده أبو الندى ^(١) :

وَرَيْتَ جَرِيرًا يَوْمَ أَذْرَعَةِ الْهَوَى وَبُصْرَى وَقَادَتِكَ الرِّيحُ الْجَنَائِبُ
سَقَى اللَّهُ نَجْدًا مِنْ رَبِيعٍ وَصَيْفٍ وَخَصَّ بِهَا أَشْرَافَهَا فَالْجَوَانِبُ
إِلَى أَجَلِي فَلَمَطَلَمَيْنِ فَرَاهِصٍ هُنَاكَ الْهَوَى لَوْ أَنَّ شَيْئًا يُقَارِبُ

أما أجلى : فهى معروفة ، وقد مضى الكلام عليها فى كتابنا هذا ، إذا قطعت وادى الخضرة
متجهاً إلى عفيف ثم أنبت وادى الثعل ، فانظر على شمالك نجدها ، ويقال لها فى هذا العهد « أجلة »
والمطليان : موضع الحمى اليوم حى سجا والعبلة ، تقع جنوبيه ، فإن أفرد أحدهما بلفظة
المطلى فهى تكفى للحمى أو العبلة .

أجلى

المطليان

وأما راهص : فهو باق بهذا الاسم ، هضبات متصل بعضها ببعض ، يقال لها الآن « الرواهص »
تقع بين جبل المردمة وجبل العلم ، معروفة عند عامة أهل نجد .

راهص

* * *

١٦ — وقال الراعى النميرى ^(٢) :

بُشُوقُهَا تَرْغِيَّةٌ ذُو عَبَاءَةٍ بِمَا بَيْنَ تَقَبٍ فَالْحَيْسِ فَأَفْرَقَا ^(٣)

قال ياقوت فى معجمه : هذا تقب ضاحك ، طريق يصعد فى عارض الأيامة . قال المصنف :

تقب

أنا أعرف هذا النقب ، طريق بين مدينة ثادق البلد المعروفة من مدن اليمامة وبين بلد عودة سدير ، وهي طرف قرى سدير الجنوبية ، يقال لهذا الطريق اليوم « ثنية ضاحك » جميع أهل تلك الناحية لا يزالون يعرفونه بهذا الاسم إلى هذا العهد .

* * *

١٧ — وقال طهمان بن عمرو الكلابي ^(١) :

أَقْدَسَ رَنَى مَا جَرَّفَ السَّيْلُ هَانِنًا وَمَا لَقِيَتْ مِنْ حَدٍّ سِنِي أَنَامِلُهُ
وَمَتَرَكُهُ بِالْبَرَّتَيْنِ مُجْدَلًا تَنُوحُ عَلَيْهِ أُمُّهُ وَحَلَالِيلُهُ

البرتان : جيلان صغيران في حد حمى سجا الجنوبي ، يقال لكل واحد منهما البرة ، وهما معروفان عند عامة أهل نجد بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وكان عندهما يوم من أيام العرب بين بنى عامر وبنى أسد ، وكانت النصره فيه لبنى عامر ، وقال مطير بن الأشيم الأسدي يرثى قره وعلقمه ابني عمه :

أَحَقًّا أَبُ قَرَةٍ لَا أَرَاهُ فَمَا أَنَا بَعْدَهُ بِقَرِيرٍ عَيْنٍ
وَعَلْقَمَةُ الَّذِي قَدْ كَانَ عَزَى وَإِنْ حَفَلَ الْجَالِسُ كَانَ زَيْنِي
إِذَا قَالَ الْخَلِيلُ تَعَزَّ عَنْهُمْ ذَكَرْتُ رَئِيسَ يَوْمِ الْبَرَّتَيْنِ
أَلَا لِأَخْلَدٍ بَعْدَ كَمَا ، وَلَكِنْ نُحَاءُ الْوَرْدِ بَيْنَكَا وَبَيْنِي

قال صاحب معجم البلدان : البرتان جيلان بالمطلى أرض لبنى أبي بكر بن كلاب ، وهي مختلطة فيها ، وقال أيضاً في معجم البلدان : والبرتان هضبتان حميراوان مقترتان بأعلى خنثل ، هذه العبارات قريبة من الصواب ، أما قوله « بأعلى خنثل » فإنهما ليستا بأعلى خنثل ، ولكنهما قريبتان منه ، وقال أيضاً في اشتقاق الأسماء : كأن هذا الموضع يبرأهله بالخصب والريبع ، وهذه عبارة جيدة ، فإن تلك الناحية من أخصب أرض الله وأمرأها لرعى الإبل ، وأما البرتان اللتان ذكرهما يحيى بن طالب الحنفي في أشعاره فهي البرة الواقعة في اليمامة ، وهي التي يقول فيها يحيى بن طالب الحنفي ^(٢) :

خَلِيلِي عُوْجَا بَارِكِ اللَّهُ فِيكَمَا عَلَى الْبَرَّةِ الْعَلْيَا صَدُورَ الرُّكَائِبِ
وَقَوْلَا إِذَا مَا نَوَّهَ الْقَوْمُ لِلْقَرَى أَلَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَحْيَى بَنُ طَالِبِ

وكلتا البرتين - البرة التي في المطلى بالقرب من سجا ، والبرة التي في اليمامة - باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد . وعندها بلد يقال لها « رغبة » كما أن عند البرة التي في حمى سجا جبل يقال له رغبة .

* * *

١٨ — وقال الراعي الثميري^(١) :

فَلَنْ تَشْرَبِي إِلَّا بِرَيْقٍ وَلَنْ تَرَى سَوَامًا وَحِشًا بِالْقَصْبَةِ وَالْبُشْرِ

وقالت وجيبة بنت أوس الضبية :

وَعَاذِلِي هَبَّتْ بِلَيْلٍ تَلُومُنِي عَلَى الشَّوْقِ لَمْ تَمْنَحِ الصَّبَابَةَ مِنْ قَلْبِي
فَكَأَنِّي إِنْ أَحْبَبْتُ أَرْضَ عَشِيرَتِي وَأَحْبَبْتُ طَرْفَاءَ الْقَصْبَةِ مِنْ ذَنْبِ

قال ياقوت^(٢) : قال ابن أبي حفصة : القصبة من أرض اليمامة لبني امرئ القيس

القصبة

وقال ياقوت^(٣) في موضع آخر : القصبات من قرى اليمامة لم تدخل في صلح خالد بن الوليد

أيام مسيلة .

قال المصنف : هي باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد ، مدينة من ملحقات وشم اليمامة يقال لها القصب إلى هذا العهد أغلب إنتاجها البر ، موقعها بين الكثيب والعتك .

* * *

١٩ — وقال سرية الفزاري ، وقالوا : إنها لابن ميادة^(٤)

يَا صَاحِبَ الرَّخْلِ تَوَطَّأْ وَاكْتَفِلْ وَاحْذَرْ بِدَغْنَانَ مَجَانِينَ الْإِبِلِ
كُلَّ مُطَارٍ طَامِحِ الطَّرْفِ رَهْلٍ أَلْزَمَهَا الرَّاعِي صِرَارًا لَا يَحُلْ

أي : فرزها حتى سميت ، وقال شاعر كلابي :

مِنْ الْأَعْنَزِ اللَّائِي رَعَيْنَ نُحْمَرًا وَدَغْنَانَ لَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِنَّ قَانِصُ

دَغْنَان : هو ركن من أركان النير الجنوبية ، جبال متصل بعضها ببعض ، تسمى بهذا الاسم إلى هذا العهد ، يقال لها دغانين ، ودغنون ، ودغنيان ، كل هذه الأسماء تطلق عليها ، وهي مشرعة في الحمى ، والحمى هو الأرض الواقعة بين المصلوب والمردمة .

دغنان

* * *

٢٠ — وقال لبيد بن ربيعة العامري^(٥) :

فَصَافَقْنَا فِي مُرَادٍ صَافَقَةً وَصَدَاءَ أَخَقَّتْهُمْ بِالشَّلَلِ
لَيْلَةَ الْمُرْقُوبِ حَتَّى عَامَرَتْ جَعْفَرًا تَدْعِي وَرَهْطَ ابْنِ شَكَلِ
وَمَقَامِ ضَيْقٍ فَرَجَّتُهُ بِلِسَانِي وَيَيَانِي وَجَدَلِ
لَوْ يَقُومُ الْفِيلُ أَوْ فَيَالُهُ زَلَّ عَنْ مِثْلِ مَقَامِي وَزَحَلِ

العرقوب : معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، متاخم لدغنون الذى تقدم ذكره ، لا يفصل بينهما غير أرض الحلى ، دغنون فى جهة الحلى الشمالية ، والعرقوب فى جهة الحلى الجنوبية الشرقية وكان به يوم من أيام العرب بين بنى عامر وبين اليمن ، وهو الذى يقول فيه معاوية المرادى :

لقد علم الحَيَّان كعبٌ وعامرٌ وحَيًّا كلابٌ جَعْفَرٌ وعبيدُها
بأننا لدى العرقوب لم نَسَامِ الوَغَى وقد قلمت تحت السروج لُبُودُها
تركنا لدى العرقوب والخيلُ عَكَفٌ أَسَاوَدَ قَتْلِي لم تَوَسَّدْ خدودُها
وَرُحْنَا وفينا أبنا طفيلٌ بغلةٍ بنا قَرَحَى عَادَ فَلَا شَرِيدُها

العرقوب : جمعه عراقيب ، وهى واقعة فى الجهة الجنوبية الغربية من ماء المصلوب التى كانت تسمى فى الجاهلية المسلوق ، وقد كان بها اليوم المذكور من أيام العرب ، وقد وقع فيه فى الربع الأول من القرن الرابع عشر يوم بين العرب المتأخرين بين علوى وبنى عبد الله بن غطفان ، أما علوى فكان رؤسائهم فى هذا اليوم : بدر بن محمد الدويش ، ووطبان الدويش ، وكانوا قد رجعوا من غزوتهم مفلسين من عتبية ، وكان بنو بدير قاطنين على ماء المصلوب ، ورئيسهم محمد بن حوكة وأخوه سالم بن حوكة ، فعزم الغزاة المفلسون على أخذ غنم ذوى بدير ، وكلهم قبيلة واحدة ، ولا تُحِلُّ لهم تقاليد البدوان يغيروا عليهم فى حال السلم ؛ لأنهم يد واحدة ، ولكنهم أرادوا مخالفة هذه التقاليد ، فغاروا عليهم ، وأخذوا الأغنام ، وثار عليهم بنو عبد الله بن غطفان ، وهم من ذوى بدير ، على ماء المصلوب ، فلحقوهم ، فكانت المعركة عظيمة ، واسترجعوا أغنامهم ، فصمموا على أخذ ركابهم ، ولم يكن معهم من الخيل إلا فرسان : فرس تحت بدر بن محمد الدويش ، والثانية تحت مشارى بن بصيص رئيس الصعران بطن من مطير ، فمضى رأى الدوشان ومن معهم أنهم قد أدركوا دخلوا على مشارى ابن بصيص وسألوه أن يمنهم من ذوى بدير ولو أنهم معتدون عليهم ؛ لأن صنعهم هذا يسىء إلى ما بين قبائلهم ، فرجع مشارى بن بصيص ، واجتمع برؤساء القوم محمد بن حوكة وأخيه سالم فطال الجدل بينهم ، فأتتهى الأمر بقبول وساطته للكف عنهم ، وقد حدثنى رجل من ذوى بدير يقال له الحميدى البديرى كان حاضراً تلك الواقعة قال : ما اختلفنا فى الغنائم والعقائر من الإبل ، وكان منا رجل يقال له عتيق من الذين عرفوا بإصابة المرمى ، فسمع الرمى ، واعترض للمنهزمين ومعه بندقيته من الصمغ ، فلما اختلفوا عند العقائر من جيش الأعداء قال : ما أدركه مضرب السهم منها فى ملكث العرقوب من يمن فهو لى ، وما أدركه مضرب السهم فى غير هذا الموضع فلا أنازكم فيه قال : فوجدنا ما أصابه السهم منها فى الموضع الذى ذكره خمس عشرة ناقة ، ذلك لأنه معروف

بجودة الرمي عند قبيلته وعند كثير من أهل نجد، فأخذها ، والعرقوب والعراقيب يكون إذا خرجت من ماء المصلوب قاصداً مكة على شمالك من حين تمشي من الماء حتى تصل الحمى ، أبارق وأحجار منعقد بعضها ببعض .

* * *

٢١ — وقال طهman بن عمرو الدارمي^(١) :

ألا يا اسلمًا بالبئر من أم واصل
وهل يعلم الرُّبمان يأتي عليهما
ألا هزئت منى بنجران إذ رأت
كأن لم ترى قبلي أسيراً مكبلاً
عذرتك يا عني الصحيحة والبكى
كنى حزناً أنى تطاللت كي أرى
كأنهما والآل يجرى عليهما
ألا حبذا والله لو تعلمانه
وماؤ كما العذب الذى لو وردته
وإنى والعيسى فى أرض مذحج
غريبان مخفوان أكثرهما
ومن أم جبر أيها الطللان
صباح مساء نائب الحدثان
عشاري فى الكبلين أم أبا
ولا رجلاً يرمى به الرجوان
فا لك يا عوراء والهملان
ذرى قلتي دمنخ كما تريان
من البعد عيناً برقع خلقان
ظلالكما يا أيها العلمان
وبى نافض الحمى إذا لشفانى
غريبان شتى الدار مختلفان
وجيف مطايانا بكل مكان

دمخ : جبل عظيم فى عالية نجد الجنوبية ، وقد مضى الكلام عليه فى كتابنا هذا ، وهو باق بهذا الاسم إلى هذا العهد ، قال شاعر من بنى كلاب :

أمغترباً أصبحت فى رامهرمز ؟ نعم كل نجدى هناك غريب
فيا ليت شعرى هل أسيرن مضجداً ودمنخ لأعضاد المطى جنيب
وقد أكرث الشعراء من ذكره ، وهو متاخم لجبل نهلان ، ولونه كلونه .

* * *

٢٢ — قال ساعدة بن جؤية الهذلى^(٢) :

أخيل برقاً متى حاب له زجل إذا يفتّر عن توماضه حلجبا

(١) المعجم ٤ / ٧١ (٢) المعجم ٥ / ٢٩٦ وديوان الهذليين ٢ / ٢٠٩ .

مُسْتَأْرَضًا بَيْنَ بَطْنِ اللَّيْثِ أَيْعُنُهُ إِلَى شَمْنَصِيرٍ غَيْثًا مَرَسِلًا مَعَجَا

الليث : موضع معروف على ساحل البحر بين مكة والقنفذة ، مرسى لأهل تلك الناحية ، وهو لبني حسن بطن من أشراف تهامة ، وهو معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد .

أما شمنصير فهو جبل معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، منقطع من جبال كسب الغربية يبعد عنها مسافة نصف يوم ، أقرب ما يليه من الأودية العمورة وادي رهاط ، له ذروة شاهقة لا يستطيع أحد أن يرتقيها ، وفيه نبات لا يوجد في جبال الحجاز كالنَّيْعِ والغَرْبِ والشَّوْحَطِ وهذا الجبل هو الذي ذكره أبو صخر الهذلي في قوله من قصيدته التي رثى بها ابنه تليدا :

وَذِ كَرْنِي بُكَائِي عَلَى تَلِيدِ حَمَامَةٍ مَرَجَاوَبَتِ الْحَمَامَا
تَرْجَعُ مِنْطَقًا عَجَبًا وَأَوْفَتِ كَنَاحُهُ أَتَتْ نُوحًا قِيَامَا
تَنَادَى سَاقِ حُرٍّ ظَلَّتْ أَدْعُو تَلِيدًا لَا يُبَيِّنُ بِهِ الْكَلَامَا
لَعَلَّكَ هَالِكٌ إِمَّا غَلَامٌ . تَبَوَّأَ مِنْ شَمْنَصِيرٍ مَقَامَا

وبلى شمنصير جبال ، هي عمدان والعرضاء ، قال شاعر من الروقة نبطي :

إِسَالُ عَمْدَانَ وَالْعَرْضَا وَإِسَالُكَ يَا شَمْنَصِيرَ وَسَلَّ عَدَنَ عَلَيْهِ الْوَرْدُ يَسْقِي كُلَّ فَجْرَا
إِسَالَهُمْ عَنْ إِبْكَارٍ مَا عَلَيْهَا إِلَّا الْبَوَا كَبِيرَ غَدَتِ نَهَارُ التَّفَرُّقِ بَيْنَ بَدْوَانٍ وَحَضْرَا
الْبَوَا كَبِيرَ : وسوم للابل كية بالنار ، ولا أعلم أن بوا كبير بهذا المعنى تستعملها أعراب تلك الناحية غير قبيلة الممارقة من سكان الحجاز ، ومياهم العميق ، ويرجعون في النسب إلى قبيلة المقطة قبيلة ابن حميد ، والعد الذي ذكره هو رهاط الذي يجاور شمنصير ، وشمنصير تعرفه عامة أهل نجد .

* * *

٢٣ — وقال شاعر من بني كلاب (١)

وَمَا أُمُّ طِفْلٍ قَدْ تَجَمَّعَ رَوْفُهُ تَفَرَّيَ بِهِ طَلْحًا وَسَدْرًا تَنَاسَقُهُ
بِأَسْفَلِ غُلَانٍ الْمَفِيفِ مَقِيلَهَا أَرَاكَ وَسَدْرٌ قَدْ تَحْضُرُ وَارِقُهُ

عفيف : هو للنهل المعروف على طريق السيارات إلى مكة ، بين الدفينة والقاعية ، عمر في هذا العهد الأخير ، وأقيم به بلد ، وكثرت به القصور والدكاكين ، وبه مركز للحكومة فيه أمير وقاض ، وتصل في الجمعة ، وهو باق بهذا الاسم إلى هذا العهد .

* * *

٢٤ — وقال البريق الهذلي^(١) :

سَقَى الرَّحْمَنُ حَزْمَ يُنَابَعَاتٍ مِنْ الْجُوزَاءِ أَنْوَاهِ غِزَارًا
بِمُرْتَجَزٍ كَأَنَّ عَلَى ذَرَاهُ رِكَابَ الشَّامِ يَحْمِلُنَ الْبَهَارَا
يَحْطُ الْعُصَمَاءُ مِنْ أَكْنَافِ شِعْرِ وَلَمْ يَتْرِكْ بَنَى سَلْعَ حِمَارَا

شعر

شعر : جبل أسود ملم طويل ، إذا خرجت من ماء عنيف قاصداً الرياض ، وسرت بالسيارة ثلث ساعة انعرج طريق على شمالك ، وهو طريق القصيم ، سالت هذا الطريق يمر بشعر ، وبه يترى لها الأشعرية في وسط هذا الجبل ، تقف عنده السيارات ، إذا انعرج الطريق المذكور فالتفت على شمالك فإنك ترى شعرا ، ليس حوله جبال مثله ، أسود طويل ملم ، يبعد عن الطريق المذكور مسافة نصف يوم للابل حاملة الأثقال ، ولكني لست على ثقة أن البريق عناه ، وأغلب ظني أنه قصد جبل شعر الواقع غربي كشب ، ولا يزال يقال له شعر إلى اليوم ، تعرفه عامة أهل نجد ، وهو في المنتصف بين كشب وجبال الحجاز ، وأما شعر المتقدم ذكره فهو الذي يقول فيه ذو الرمة :

أقول وشعر والعرائس بيننا وسُمِرُ الذرى من هضبة ناصفة الحر

والعرائس : هضبات ثلاث حرم متاخات لشعر في جهته الشرقية ، تبعد عنه أقل من نصف يوم ، تعرف بالعرائس إلى هذا العهد ، قال الخطيم العكلى :

وهل أرى بين الحفيرة والحصى حتى النير يوماً أو بأكثبة الشعر

والذي يدل على أن الخطيم قصد شعرا المذكور أنه متاخم للنير ، قال غسان بن ذهل السليطي^(٢) :

تسألني جنباء أين عشارها قتلت لها تعل عترة ناعس

إذا هي حلت بين عمرو ومالك وسعد أجبرت بالرماح المداعس

وهان عليهما ما يقول ابن ديسق إذا نزلت بين اللوى والعرائس

اللوى : هو طرف عريق الدسم لأنه متاخم للعرائس وشعر ، والعرائس هي الهضبات المذكورة آنفاً ، متاخمة لشعر المذكور ، وشعر به يوم من أيام العرب بين بني عامر ، وغطفان ، عطش في ذلك اليوم غلام شاب يقال له الحكم بن الطفيل فحشى أن يؤخذ فحش نفسه فسمى ذلك اليوم « يوم التخاق » .

* * *

٢٥ — وقال ذو الجوشن الضبابي^(١) :

أَمْسَى بِكُودَ أَثَالٍ لَا بَرَّاحَ لَهُ بَعْدَ اللَّقَاءِ ، وَأَمْسَ خَائِفًا وَجِلًا

هذا الموضع قتل فيه الصميل بن الأعور الضبابي ، وهي هضبة حمراء يقال لها في هذا العهد « الكودة » وهي هضبة شاهقة ، وهي التي يقول فيها الراجز :

* مثل عمود الكود ، لا ، بل أعظما * وهي معروفة عند عامة أهل نجد بهضبة الكودة .

١ يتغير اسمها إلى هذا العهد . لا تبعد عن هضبات العرائس أكثر من ساعتين ، وشعر والعرائس والكودة متصل بعضها ببعض .

* * *

٢٦ — وقال عدى بن الرقاع العاملي^(٢) :

فَذَرْنَا ، وَلَكِنْ هَلْ تَرَى ضَوْءَ بَارِقٍ وَمِیضًا تَرَى مِنْهُ عَلَى بُعْدِهِ لَمَعًا
تَصَعَّدَ فِي ذَاتِ الْأَرَابِ مَوْهِنًا إِذَا هَزَّ رَعْدًا خِلْتَنِي وَدَفِيهِ شَفْعًا

ذات الأراب : على اسمها إلى اليوم ١ تتغير إلا قليلا فإنها تعرف اليوم باسم « أرينبة » وهي ذات الأراب هضبات صفار قريب العرائس المذكورة ، وهي أصغر منظرا من الهضبات التي مر ذكرها ، إذا خرجت من منبhel عفيف سائرا نحو الشرق ، وكنت في أودية أبقار ، فَالْتَفَتَ على شمالك فإنك ترى جبل شعر ، وإذا خرجت من أبقار وهبطت وادي المعلق فالتفت على شمالك فإنك ترى الكودة والعرائس وأرينبة : العرائس هضبات حمر شاححة ، والكودة : هضبة واحدة ، وأرينبة : هضبات صفار ، وهذه الهضبات المذكورة يطوف عليها الراكب في أقل من نصف يوم ، لا تزال كلها بهذه الأسماء إلى هذا العهد ، وجميعها على شمالك وأنت خارج من عفيف .

* * *

٢٧ — وقال سالم بن دارة^(٣) :

تَرَكَنِي فَرَقُهُ فِي مَعْلَقٍ أَثْرَلُ جَبَلٍ مُرَّةً وَأُثْرَقِي

* عن مرة بن دافع وأتقى *

صار اسم هذا الموضع اليوم « المعلق » فشددوا لأمه ، وابن دارة قصد في أرجوزته وادي المعلق ، وجبل المعلق ، وهذا الوادي إذا أنت قطعت أودية أبقار وجبالها وأنت قاصد القاعية من عفيف رأيته هناك ، يقطعه الطريق ، ثم إذا التفت صوب شمالك رأيت جبلا ملعما شاهقا إلى

السما يقال له جبل الملق .

٢٨ — وقال نصيب^(١) :

وَقَدْ كَانَ فِي أَيْمَانَا فِي سُؤْيَقَةٍ وَلَيْلَاتِنَا بِالْجَزْعِ ذِي الطَّلَحِ مَذْهَبُ
إِذَ الْعَيْشُ لَمْ يَمُرَّرْ عَلَيْنَا، وَلَمْ يَحُلْ بِنَا بَعْدَ حِينٍ وَرَدُّهُ الْمُتَقَلِّبُ
وقال ذو الرمة :

أَقُولُ بِذِي الْأَرْضَى عَشِيَّةً أَتَلَعْتُ إِلَى نَبَا سِرْبِ الطُّبَاءِ الْخَوَازِلِ
لَأَدُمَّانَةً مِنْ بَيْنِ وَحْشِ سُؤْيَقَةٍ وَبَيْنِ الطَّوَالِ الْعُفْرِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ
أَرَى فَيْكَ يَا خِرْقَاءَ مِنْ طَبِيبَةِ اللَّوَى مَشَابَهَ مَنْ حَيْثُ اعْتَلَقَ الْحَبَائِلِ
سُؤْيَقَة : هضبة معروفة تقع جنوبي جبال حليت ، معروفة بهذا الاسم عند عامة أهل نجد ،
وكانت بها وقعة من وقعات بكر وتغلب ، وهي التي قال فيها مهلهل :
غَدَاةَ كَانْنَا وَبَنَى أَيْبِنَا بِجَنْبِ سُؤْيَقَةٍ رَحِيًّا مُدِيرِ^(٢)
وقال كثير :

لَعَمْرِي لَقَدْ رُعْتُمُ غَدَاةَ سُؤْيَقَةٍ بَيْنَكُمْ يَا عَزَّ حَقَّ جَزُوعِ
وقال ابن هرمة :

عَفْتُ دَارَهَا بِالْبُرُتَيْنِ فَأَصْبَحْتُ سُؤْيَقَةٍ مِنْهَا أَقْفَرْتُ فَنَظِيمُهَا
وَقَالَتْ تَمَاضَرُ بِنْتُ مَسْعُودٍ أَخِي ذُو الرِّمَةِ :
لَعَمْرِي لَجُو مِنْ جِوَاءِ سُؤْيَقَةٍ أَوِ الرَّمْلِ قَدْ جَرَّتْ عَلَيْهِ سَيُولُهَا
أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ جَدَاوِلِ قَرْيَةٍ تَعْمُوسُ مِنْ رَوْضِ الْفَلَاةِ فَيْسِيلُهَا
أَلَا لَيْتَ شَعْرِي لِأَحْبَسْتُ بِقَرْيَةٍ بَقِيَّةَ عَمْرٍِ قَدْ أَتَاهَا سَبِيلُهَا
وَقَالَتْ تَمَاضَرُ أَيْضًا :

لَعَمْرِي لِأَصْوَاتِ الْمَسْكَكِ بِالضَحَى وَصَوْتُ صَبَا فِي مَجْمَعِ الرَّمْثِ وَالرَّمْلِ
وَصَوْتُ شِمَالٍ هَيَّجَتْ بِسُؤْيَقَةٍ أَلَاءِ وَأَسْبَاطًا وَأَرْطَى مِنَ الْحَبْلِ
أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ صِيَاحِ دَجَاجَةٍ وَدِيكَ وَصَوْتُ الرِّيحِ فِي سَعَفِ النَّخْلِ
وكانت تماضر بنت مسعود قد تزوجت في مصر من الأمصار فحنت إلى وطنها فقالت هذا الشعر

(١) المعجم ١٨٠/٥ وكل ما ذكر معه من الشواهد .

(٢) هكذا وقع في ١٨٠/٥ من المعجم ، وورد في ٢٣٤ / ٦ « بجنب عنيزة »

وقال العَطَشُ الضبي :

لعمري لجؤُ من جِواءِ سُوَيْقَةٍ أسأله ميثُ وأعلاه أجرج
أحبُّ إلينا أنْ نَجْاورَ أهلَهَا ويصبح منا وهو مرأى ومسمَع
من الجؤسِقِ المَلْعونِ بالرى لا يَني على رأسه داعى المَنية يَلْعُ

قد أطلنا الكلام على سويقة ، ففي بلاد العرب التي أعرفها مواضع كثيرة بهذا الاسم : الأول سويقة ، جُبَيْلٌ في جنوبي الحمار الواقع في عالية نجد . والموضع الثاني : سويقة ، جُبَيْلٌ في وسط العُبلَة بين سجا ووادي خنثل ، الموضع الثالث : جُبَيْلٌ في غربي الحناكية يقال له سويقة ، وعنده موضع يقال له النظامان في هذا العهد ، وهذه المواضع هي التي عنها ابن هرمة حين قال :

* سويقة ونظيمها * والموضع الرابع هو الذي ذكرنا أنه في طرف حليت الجنوبي ، وأنه هضبة طويلة يقال لها « سويقة » منقطعة من جبل حليت ، لكن جبل حليت أسود كأنه غُرَاب ، وتلك الهضبة لونها أشقر بين الحُجرة والسواد ، وهناك هضبات تقع جنوبي ضَرِيَّة على مسافة أقل من نصف يوم ، يقال لها « النظيم » وفي شرقي الدهناء كثيب أحمر مما يلي حَزْوَى موضع يقال له سويقة ، وهو الذي عنه ذو الرمة ، وتماضراثة أخيه ، وهو الذي عنه العَطَشُ الضبي ، وهناك موضعان بين شقرا وثرمداء ، قصران يزرعان يقال لأحدهما « سويقة » وللآخر « النظيم » وقرأت على الشيخ ناصر بن سعود بن عيسى رحمه الله وهو من سكان شقرا وله اليد الطُولى في فن اللغة وأشعار العرب هذا البيت بيت إبراهيم بن هرمة :

غفت دارُها بالبرقتين فأصبحت سُوَيْقَةٍ منها أقفرت فنظيمُها

فسألته : هل تعلم سُوَيْقَةَ والنظيم ؟ فقال : أعلم هذين القصرين سويقة والنظيم الواقعين بين شقرا وثرمداء ، فقلت : إن هذين القصرين حديثان ، فقال : لعل هذه الأسماء قديمة وقد أحدث القصران في موضعيهما ، أو لعلهما بثران جاهليان بُعنا اليوم ، فقلت له : أنا أعلم موضعين في بلاد العرب يقال لكل منهما سويقة والنظيم ، أما أحدهما فهي الهضبة المجاورة لحليت والنظيم الهضبات المجاورات لضرية ، يقال لها سويقة ، وقريب منها جيبيلات بها ماء يقال لها النظامان ، فقال : الآن صح أن ابن هرمة قصد الموضع القريب من الحناكية ؛ لأنه شاعر حجازي ، وهناك وطنه .

* * *

٢٩ — وقال جرير ^(١) :

لَمِنْ رَسْمٍ دَارٍ هُمْ أَنْ يَتَغَيَّرَا تَرَاوَحَهُ الْأَرْوَاحُ وَالْقَطَرُ أَعْصُرَا
وَكُنَّا عَهْدَنَا الدَّارَ وَالْدَّارُ مَرَّةً هِيَ الدَّارُ إِذْ حَلَّتْ بِهَا أُمُّ يَعْصُرَا
ذَكَرْتُ بِهَا عَهْدًا عَلَى الْهَجَرِ وَالْبَلِي وَلَا بَدْءَ لِلْمَشْعُوفِ أَنْ يَتَذَكَّرَا
أَجْنُ الْهُوَى مَا أَنْسَ لَا أَنْسَ مَوْقِفًا عَشِيَّةَ جِرْعَاءِ الصَّرِيفِ وَمَنْظَرَا
تَبَاعَدَ هَذَا الْوَصْلُ إِذْ حُلَّ أَهْلُنَا بِقُوَّةٍ وَحَلَّتْ بَطْنُ عِرْقِ فَعْرَعَرَا

الصريف

الصريف : موضع معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، به قصور تزرع ، يقع شرق مدينة بريدة على مسافة أقل من اليوم ، وكان في هذا الموضع يوم من أيام العرب في الجاهلية ، وكان به يوم بين العرب المتأخرين في أوائل القرن الرابع عشر ، فالأعشى وقد نسب الخمر إلى هذا ^(١) :

صريفية طيبه طعمها لها زبد بين كوز ودن

ولكني لأطمئن إلى أن الأعشى عنى ذلك الموضع ؛ فإن بيع الخمر في نجد نادر في الجاهلية ، وظنى أن الأعشى عنى موضعا يقال له صريفون في سواد العراق على ضفة نهر دجيل إذا أذن بها المؤذن سمعوه في عكبراء ، وبينها وبين مسكن وقعت الحرب بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير ساعة من نهار ، وظنى أن الأعشى إنما نسب الخمر إليها ؛ لأنه لم يذكر في كتب اللغة ولا في المعاجم أن صريفا الواقع في جهة القصيم تباع فيه الخمر ، ولأن المعروف عن عرب نجد في جاهليتها أنهم يستهجنون شرب الخمر والاتجار فيه .

* * *

٣١ — وقال شاعر من الضباب يخاطب بنى جعفر ^(٢) :

قد علمت مطرف خضابها نزل عن مثل النقا ثيابها
أن الضباب كرمت أحسابها وعلمت طخفة من أربابها

طخفة

طخفة : هضبة حمراء شاهقة إلى السماء ، لها رؤوس كثيرة متفرقة ، موقعها بين نفي وضرية تعرف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، ووادي الريان الذى ذكره ليبيد في معلقته حين قال :

فمدافع الريان عرى رسمها خلقا كما ضمن الوحي سلامها

يأتى سيله من جنات طخفة أو قريبا منها ، وهو أيضا باق بهذا الاسم إلى هذا العهد ، يسير بين طخفة وغول ، قال الأحوص بن عمرو بن قيس بن عتاب :

(١) ذكر ياقوت أن الخمر منسوبة إلى « صريفين » قرية كبيرة غناء بالعراق .

(٢) المعجم ٦ / ٣٢

وقادوا بكره من شهاب وحاجب رؤوس معذ بالأرمة والخطم
علا جدّهم جدّ الملوك فأطلقوا بطخفة أبناء الملوك على الحكم
وعلى هذه القصيدة التي منها هذان البيتان أخبار طويلة في ذكر أبناء الملوك .
وقال ربعة بن مقروم الضبي :

وإذ لقيتَ عامرَ بالنسا رِ منهم وطخفة يوماً غشوما
به شاطروا الحى أموالهم هوازن ذا وفرها والعديما
وساقت لنا مذحج بالكلاب مواليتها كلها والصميا

وقالت أم موسى السكلابية ، وقد تزوجت بحجر اليمامة :

لله درى أى نظرة ناظر نظرت ودونى طخفة ورجامها
هلي الباب مفروج فأنظر نظرة بعينى أرضا عزّ عندى مرامها
فياحبذا الدهنا وطيب ترابها وأرض فضاء يصدح الليل هامها
ونص العذارى بالعشيّ والضحي إلى أن بدت وحى العيون كلامها

وقال جرير :

بطخفة جالداً الملوك وخيلنا جرير يسطام بن قيس على تحب

وقال جرير أيضاً :

وقد جعلت يوما بطخفة خيلنا لال أبى قابوس يوماً مكدرًا

وفى طخفة يوم من أيام العرب مشهور ، وهو الذى تشير فيه شعراء بنى تميم إلى أسر الملوك ،
وفى يوم بين العرب المتأخرين فى سنة ١٣٤٨ هـ بين حرب وعتيبة ، انهزمت فيه العتبان ،
وانتصرت فيه حرب .

* * *

٣١ — وقال الأزور البجلي (١) :

لقد علمت بجيلة أن قومي هم تركوا سراة بنى سليم
بكل مهند وبكل غضب وأبنا قد قتلنا الخير منهم
بنى سعد أولو حسب كريم كأن رؤسهم فلق الهشيم
تركناهم بشقرة كالريم وآبوا موثرين بلا زعيم

الشقرة : موضع معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، يقع شمالاً الحناكية على مسافة يوم ، واديه دَوم ، وبه جبال شُقْر ، سمي ذلك الوادى بشقرة تلك الجبال ، كان به يوم بين بجميلة وبنى سليم .

قال مصنف هذا الكتاب : وردتُ هذا الماء ماءَ الشقرة في رجب سنة ١٣٤١ هجرية ، متجهاً إلى المدينة للتجار ، وخرجت من بلدى ، وكان طريقى على القصيم ثم الحائط الذى كان يقال له فى الجاهلية فذلك ، وبثُ فى الحويط ، ثم خرجت من الحويط صباحاً ، وبتنا على منهل يقال له « صفيط » ونحن ثلاثة نفر : المصنف ، وصاحب لى شريك فى البضاعة يقال له عبد الله ابن فاضل ، ومعنا رجل من عوف من قبائل حرب اتخذناه أخوا يمنعنا من قبائل حرب ، وهذه عادة جارية بين قبائل نجد ، إذا أخذت رجلاً من قبيلة فهو يمنعك من جميع بطون هذه القبيلة ، وكنا فى ذلك العهد نخشى الخطر من غزوات الحجاز التى يبعثها الشريف ، وعلينا خطر آخر من السرايا التى يبعثها جلالة الملك لمصادمة ركبان الحجاز أن تعتدى علينا ، وذلك قبل أن يتأكد الأمن ، ثم مشينا من ماء صفيط صباحاً ، ودليلنا الرجل الذى من حرب ، وهو يقول : نبيتُ على ماء الشقرة ، فلما كنا فى المنتصف بين ماء الشقرة وماء صفيط وجدنا أثرَ ركبٍ قد أجذوا فى الغارة متجهين إلى جهة الحناكية ، على ما ظهر لنا من الأثر ، تبلغ ركبهم مائة ، فتوجسنا الشر ولسكن الله لطيف بعباده ، وعلما أن الجيش الذى هذه آثاره يقوده راشد السحيمى أحد بنى حرب ومعه غزاة قد بعثهم شريف المدينة للنهب والسلب ، وهو أجراً رجل فى الحجاز ، فلما رأونا على بعد ظنوا أننا من سرايا جلالة الملك ، فانهزموا إلى الحناكية ، وتخصنوا بها ، فأتينا ماء الشقرة قبل غروب الشمس ، ونحن خائفون ، ومنعنا إيقاد النار ، فسمعنا صوتاً فى أعلى الوادى ، فقلت لصاحبي : سأذهب فى سواد الليل الآن وآتيك بخبر هذا الصوت ، فأخذت بندقيتى وذهبت أتحسس الصوت قليلاً قليلاً ، حتى قربت منه ، فوجدتها هامة على حجرٍ ، وهى التى تسمى البومة فرجعت إلى صاحبي فقلت له : كأن صدرك ضائق ، قال : كيف أخاف ؟ والله لا يمسنا سوء إن شاء الله ؛ فلما ذهب من الليل ثلثه ركبنا رواحلنا وأدجلنا ليلتنا ويومنا وأول ليلتنا الثانية حتى نزلنا « العوالى » فى المدينة على رجل من بنى على يقال له دغيان بن جميدان ، وهو رجل شجاع كريم مهيب فى قومه : فاقمنا فى المدينة سبعة أشهر فى أمور التجارة وما يتعلق بها ، ثم حُيِست بتهمة أن لى دخلاً فى الأمور السياسية ، وأمرُ الحبس صادر من الحسين شريف مكة ، ولكن لم يثبت على شئ مما اتهمت به ، وأقوى معين لى على الخروج من الحبس هو الرجل الذى كنت

عنده ضيفا لأن السلطة في المدينة في ذلك العهد لقبائل حرب ، وليست للدولة .

* * *

٣٢ — وقال عنتره ^(١) :

بكلِّ هَتُوفٍ مُجَسِّمٍ رَضُوبَةٌ وَنَهْمٍ كَسِيرٍ اِحْمِيرِي الْمُؤَنَّفِ
فَإِنْ يَكُ عَزٌّ فِي قَضَاعَةٍ ثَابِتٌ فَإِنَّ لَنَا بِرَحْرَحَانَ وَأَسْقُفِ
كَتَابَ شُهْبَاً فَوْقَ كُلِّ كَتِيبَةٍ لَوْلَا كِظْلُ الطَّائِرِ الْمُتَصَرِّفِ

رحرحان . جبل عظيم أسود ، يقع جنوبى الحناكية ، يبعد عنها مسافة نصف يوم ، وبه يومان من أيام العرب ، وأشهرهما الثانى ، وهو لبني عامر بن صعصعة على بنى تميم ، وأسرفيه معبد ابن زُرارة وأخوه حاجب بن زُرارة رئيس تميم ، وكان سببه أن الحارث بن ظالم قتل خالد بن جعفر ابن كلاب ، وهما ضيفان عند النعمان بن المنذر ، ثم هرب الحارث بن ظالم فأثى بنى زُرارة بن عدس فاستجارهم ، فأجاره معبد بن زُرارة بن عدس ، فخرج الأحوص بن جعفر ثائرا بأخيه خالد ، فالتقوا برحرحان ، فهزمت بنو تميم ، وقال عوف بن عطية التميمي ^(٢) :

هَلَا فُورَاسَ رَحْرَحَانَ هَجَوْتَهُمْ عَشْرًا تَنَافَحَ فِي سِرَارَةٍ وَادٍ
يَعْنَى لَقِيطَ بَنِ زُرَارَةٍ وَكَانَ قَدْ انْهَزَمَ عَنْ أَخِيهِ مَعْبَدٍ وَأَسْرِيَوْمُثَدَّ ، قَالَ جَرِيرٌ :
أَتَنْسُونَ يَوْمَى رَحْرَحَانَ كَلِمَهُمَا وَقَدْ أَشْرَعَ الْقَوْمُ الْوُشَيْجَ الْمُؤَمَّرَا
تَرَكْتُمْ بُوَادَى رَحْرَحَانَ نِسَاءَ كَمْ وَيَوْمَ الصَّفَا لَاقَيْتُمْ الشَّعْبَ أَوْعَرَا
سَمِعْتُمْ بَنَى مَجْدٍ دَعَاوَا يَالْعَاِمِرِ فَكُنْتُمْ نَعَامًا فِي الْجَزِيرَةِ مُنْفَرَا
وَأَسْلَمْتُمْ لَابْنِ أَسِيدَةٍ حَاجِبَا وَلَاقَى لَقِيطًا حَتَفَهُ فَتَقَطَرَا
وَأَسْلَمْتِ الْفَلَحَاءَ لِلْقَوْمِ مَعْبَدَا تَجَاذَبَ مَخُوسًا مِنَ الْقَدِّ أَسْمَرَا

ومعبد بن زُرارة بقى في أمره في يدى بنى عامر لم يفلت ، فمات في أيديهم ، فعيرت العرب حاجبا وقومه لذلك وقول جرير .

تَرَكْتُمْ بُوَادَى رَحْرَحَانَ نِسَاءَ كَمْ وَيَوْمَ الصَّفَا لَاقَيْتُمْ الشَّعْبَ أَوْعَرَا

يشير إلى شعب جبلة الذى كان فيه يوم عظيم بين بنى عامر وبنى تميم فانهزمت بنو تميم وقتل لقيط بن زُرارة ورحرحان باقى بهذا العهد ، لم يتغير ، وهو فى بلاد غطفان وبه يوم ثالث عظيم ^(١) ديوان عنتره ص ١٠٧ وأراد بالهتوف القوس ، وأصل الهتوف ذات الصوت ، ورضوية أى

منسوبة إلى رضوى ، والسهم المؤنف : الذى قد على استواء . (٢) معجم ٢٣٩/٤

(١٤ — صحيح الأخبار ٢)

بين العرب المتأخرين في أوائل القرن الرابع عشر بين حرب وبنى عبد الله بن غطفان ، وبه يوم متأخر أيضا لكنه أقل من الذى قبله ، وكان فيما بين رحرحان وماء الهميج ، بين حرب ورئيسهم ناهس الذويبي وبنى عبد الله بن غطفان ورئيسهم جهز بن شرار ، فانهزمت حرب ، وعزوة قبيلة الذوبة « إخوان نوره » قال جهز بن شرار أبياتان بطيئة منها :

إخوان نوره شافوا المكروهه	ركبوا على قب سوات الشياهين ^(١)
ماذمهم والله رقيب عليه	ومعين الله والقبائل معيين
خلوك يا قاسم زبون الونيه	ياماشى قطعان بدومنين
وخلف ربيع الضيف والآهليه	ياريف اهل هجن عن الزاد مبطين
خلوه يوم الملح ينقاد فيه	وارخوا جلامدها مع الدومقفين
ماوانوا للعزوة العبدلية	هابلهم اليوم الذى من وراتين
وش علم ناهس مالتفت فى خوية	هو يحسب للقوات شل البعارين
جتهم اقصصها كلها بالسوية	والخيل مجنونة واهلها مجانين

هذا كلام رئيس من بنى عبد الله جهز بن شرار ، ورئيس حرب فى ذلك اليوم ناهس الذويبي وهو رئيس عام لبني عمرو بطن من حرب ، أما قاسم الذى يقول فيه الشاعر (خلوك يا قاسم زبون الونيه) فهذا قاسم بن براك رئيس هتيم وصاحب غزوات الجيوش يحجها من جهة إلى جهة أخرى ، وعند أهل نجد اسم حديث للذى يغزو بالجيوش يسمونه (عقيد) مشتق من انعقاد أمرهم على يده ، وصادف أن قاسما المذكور نهار المعركة حاضر مع الذويبي ، والذى يقول فيه الشاعر : * وخلف ربيع الضيف والآهلية * هو خلف بن ناحل من رؤساء حرب ، وهو أكرم أهل زمانه ، سئل فاجر الذويبي أبو ناهس المذكور فى بعض المجالس ، قيل له : مَنْ أكرمكم يا حرب ؟ ومن أفرسكم على الخيل ؟ فقال الذى سأله أكرمنا خلف بن ناحل ، وأفرسنا مانع بن مريخان ، فالتفت إليه عبد الله الفرم رئيس بنى على فقال : يا فاجر ، كيف تجعل الرجلين من بنى سالم ؟ لو جعلت لنا يا مسروح واحداً منهم إما الكريم وإما الفارس ! فالتفت إليه وقال : والله إني لأحب الصدق ، لما سألتى الرجل وأنا رجل من مسروح لم أرض الكذب ، وجميع بنى حرب القاطنون فى نجد على بطنين : بنى سالم ، ومسروح ، والبطنان أخذوا كثيرة ، فلما ظفر جهز بن شرار وقومه بالفنائم وهزموا بنى عمرو أخذوا قاسم بن براك وخلف بن ناحل ، ثم منوا عليهما وبعثوا بهما إلى أقرب قبيلة من حرب .

(١) الشياهين : نوع من الصقور ، فصيحته « الشواهين » ، والقب : الخيل الضامرة البطون .

٣٣ — وقال الشماخ^(١) :

وأحمى عليها أبنأَ يزيدَ بنِ مسهرٍ
ييطن الرّاضِ كلَّ حِمنى وساجر

وقال سلمة بن الخُرَشُب :

وأُسوا حَلَاءَ ما يُفَرِّقُ بينهم
على كلِّ ماءٍ بينَ فيدٍ وساجر

ساجر : منهل معروف من أودية السر ، يتَّجهُ سيلُهُ من الغرب إلى جهة الشرق ، وهو الذى يقول فيه عمارة بن بلال بن جرير :

فإني لَمُكَلِّ ضامنٍ غير مُخْفِرٍ
ولا مكذب أن يَقْرَعُوا سنَّ نادِم

وَأَلَّا يَحْلُوا السرَّ مادام منهمُ
شريد ، ولا الخِمْاءَ ذاتَ الحارم

ولا ساجراً أو يطرحوا القوسَ والعَصَى
ولا عدلهم أو يُوطُوا بالْمَنَامِ

ذكر هذا الشاعر السر ، وذات الحارم ، وساجرا ، وكل هذه المواضع باقية على أسمائها إلى هذا العهد ، وقد مضى الكلام على السر في أبيات لامرئ القيس ، وقد مضى الكلام على ذات الحارم في أشعار زهير ، وأوضحنا أنها تسمى اليوم « الخرما ، وخريمان » وقال السمرى اللص :

تمنت سلمي أن أقيم بأرضها
وأنى وسلمى وبيها ما تمنت

ألا ليت شعرى هل أزورنَّ ساجراً
وقد رويت ماء العوادي وعلت

ساجر : منهل معروف في الجاهلية والإسلام من مناهل السر ، يقع من البرود في الجهة الغربية الشمالية ، والبرود وساجر يقعان من ماء خف التي تمر بها السيارات شمالا على مسافة أقل من نصف يوم ، بُعث ساجر في العهد الحديث في أوائل القرن الرابع عشر ، ونزله جماعة من الروقة ، وأغلبهم الحفاة والحنايتش ، وهاجروا إليه ، وتركوا البادية ، وتعلموا القرآن ، وشرائع الإسلام ولكن فيهم جماعة من الغلاة يدعون إلى الاجتهاد ، وأحسن حاصلات هذه البلد التمر ، فإنك لتجد نخلة ساجر ممتازة على جميع النخيل بضخامة المنظر وكثرة التمر .

* * *

٣٤ — وقال ليبد بن ربيعة العامري^(٢) :

فأسرع فيها قبل ذلك حِقْبَةً
رُكَّاحٌ نجبنا نقدة فالتعالمُ

هذه الأسماء لم تتغير منذ العهد الجاهلى إلى هذا العهد .

أما نقدة فهي روضة كبيرة تسمى اليوم « روضة النقد » سميت بهذا الاسم لأن أغلب نباتها نقدة

(١) معجم البلدان ٧/٥ ، وليس في ديوان الشماخ (٢) معجم البلدان ٢٧٨/٤ وديوان ليبد ٣٠ ليدن

النقد ، وشجرة النقد شجرة صغيرة ، أصغر من العرقة وأكبر من القنعا ، زهرها أصفر يمر بهذه الروضة سالك الطريق من مرات إلى مكة فيجدها على يمينه .

والمغاسل : أودية ذات غسل ، وهي بلد المصنف من مقاطعة الوشم ، والأودية المذكورة مجاورة لهذه الروضة ، لا تبعد عنها أكثر من ساعة ، ونبات النقد المذكور في كتب اللغة كالقاموس وغيره .

للمغاسل

* * *

٣٥ — وقال لييد^(١) :

ألم تُلِّمْ عَلَى الدِّمَنِ الْخَوَالِي لَسَمَى بِالْمَذَانِبِ فَالْقَالَ
فَجَبَنِي صَوْرِي فَنَعَايَ قَوْ خَوَالِدٍ مَا تَحَدَّثُ بِالزُّوَالِ
قد مضى الكلام على أكثر هذه المواضع ، إلا المذانب .

المذانب باقية على اسمها لم تتغير إلا تغيراً بسيطاً فإن اسمها الآن « المذنب^(٢) » وهو بلد كبير عاصر كثير التخیل والمياه ، وهي واقعة بين عنيزة وقرى السر ، تبعد عن عنيزة أقل من مسافة يوم وهي في الجهة الجنوبية من عنيزة ، وتعد تلك الناحية من قرى القصيم .

المذانب

* * *

٣٦ — وقال طفيل الغنوي^(٣) :

* تَرَبَّعَتْ مَا بَيْنَ مِذْعَا وَكَبْدٍ *

وقال الراعي :

غَدَا وَمِنْ عَالِجٍ رَكْنٌ يُعَارِضُهُ عَنْ الْيَمِينِ وَعَنْ شَرْقِيهِ كَبْدٌ

كبد : جبل في عالية نجد الجنوبية ، أسود المنظر عليه شعبة ، وبه ماء مرة يقال لتلك الماءة « ماء كبد » ويقال لذلك الجبل كبد ، معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، لم يتغير ، يعد من جبال العيلة التي كان يقال لها في الجاهلية المظلي .

كبد

* * *

٣٧ — وقال النمر بن تَوَلَّبِ الْمُكَلِّي شاعر جاهلي :

تَأْبَدَ مِنْ أَطْلَالِ عَمْرَةٍ مَأْسِلُ وَقَدْ أَفْقَرْتُ مِنْهَا شِرَاءَ فَيْذُبُلُ

(١) هما مع ثالث في المعجم ١٣٤/٧ (٢) ورد المذنب في شعر لييد أيضا ، وذلك قوله :

سَفَهَا وَلَوْ آتَى أَطِيعَ عَوَاذِي فِيمَا يَشْرَنُ بِهِ بِسْفَحِ الْمَذْنِبِ

(٣) المعجم ٢١٢/٧

فبرقة أرمام جنبنا متالع فوادي سليل فالندى فأنجل
ومنها بأعراض المحاضر دمنة ومنها بوادي المسلممة منزل

أكثر هذه المواضع قد مضى الكلام عليها في كتابنا ، وما لم يجر ذكره أنجل ، والمسلممة .
أما أنجل فهو منهل معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، يقال له « الأنجل » واقع في كتيب
السر الممتد من جهة الجنوب إلى جهة الشمال ، والأنجل في القطعة الجنوبية منه ماء ههيج ، وهو
صالح للابل ، في المنتصف بين تبرك و بلد القويعة .

أما « المسلممة » فهي باقية بما يقرب من ذلك ، لأنها تغيرت بتقديم بعض حروفها على بعض
يقال لها اليوم « السلممة » وهي بئر جاهلية كثيرة الماء ، بين قرى السر والمذنب ، يراها سالك
الطريق الذي مر ذكره بعينه ، أحدث في هذا العهد الأخير فيها قصر ومزارع .

* * *

٣٨ — وقال عنترة :

طال الثَّوَاء على رُسُوم المنزل بين اللكيك وبين ذات الحرمل
فوقفت في عرصات متحيراً أسلُ الديار كفعل مَنْ لم يذهل
لعبت بها الأنواء بعد أنيسها والرامسات وكلُّ جونٍ مسبل

ذات الحرمل : باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد ، إلا أنه قد زيد عليه ياء النسب فقيل « الحرملية » ذات الحرمل
وهو منهل عظيم في غربي المروت وشرقي عرض شمام في واد أغلب نباته حرمل .

* * *

٣٩ — وقال أوس بن نجير يرقى أباه ^(١) :

لَعَمْرُ بنى رباح ما أصابوا بما احتملوا وغيرهم السقيم
بقتاهم امرأ قد أنزلته بنو عمرو وأوهته الكلوم
فإن كانت رياحاً فاقتلوها وآل بجيلة النار المنيهم
فإنهم على المأرُوت قوم نوى برماهم ميث كريم

وحدث ابن سلام قال : قال جرير وهو بالكوفة :

لقد قادني من حُبِّ ماوية الهوى وما كنت ألقى للجنينة أقوداً
أحبُّ ثرى نجدٍ وبالغور حاجةً فغار الهوى يا عبدَ قيسٍ وأنجداً

أقول له : يا عَبْدَ قَيْسٍ صَبَابَةً بَأْتِي تَرَى مُسْتَوْقَدَ النَّارِ أَوْقَدًا
فَقَالَ : أَرَاهَا أَرْتُبْتُ بِوَقُودِهَا بِحَيْثِ اسْتَفَاضَ الْجَرْعُ شَيْعًا وَغَرَقَدًا
فَأَعْجَبَ أَهْلَ الْكُوفَةِ بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ ، فَقَالَ لَهُمْ جَزِيرٌ : يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ ، كَأَنِّي بَابْنِ الْقَيْنِ
— يَعْنِي الْفَرَزْدَقَ — إِذَا بَلَغْتَهُ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ يَقُولُ :

أَعِدْ نَظْرًا يَا عَبْدَ قَيْسٍ لَعَلَّما أَضَاءَتْ لَكَ النَّارُ الْحَمَارُ الْمُقَيَّدَا
فَلَمْ يَلْبَثُوا أَنْ جَاءَهُمْ قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ ، يَقُولُ هَذَا الْبَيْتَ نَفْسَهُ وَبَعْدَهُ :

حَمَارًا بِمَرُوتٍ السَّخَامَةِ قَارِبَتْ وَظُفَيْهِ حَوَّلَ الْبَيْتَ حَتَّى تَرَدَّدَا
كَلِمِيَّةً لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ وَجْهَهَا كَرِيمًا وَلَمْ يَسْنَحْ لَهَا الطَّيْرُ اسْعُدَا

المرُوت : أرضٌ متسعة بين نفود السمر وعرض ابني شمام ، وصفراء السر طرفها الجنوبي محاذٍ
أسفلَ وادي القويعة ، وطرفها الشمالي يتصل إلى ماء خف التي تقفُ عليها السيارات ، وفي جبتها
الواقعة بين الحرملية وماء الأنجل كان يوم من أيام العرب بين بني قُشَيْرٍ وبين بني يربوع من
تميم ، ومعهم قوم من تميم ، فكَانَتِ النُّصْرَةُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لِبَنِي تَمِيمٍ ، وَقَتْلُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ رُئُوسَ
بَنِي قُشَيْرٍ بِحَيْرِ بْنِ سَلَمَةَ ، قَتَلَهُ يَزِيدُ بْنُ أَزْهَرِ الْمَذَنِيِّ ، فَقَالَ يَزِيدُ بْنُ أَزْهَرِ الصَّعْقُ يَرْتِي بِحَيْرَا :
أَوَارِدْهُ عَلَى بَنِي رِيَّاحٍ بِفَخْرِهِمْ وَقَدْ قَتَلُوا بِحَيْرَا

فَوَجَّابَتُهُ الْعُورَاءُ مِنْ بَنِي سَنِيطِ بْنِ يَرْبُوعٍ ، وَهِيَ تَقُولُ :

قَعِيدُكَ يَا يَزِيدُ أَبَا قَيْسٍ أَتُنْذِرُ كِي تُلَاقِنَا النُّذُورَا
وَتَوْضَعُ مَجْمَرَ الرِّكْبَانِ أَنَا وَجِدْنَا فِي مِرَاسِ الْحَرْبِ خُورَا
أَلَمْ تَعْلَمْ قَعِيدُكَ يَا يَزِيدُ بَأَنَّا نَقْمَعُ الشَّيْخَ الْفَجُورَا
وَنَقْمَعُ نَاطِرِيهِ ، وَلَا نَبَالِي وَنَجْعَلُ فَوْقَ هَامَتِهِ الدُّرُورَا
فَأُبْلَغُ إِنْ عَرَضْتَ بَنِي كَلَابٍ فَإِنَّا نَحْنُ أَقْمَعُنَا بِحَيْرَا
وَضَرَجْنَا عَبِيدَةً بِالْعَوَالِي فَأَصْبَحَ مَوْثَقًا فِينَا أُسِيرَا
أَفْخَرًا فِي الْخَلَاءِ بِغَيْرِ فَخْرٍ وَعِنْدَ الْحَرْبِ خَوَارًا ضَحُورَا ؟

هَذَا الْيَوْمَ الَّذِي مَرَّ ذِكْرُهُ فِي امْرُوتٍ مِنْ أَعْظَمِ أَيَّامِ الْعَرَبِ ، وَالْمُرُوتُ خَالِيَةٌ مِنَ الْجِبَالِ
وَالْمَعْقِلِ ، إِلَّا جَبِيلَ وَاحِدًا مَتَاخِمَ مَاءِ الْحَرْمَلِيَّةِ الَّتِي مَرَّ ذِكْرُهَا وَهِيَ وَاقِعَةٌ فِي أَعْلَى الْمُرُوتِ ، وَهَذَا
الْجَبِيلُ يُقَالُ لَهُ « سَوْفَةٌ » لَا يَزَالُ يَعْرِفُ بِهَذَا الْأَسْمِ الَّذِي أُطْلِقَ عَلَيْهِ مِنَ الْعَهْدِ الْجَاهِلِيِّ وَهُوَ الَّذِي
يَقُولُ فِيهِ جَزِيرٌ ، وَهُوَ يُشِيرُ فِي هَذَا الْبَيْتِ إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي انْتَصَرَتْ فِيهِ قَبِيلَةُ بَنِي يَرْبُوعٍ عَلَى بَنِي قُشَيْرٍ :

بنو الخطافي والخليل أيام سوفة جَلَوْا عَنْكُمْ الظَّلماءَ وَانْشَقَّ نُورُهَا
قال في معجم البلدان : سوفة موضع بالمروت ، وأنا أعرفها ، جبيل صغير تراه وأنت في
أقصى المروت .

وهذا الموضع بعينه الذي كانت فيه الواقعة في الجاهلية بين تميم وبين بني قشير قد حدثت به
وقعة أعظم من الأولى في أوائل القرن الرابع عشر ، بين عتيبة وبين مطير ومن معهم وَمَنْ وَالاهم
من قبائل قحطان ، وكان من عادة العرب في الجاهلية أنه إذا نزل المطر في جهة من الجهات .
وأخصبت انتقل إليها مَنْ لَمْ تَخْصِبْ منازلهم ، فإن منعهم أهل تلك الناحية رعوه رغما عنهم واقتتلوا
عليه كما قال شاعرهم في ذلك :

إذا نزل السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضابا

فإن شاء أهل الخصب ألا يقاتلوا أذنوا للقادمين أن يجاوروهم ويرعوا معهم ، على أن يصنعوا
ذلك معهم إذا أخصبوا ، أما يوم المروت الأخير فاجتمع من عتيبة جمع عظيم من برقأ والروقة ، ورؤساء
برقأ يومئذ : محمد بن هندی بن حميد وهذال بن فهيد الشيباني وابن حجنة والهيظل وأبو العلا
والدهنية وأبو رقة والمهرى ، وقد حضر أغلب برقأ ذلك اليوم ، ورؤساء الروقة الرباعين والحيا ،
والمياه التي تشر بها عتيبة : صميغان ، والخيـس ، وأبو مروة ، والسديري ، وجميع هذه المناهل في
أسافل عرض ابني شمام مُتَّاخِمةً للمرُوت ، ورئيس مطير نايف بن هذال بن بصيص ، ومعه جماعة
من برية ، وهم بطن من مطير ، ليس بالكثير ، والحاضرون من قحطان آل روق ، ورئيسهم محمد
ابن حشيفان ، وكلا الفريقين على ماء الحرملية التي مر ذكرها ، وأنا لا أعلم أن عتيبة هُزمت في
يوم من الأيام التي تقع بينها وبين أعدائها في نجد ، إلا في ذلك اليوم ، وهو معروف عند أهل نجد
«مناخ الحرملية» ولكن نايف بن هذال بن بصيص من أهل الثبات في الحرب ، وعدد مطير قريب
ثلث عدد العتبان ، وقد انهزمت في أيام الحرب الأولى المطران والقحطانيون هزائم يسيرة ، وفي
بعض هزائم المطران مرفيحان بن زربان رئيس الرخمان من مطير على ضيدان العارضي مذبوحةً
راحلتُهُ ، فعرف فيحان بن زربان فقال بعد ما ندبه : لا تتركني ، وضيدان المذكور من أرمي
أهل زمانه بالبندقية ، فعرف فيحان ضيدان ، وقال : اركب ، فلما استوى على ظهرها رماها
رجل من رُماة العتبان ، فسقط الاثنان مع سقوط الراحلة ، فشيا على أقدامهما ، فالتفت فيحان
ابن زربان إلى ضيدان العارضي ، فقال : يا عمرى عمراه ، خشية من القتل ، فقال له ضيدان :
لا تخف ما دام في حزامي رصاصة واحدة ، فتقدمهم رجل من آل محيّا على جواده ، فرماه ضيدان

فجندله ، وما لحقهم من الخيل رماه ، فقدمهم رجلٌ يقال له « فلاج البراق » من جماعة ابن ربيعان من الروقة ، فسد الثنية ، ومعه بندقية ، فجلس له ضيدان ، فضر به برصاصة من بندقيته ، وهى من الصمع ، فيما بين عينيه فجندله ، فانسع أمامهما الطريق ، وانفرج لها فسارا حتى وصلا أهلهما على ماء الحرملية ، فقال فيحان بن زريبان أبياناً نبطية يذكر فيها قتل راحلته ، ويذكر ما أصاب ضيدان ببندقته :

يا فاطرى ما أرخصت فيها بلاثمان	إلا يوم ما يقلب صويبه
رديتها لمنجى الحرد ضيدان	ما نيب من بالضيق ينسى أحبيه
رديتها من ريع سوفة على شان	تنجيه وقت الضيق والا تجيه
قلت استرح في كورها يا بوسلطان	وللناس مع هاك الثنايا حطيه
صيت وغطانا من الملح دخان	وعج كثير ولا نشوق الظريه
قال ابتجج بالنصر يابن زريبان	والطير يبشر بالعشا من عتيه
يا زين ذبحه والملح له ترنان	لبن محمّا عند خشم الجذيه
ثمن ذبح عندك جوادين وحصان	وفلاج بالدشه وراها رمى به
هذا عشى للضبع والذيب سرحان	أيام بالمروت يرفع قتيه

أنظر ترشعراء الجاهلية ذكروا المروت ، وذكر جرير سوفة فى قصيدته ، لما ذكروا اليوم الواقع فى هذا الموضع ، ومنه تعرف أن المروت فى جانب سوفة ، وانظر هذا الشاعر العربى المتأخر تجده لما ذكر اليوم الأخير فى الواقع ذلك الموضع نفسه ذكر المروت ، وذكر سوفة أيضاً . أما الهزيمة الشنعاء فقد كانت فى آخر الأيام على عتيبة ، وانتصر الحاضرون من مطير ومن معهم من قحطان ، لما شاء القضاء والقدر أن ينزل الهزيمة بالعتبان اجتماع رؤساء مطير وقحطان ، يدبر أمر مطير نايف بن هذال بن بصيص ويدبر أمر قحطان محمد بن حشيفان شيخ آل روق ، فقال نايف ابن هذال : يا قوم تعلمون أن عتيبة أكثر عدداً منكم ، ولكنى سأعرض عليكم رأياً لا ينجح أمركم إلا به ، إني أرى أن تناوش فى القتال مع العتبان نحن معشر مطير ، ويبقى من فرساننا قوم يجتمعون إليكم يا معشر قحطان وليكن رئيسكم محمد بن حشيفان ، فإذا التحمت بيننا وبين العتبان فاثبثهم من خلفهم ، فإذا توجهوا إليكم كررنا عليهم كرة واحدة ، قالوا . سمعنا وطاعة ، هذا هو رأى ، فدبروا هذا التدبير ، فلما التحموا جاءت قحطان ومن معها من المطران فأول من وقعوا عليه الشياطين ورئيسهم هذال بن فهد ، فانهزموا ، وليست الهزيمة لهم عادة ، بل هم أشد وأجلد

الناس في الحرب ، فلما رأى العتبان أن الميمنة اختلفت اختلف القلب ، وتزعزع ، ثم تزعزعت الميسرة ، ثم كانت الهزيمة .

حدثني رجل ممن حضر هذه المعركة يقال له غايب بن معية من قبيلة العصمة ، قلت له : هل صحت هزيمتكم يوم الحرملية ، أو أنكم كنتم متراجعين لتحيّزوا لقتال ؟ قال : لا والله ، بل هزيمة شنعاء ، ولم نتراجع إلا على ماء عروى ، وهى تبعد عن موقع المعركة مسافة يوم أو أكثر ، وقال في حديثه : لما انهزمنا كان رئيس قحطان محمد بن حشيفان على فرسه المشهورة ، وعليه جوخة حمراء ، وهى عادة الفرسان في المعارك ، يلبسون شيئاً يمتازون به على غيرهم ، وكان على أثر العتبان ، بيده سيف ، ومعه رمح ، فإذا لحقهم قريباً أخذ يخالده بالسيف ، وإذا بعدوا عنه أخذ يرمى بالرمح ، فقال يزيد بن مغيرة من قبيلة العصمة وهو من الفرسان ومن الرماة لأصحابه : إني قد عزمت على قتل هذا الفارس الذى أهلك القوم ، ومع يزيد بن مغيرة بندقية من الصمغ فأعدّها ومال بجواده ، وأخذ يراقب غريمه ، فلما حانت له الفرصة اتهمزها ، وسدّد بندقيته إليه ، فكان فيها حتفه ، فسقط عن جواده ، وأخذ يزيد الجواد ، وذلك أكبر شاهد له على أنه هو الذى تولى قتله ، فلم يئازعه في جواده أحد ، وهذا الجواد من أعرب خيل نجد وأكرمها ، وإسمها الطرقاء .

كان فارس الدويخ من الروسان من قبائل عتيبة قد جلا عن وطنه من دم وغرم كانا عليه ، فبزل جاراً صاحب هذا الجواد محمد بن حشيفان ، وكان فارساً زريّ الهيئة قبيح المنظر ، وبعد نزوله عليهم بخمسة أيام أصبحوا فإذا الطرقاء ليست في مربطها ، ثم وجدوا أثر رجل علموا أنه قد أخذها بليل وأجّه بها إلى بلاد عتيبة ، وكان من عادتهم أن هذا العتيبي يمنع عنهم في سلمهم ، ذلفت ابن حشيفان إلى ابنه فقال : ما ظنك بهذا الجار ؟ يعيد إلينا الطرقاء أم لا ؟ قال : لا أعلم ، وإن جارك لا يعجبني ، والكلام كله في أذن جارهم فارس الدويخ ، ولما أتاها في مجلسهم قالوا : ما رأيك في الفرس ؟ قال : سننّبهما ، ونسير على قواعدنا ، فركب الولد والجار على رواحلهما ، وأخذوا يتبعون أثرها حتى أدركوها عند الشعراء ، عند رجل من الدعاجين من جماعة ابن عقيل يقال له ابن عرويل فلما كانوا في وسط منازلهم رأى فارس الدويخ ابن عرويل يقود الطرقاء قاصداً حوض ماء يريد أن يسقيها منه ، فلما رآها فال لصاحبه صاحب الفرس : أنا رأيت الفرس ولا أحتمل أن أتركها ، ولكن اندفع أنت إلى تلك الأخبية فإنها أخبية قومي الروسان ، وانتظرني عندهم حتى آتيك بفرسك أو تأتوني ميتاً فتنزّلوني قبرى ، وهو محتزم بخنجر ، وهى من سلاح الأعراب كالسكاكين ، فاعترض سائق الطرقاء قبل أن يصل الحوض ، فأمسك بزمامها ، فقال

له ابن عرويل : ماشأنك ؟ قال : شأني أن أفتسكها بيدي أو أقتلني أو أقتلك ، وفأنون قبائلنا بيني وبينك ، فلما رأى ابن عرويل الجد ، وخصمه شاهر خنجره بيده فك حبلاها بيده ، وقال : بيني وبينك سلم القبيلة ، فركبها واندفع إلى قبيلته فقال عند ذلك أبياتا نبطية منها :

ماروح والطرفاء تبوج الدواوير والله ما جنب عن قصيرت عيالي

والله ما أجنب عن رمنها ولا سير إلا حديثنا للمقابر يشال

فصح عندهم أن الفرس جارة له ، فلم يداعوه ، فثبت أنه جار لأصحاب الفرس ، وتركوا مطالبته ، ورجع الولد القحطاني إلى أبيه ، ومدح الجار عند والده ، وذكر ما رأى منه من الجد ، وبقيت كلمة الولد التي يقولها لأبيه حين سأله عن الفرس في نفس الرجل ، فلما رجعوا ووصلوا منزلهم استأذن ابن حشيفان الدويخ أن يرحل إلى جهة أخرى ، ولم يخبره بالسبب ، فأعطاه ناقين إكراما له ورحل عنهم .

ترجع إلى رئيس مطير « نايف بن بصيص » فإنه رأس قوم من مطير ليسوا بالكثيري العدد يقال لهم الصعران ، وهم من قبيلة بريه ، ومطير تنقسم إلى قسمين : قبيلة علوى ، وهم الذين منهم الدوشان من أكبر رؤساء مطير ، وليس رأس الدوشان أحد ، بل يرأسون قبائلهم ، القبيلة الثانية بريه الذين منهم الصعران قبيلة ابن بصيص ، ورؤساؤهم كثيرون ، ولا أعلم رئيساً من الرؤساء لامن الدوشان ولا من غيرهم من القبائل حارب عتيبة وحادهم في بلادهم مثل هذا الرئيس نايف بن هذال ابن بصيص ، وكانت في أوائل القرن الرابع عشر أربعة مناجات بين عتيبة ومطير ، وقد كان في هذه الأربعة كلها عمود مطير وعمادهم ، وسمى الاجتماع في الحرب مناخا من إناخة الإبل يومين أو ثلاثة في مراحلها وقت المعارك خشية عليها أن تؤخذ ، فيقال للاجتماع مناخ : المناخ الأول مناخ الحرملية ، وفيه انهزمت عتيبة ، والثاني مناخ الدواهي ، اجتمع عندها مطير قسم من علوى وقسم من بريه ، أما رؤساء علوى فهم وطبان الدويش وعماش الدويش ، ورئيس بريه هو الرئيس المذكور نايف بن هذال بن بصيص ، وحرب بنو علي بطن من مسروح على ماء عرجار رؤساؤهم عبد الله الفرم وصنيتان الفرم ، وهم عضد للمطران على عتيبة ، وعتيبة على ماء الشعراء رؤساؤهم محمد بن هندی بن حميد ومناحي الهيظل وخزام المهري وأبو العلا وابن جامع وأبورقبة ، وفي يوم من هذه الأيام تناوشت فرسان مطير وعتيبة ورجع كل عن صاحبه من غير أن يهزم أحدهم الآخر ، ورجع العتبان ، ومحمد بن هندی بن حميد قد نالته إصابة ، ومناحي الهيظل قد نالته إصابة ، وخزام المهري قد نالته إصابة ، وجزا أبو العلا قد نالته إصابة ، هؤلاء الرؤساء الأربعة أصيبوا في يوم

واحد برؤوس الرماح ، ولم ير أحد منهم بأساً ، وامتد المناخ قريباً من عشرين يوماً ، ثم رحل المطران من الدوادمي لم ينقص أحد منهم ، غير أنهم رأوا العتبان كل يوم في ازدياد ، لأن البلاد بلادهم ، فلما رأوا ذلك ارتحلوا ، وحين بلغ رحيلهم العتبان المقيمين على ماء الشعراء ارتحلوا عن بكرة أبيهم ينوون الصباح على ماء عرجا ونهب الذي عضد المطران على حربهم ، ولم يعلم برحيلهم الفرع رئيس بني علي ، فجدوا أول ليلهم وقطعوه في السرى ، فوصلوا عرجا صباحاً ، ولكن ردّهم الحربيون ردّاً عنيفاً ، وتواقفوا إلى قريب الظهر ، والحربيون لا يبلغ عددهم خمس العتبان ، فلما زالت الشمس أوقرب زوالها أغار العتبان غارة رجل واحد ، وهزموا حرباً بعد قتال عنيف ذهب فيه عدد من الفريقين ، وقال التويعر من شعراء الروقة من عتبية أحياناً نبطية منها :

ليت نايف حاضر دقلت جملنا والله ان يخلى نجد بالقلب النظيف
رديفكم شلناه من عرجه لاهلنا وأكبر عليكم يا مخلية الرديف

وقول الشاعر «ليت نايف» يعني به نايف بن هذال الذي رحل من الدوادمي ولم يحضر . انتهى والمناخ الثالث : مناخ الخنفاء ، وهو بين عتبية ومطير ، ولكن مطيراً لم يحضر منهم إلا قوم من بريه يرأسهم الرئيس المذكور نايف بن هذال ، وعتبية لم يحضر منهم إلا قسم من بقاء وقسم من الروقة ، وحضر هذا المناخ تريحيب بن شري بن بصيص ، وهو أفرس رجل عرفه الناس في زمانه ، وحدث في هذا المناخ مناوشات وقتال ، ولم ينهزم أحد ، بل بعد مضي عشرين يوماً تصالحوا ، والمطران يشربون من روضة مطربة ممثلة من المطر الواقعة شمالي العيون عيون السر ، وعتبية يشربون خباري ومياه العيون ، فتصالحوا على السلم ، فرحل المطران وجعلوا كثيب السر بينهم وبين العتبان ، وقصدوا الجهة الجنوبية لأجل المرعى ، ورحلت عتبية قاصدة عالية نجد ، فلما وصل العتبان الضال والتسرير قريب الدوادمي عارضهم الأعداء والغزاة يدفع بعضهم بعضاً ، ورئيس الأمداد من بقاء هذال بن فهيد الشيباني ، وقسم من الروقة كل قبيلة برئيسها ، ولما التقى هؤلاء القوم الغازون بأولئك العائدين قالوا للرئيس بقاء محمد بن حميد : ارجعوا معنا ، فأجابهم بأننا تصالحنا مع ابن بصيص وقبائل مطير التابعة له وتمهانا أياماً معلومة ، فلا نستطيع لكم أن تغاروهم قبل مضي هذه الأيام ، فترشوا حتى إذا انقضت مدة الهدنة فاجأوا مطيراً وهم غارون يشربون من غدير الحور بين خرما ومراة ، فاجتلد الفريقان ساعة من نهـار ، وانتهت بقتل الفارس تريحيب بن شري بن بصيص ابن عم نايف بن هذال ، ولم يكن عمره قد بلغ اثنين وعشرين عاماً ، على أنه لم يقتل إلا وقد ذاع صيته وعرف بالشجاعة النادرة ، عرفته فرسان عزة

وفرسان شمر وفرسان حرب وفرسان عتيبة وفرسان قحطان ، وفارسُ عتيبةَ على الإطلاق في مناخ الجنيفاء الذي مر ذكره خزام المهري رئيس الدغالبية اعترف لتريحيب هذا بالمنزلة العالية في الفروسية .

وهذه المعركة التي قتل فيها تريحيب هي المناخ الرابع .

ذكر الحوادث المتعلقة بذلك المناخ الرابع الذي قتل فيه تريحيب : لما توجه الغزاة بعد لقاءهم لمحمد بن هندی بن حميد وقومه الراجعين من مناخ الجنيفاء ساروا يلتسمون المطران وهم عتيبة : أقسام من بقاء والروقة ، وكان معهم امرأة على مركب من مراكب النساء هودج صغير وهي من قبيلة النفعة من عتيبة ، فالتفت إليها فاجر السلاة رئيس القسامة من ذوى عطية من الروقة ، فقال : ما شأنك أيتها المرأة ؟ قالت : أنا امرأة موتورة قتل تريحيبُ بن شري أخى بالأمس في المناخ ، ولما أجد في قلبى من الحرارة والأسى على أخى رغبتُ في السير مع هؤلاء الغزاة طلبا لثأر أخى ، فقال لها فاجر السلاة : تقتلينه أنتِ ؟ قالت : لا والله تقتله أنت إن شاء الله ، ثم التفت إليه ثانية فقالت : أتكنى أنت فقتله ؟ فقال : والله إن رأيته لأذبحنه ، فكانت منية تريحيب على يده ، وفي اليوم الأول الذى قبل مقتل تريحيب بيوم اجتلدت الخيلُ ، فلاحق تريحيب خيل الروقة ، فعثرت جواد ابن تنبيك رئيس المراشدة ، وسقط عنها ، فأخذها تريحيب ، فطلب إليه العفو ، ففعا عنه وخلي سبيله ، فلما كان اليوم الثانى وجاء تريحيب على عادته أدبرت خيل الروقة وهو على أثرها ، وكان فاجر السلاة قد عرفه بالأمس وأحب أن يبق بوعده للمرأة فأعدَّ بنديقته من الصمع وهو من الرماة المشهورين ، فلما أسند تريحيب واعترضت جواده رماه فأصاب ساقه فكسرها وأنفذ السهم في الفرس فسقطت ، وسقط تريحيب معها ، فخاءه ابن تنبيك الذى منَّ عليه تريحيب بالأمس فقال له تريحيب : امنعنى كما مننت عليك بالأمس ، فقال له ابن تنبيك : لا والله بل أقتلك وأريح عتيبة منك ، ثم قتله وأخذ سيفه وما معه من السهام ، وبعد يومين أخذ جميع ذلك فاجر السلاة الذى كان أصابه ، وهذا عُرِفَ عند قبائلهم ، يجعلون السلاح والسلب وما يمتلكه القتل من الفرس وغيرها لمن ضربه أولا فعاقه عن الحرب ، لا لمن أجهز عليه ، وفي اليوم الثالث من أيام مناخ الجنيفاء وحوادثها كان الفريقان قد ملَّ بعضهما بعضاً ، فبعث نايفُ بن هذال بن بصيص ابن عمه شري بن بصيص أبا تريحيب الفارس المذكور لطلب الصلح بين الفئتين ، فأتاهم على جواده في غلَس الصبح حتى وقف عند بيت رئيس العتبان محمد بن هندی فلم عليه وعرفه بنفسه ، وكانت خيل العتبان عند غروب الشمس اشتبكت مع خيل المطران وقتل ناحى الضرة من فرسان

عتيبة المشهورين وهو من الدغالبية جماعة خزام المهري ، قتله تريحيب بن شري ابن هذا الذي يطلب الصلح ، فطلب من محمد بن حميد أن يتصالحا ويكف بعضهما عن بعض ، ويرعى أرض الله كل آمن ، فقال : نعطيك ذلك ، فلما قُرب من فرسه ليركب بعد أن اتفقا على الأمان مع الرئيس محمد بن هندی بن حميد إذا فارس قد أقبل عليهما مسرعا ، فقال ابن هندی لشري بن بصيص : لا تترك جوادك حتى نرى خبر هذا الفارس ، فلما وصلهم عرفوا أنه خزام المهري الفارس المشهور من عتيبة ، فبقى على ظهر جواده ، ثم قال للأمير محمد بن هندی : أيها الأمير لماذا لم تترك لتسير إلى حومة الوغى ؟ فقال : لقد تصالحنا وأمانهم ، وهذا شري بن بصيص يطلب الصلح ، فقال له : اللعنة على شري بن بصيص وابنه تريحيب ، أما علمت أن ابنه تريحيبا قتل ناحي الضرة البارحة ؟ وإن نصلحهم حتى تثار بفارسنا ؛ فصاح بأعلى صوته ، وشق جيبه ، وقال عتيبة : يا رفاقة ناحي ، يا نائر ، وهذا نداء جرت به عاداتهم ، ثم اندفع خزام إلى جهة المعركة التي كانت بالأمس فاندفعت الخيل في إثره ، ثم ركب محمد بن حميد بكوكبة من الخيل على إثرهم ، والتفت عند ركوبه إلى شري بن بصيص الذي يطلب الصلح فقال : اعذرني لقد رأيت بعينك وسمعت بأذنك ، فأغارت خيل العتبان ، فالتفت شري بن بصيص إلى خالد بن حميد وهو باقٍ عنده لم يركب مع أهل الخيل فقال : إن الذي وجدوه أمس سيجدونه اليوم ، فلما قربوا من خيل مطير إذا هي قد استعدت للجلاد ، فكانت ميمنة مطير هي التي تلي ميسرة العتبان وفيها تريحيب ابن شري وجملة من فرسان قومه وفيها طامى القريفة وهو فارس مقدم رام بالبندقية ، وقد اتفق مع تريحيب أن يكون هو على جانب فإذا هُزمت الخيل فهو يحفظها ، ومن اعترض أو أسند رميته بالبندقية ، وحدثني فارس من عتيبة شهد هذه الغارة الأخيرة قال : لما اختلطنا بهم وعرفنا أنه تريحيب منحناه أظهرنا ، فندب بعضنا بعضاً ، فأسند شبيب بن حجنة ، وهو من الفرسان والرماة وبندقيته صمعاء ، فلما اعترضت جواده رماه طامى القريفة ببندقيته فقتلها ، فنزل وسار على قدميه ، وندب فرسان قومه ، فأركبه سرحان بن ثويمر من رؤساء المقطة على جواد عريب ، فانهزمت خيل عتيبة ، وكان معهم رجل يقال له غايب بن معية على حصان ، وهو من قبيلة العصمة ، فكان الحصان انقطع به ، ورفع صوته يندب شبيب بن حجنة أدركني ؛ فقال شبيب لما سمعه لابن ثويمر : أردع الجواد ، فأبى خشية أن يصيبها مثل ما أصاب جواد شبيب ، فلما مر بجحر قليل وظن شبيب أنه يُخَفِّيه نزل ، فكمن في وسطه والخيل قريب ، أولهم صاحب الحصان والذي يليه طامى القريفة على جواد حمراء ، فرماها شبيب بن حجنة فأصابها ، واختفى طامى خشية أن يقتله

شبيب لأنه يعرفه من الرماة ، وكما جاء صاحب فرس ووقف عند طامى لإركابه رماها شبيب فقتلها ، فقتل أربعا من الخيل في موضع واحد ، حتى نجا صاحب الحصان ، فلما انتهى قتال ذلك اليوم وشرى باقي في بيت ابن حميد صالحهم صلحا جديدا وافترقوا ، وفي الأمداد الذين عارضوا ابن حميد بعد مفارقتهم العصمة من الرؤساء أبو العلا والعقيلي وابن مغيرق قبل أن يلتقوا بابن حميد ، وقبل أن ينتهي القتال سكب مشعان أبو العلا فنجالا من الدلة ووضعه في مجلسه بين الفرسان وقال : هذا فنجال تريحيب ، اشربوه ، فأبوا ، ثم ندب بنيه سلطانا وجزا ، ثم ندب العقيلي ، ثم ندب مزيد بن مغيرق قاتل محمد بن حشيفان ، فأخذ الفنجال فشربه ، ثم قال له : يامشعان أنا أعلم أنك تحب أن أقتل ، ولكني قد شربت هذا الفنجال ، والله لئن رأيت تريحيبا لأقتلنه أو يقتلني ، ولتريحيب إخوة هم غالب وغلاب ، وهما أخواه لأبيه ، وله أخوان لأمه : أحدهما متعب بن جبرين من أفرس أهل زمانه من مطير من بنى عبد الله ، والثاني من غير تثبت غلام من قبيلة الملاعبة من مطير ، ذكروا أنه في مناخ الدوادمي لما اجتاد العتبان والمطران ، قصد إلى محمد بن حميد بين الفرسان واشتبكا على ظهور خيلهما حتى نزلا في الأرض ، وذكروا أن الثلاثة من أفرس العرب .

ذكر الحوادث المتعلقة بالمناخ الذي قبل هذا ، وهو المناخ الثاني من الأربعة ، عتبية تسميه «مناخ الشعرا» ومطير تسمية «مناخ الدوادمي» وأهل نجد يسمونه « سنة عرجا » حدثني خلف بن إبراهيم بن خلف من سكان الشعرا قال : أخذ لنا إبل وأخونا من مطير عماش الدويش ، وخرجت من الشعرا إلى بلد الدوادمي طلبا للإبل يسترجعها أخونا عماش الدويش ، فجئت ناديه ، فوجدت رجلا جهيلا مرجلا شعره جالسا متكئا على رحل له موضوع ومجلسه مليء بالرجال ، فقلت : السلام عليك يادويش ، وأنا أحسبه عماش ، فقال : وعليكم السلام ، فجلست فالتفت إلى فقال : ما شأنك ؟ فقلت له : أنا أخوك من أهل الشعراء ، أخذت مطير قبيلتك إيلي ، وقصدي أنك تؤديها إلى ، فالتفت إلى بعين مغضبة فقال : نبأنا كل إبلك وناخذكم ؛ لأنكم عتبان في وسط عتبية ، ولأنك عندنا وجه ولا عاني ، فسقط في يدي ، ولم يكن هذا عماش ، وإنما هو ابنه ، فالتفت إلى رجل قريب من مجلسي فقال : هذا ابن عماش ، أما عماش فهو هذا الرجل الراقد ، فالتفت إليه فإذا رجل قبيح المنظر نصف شعره أشيب ، كأنه نائم وليس بنائم ، ملتف في عباءة بقاء ، فلبثنا قليلا ثم تحرك وجلس ، فنهض القوم إكراما له حتى جلس ، فلما استوى جالسا نهضت إليه وسلمت عليه ، فرد على السلام أحسن رد ، ثم التفت إلى صاحب له ورمى إليه عظما ، فقال : املاء من التبن ، فلاء

وأشعله ، فلما خاص من تنه التفت إلى ابنه فقال : يا عبد الله ، فقال : لبيك يا أبت ، فأول كلمة تكلم بها أنه قال : حسبي الله على والدتك ، غرتني بحسبها ، والله ما أت عريب ، لقد سمعت كلامك مع راعي الشعراء ، كيف تجرؤ على هذا الكلام ؟ أما علمت أنه أخوك صاحب قرية لا يشد ولا يمد ولا يغير ولا ينير ، وتقول له : نبأ نأخذك أنت عتيبي في وسط عتيبة ، ولكن يُعْفِيكَ مما استوجبه كلامك هذا أن تركبوا الآن لتجتمعا له إبله ، ومن امتنع من تسليمها فأتوني برأسه ، فكث قليلا ، فجاءت الإبل تحدها الخيل ، فاستأتمتها ، وعزمت على السير إلى بلدى ، فقال : إن لى بك حاجة ، أقم عندنا اليوم ، فلما كانت الفداة جاءت الخيول لتتوجه إلى قتال عتيبة ، وجاء ابنه عبد الله ، وحضر جواده ، ورحل على دُؤول من أعرب جيشه ، وقصده أن تكون زاملة لفرسه ، فالتفت عماش إلى ابنه فقال : ضع عنها الرَّحْل وضعه على جمل ، فإني أظن ركابكم لا يرجع منها شيء ، فأخذ الرحل ، فوضعه على جمل ، ومشوا إلى جهة الشعراء ، فلما غربت الشمس جاءت الخيل وقد أخذت الركاب ، ولم يرجع الجمل ، فلما أصبحت وعزمت على الرحيل دعاني وقال : إذا وصلت بلادك فزنْ وزنتين من القهوة وانطلق بهما إلى محمد بن هندی بن حميد وقل له : هذه لك من عماش الدويش تجديدا لما كان بيننا وبينه من العملة السابقة ؛ فإن أحب أن تبقى فإنه يأخذها تجديدا لها ، وإن أحب أن تنقطع فسيتركها ، قال : فحُتت وأخذت القهوة وذهبت بها إلى ابن حميد وأخبرته بما دار بيني وبين عماش ، فأخذ القهوة وقال : بل نَجِدْدها ، وهذه تكون عملة خاصة بين الرئيسين فقط ، لو أغارت مطير على إبل عتيبة المقيمين في بلاد الشعراء وأخذت إبل ابن هندی مع تلك الإبل يجب على عماش الدويش أن يردّها ، ولو أخذت إبل عماش وجب على ابن حميد أن يردّها ، وافترقت ثلاث قبائل من هذه القطعة المتوسطة في نجد ، فكانت الهزيمة فيها على حرب القاطنين على ماء عرجاء .

الحوادث الواقعة في مناخ الحرملية ، وهو المناخ الأول ؛ لأنه في السنة التاسعة من القرن الرابع عشر ، وقتلُ تريخيب كان في السنة السابعة عشر من القرن الرابع عشر من الهجرة ، وكان تريخيب أيام مناخ الحرملية صغيرا لم يحسن ركوب الخيل ، وفي مناخ الدوادمي كان يركب الخيل ويرغب أن يحضر المعارك ، ولكن أهله كانوا يمنعونه ؛ فكان يحضر المناوشات الخفيفة ، فلما بلغ سبعة عشر سنة ظهرت مخايله ، وقتل لما كمل إحدى وعشرين سنة من عمره .

فمن حوادث مناخ الحرملية أنه لما انهزم العتبان وقحطان على أثرهم عثر جواد محمد بن هندی به وسقط ، وكان الذي يليه من الفرسان فارساً مقداما يقال له « دهنين » من آل روق ، من

قبيلة محمد بن حشيفان ، فنزل عن جواده وتطاوله ووضع نفسه عليه ، وقال : يا قوم ، والله إني قد أمنت به وهو كاذب ، ولكنه رغب أن يصنع جيلا مع هذا الأمير العاقل ، فتنازع القحطانيون فيه : قسم يحب قتله ، وقوم دهنين عزموا على منعه ، وعندما شك في صاحبهم أنه لم يؤمنه ، ولكن أحبوا تثبيت كلامه ، فمنعوه ، فكان الذي أخذه دهنين من الإبل من محمد بن هندی بن حميد مقابلة الجميل مائة وعشرين ناقة ، غير أنه لم يأخذ ذلك دفعة واحدة ، بل كان إذا أتاه أعطاه المتيسر : تارة عشرا ، وتارة أقل ، ولكنه لم يعطه أقل من ثلاث ، وهذا الرئيس من دهاة الرجال ، وعنده تروى في الأمور ، وأناة في مهمات الأمور ، إذا رأيت بعض حيله لم تشك أنه من أدهى الدهاة ، حدثني حشر البواردي من أهل شقرا قال : كنت مع محمد بن هندی بن حميد ، وكنا ضيوفا عند الشريف الحسين في مكة ، فسكن الشريف قصر في إكرامه ، وعنده بعض شيوخ الروقة ، وظن ابن حميد أنه قد وشى به وإش عند الشريف ، فلما أحس تقصير الشريف قال لنا : هذا الشريف أنا في الصبح أرميه بخبر يحمله على إكرامى ، وقد بقيت متحيرا فيما عسى أن يكون هذا الخبر ، فكانت إقامتنا في العبادة ، فركبنا وراحلنا صباحا نقصد الشريف ، فلما دخلنا عليه ، وكان يدنى مجلس ابن حميد من مجلسه ، وأخذنا مجالسنا ، وتناذرتنا الحديث ، حتى خضنا في ذكر الجيش ، فقال ابن حميد : نظرت اليوم ذُلولا نجية معروضة للبيع لم أر مثلها ، فالتفت إليه الشريف فقال : أين هي ؟ فقال : مررت بها تحت قصر سعود بن عبد العزيز الأول الذي ملك مكة ، فاضطرب الشريف في مجلسه وقال له : ليس له قصر ولم يملك مكة ، قال ابن حميد : هذا خبر أكيد ، فسكت ، فافترقا والشريف مُغَضَّب ، فوالله ما وصلنا منزلنا إلا وقد جاءت الحلال والتقود والكرامات الزائدة ، فتعجبت من هذا الاستنباط البعيد المرامى ، وله أمور عجبية ، حدثني رجل من قومه يقال له راشد بن هذلى قال : قصدنا ماء الشبيكية الواقعة في جهة الحماير - وهى اليوم مسكن الذويبي ، عمرت في هذا العهد - ونحن قليلون ، ولم نعلم حولنا من قبائل حرب أحدا ، فجاءنا المرتاد فقال : إن على الماء عربا كثيرين ، فرأينا صاحب غنم ، فأمرنى أن أركب جوادى وأسأله عن أولئك القوم ، فركبت جوادى وأتيت فسالته ، فقلت : من هؤلاء العرب ؟ فقال : هذا الذويبي ومعه قبائل حرب ، وابن حميد ومن معه لا يستطيعون ردهم وليس لهم بهم طاقة ، فرأيت الرجل قد اهتم واختلط فيه الطمع والخوف ، فقال لى : اركب جوادك ، واقصد الماء ، وقل لنا هس الذويبي - وهو رئيس القبيلة - : في وجه من وردت هذا الماء ؟ فإذا قال لك « من أين أتيت » فقل له : أرسلنى محمد بن هندی بن حميد ومعه قبائل عتيبة ، وأنا الآن بحيث

لو صحت بأعلى صوتي لسمعتي ، فركب راشد جواده ، وقصد ماء الشبيكية ، فقال لناهس الذويبي ما قاله له محمد بن هندی ، ورد عليه ناهس كما ظن ابن هندی ، فأخذ عقال راشد من فوق رأسه فوضعه في رقبته وقال : حَتَا دَخَلَكَ مِنْ عَتِيَّةٍ ، وَتَرَانَا فِي وَجْهِكَ ، وقال له : أُنْتُمْ آمَنُونَ ، فَرَجَعَ إِلَى صَاحِبِهِ ، فَأَرْكَبَ الْجَيْشَ يَسْتَنْهَضُ عَتِيَّةً أَنْ تَأْتِيَهُ ، وَانْكَفَ بَعْدَ مَا شَرِبَ الْمَاءَ إِلَى جِهَةِ قَوْمِهِ ، وَلَكِنَّهُ مَعَ هَذَا الدَّهَاءِ وَالزَّكَانَةِ كَانَ يَخْطِئُ ، فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ ، وَيَتَجَبَّرُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْدَاءِ ، يَدْفَعُهُ إِلَى ذَلِكَ كَثْرَةُ أَنْصَارِهِ ، وَأَنَّهُ مُطَاعٌ فِي قَوْمِهِ لَا يَرُدُّونَ لَهُ مَقَالًا .

حدثني رجل من فرسان المقطة قال : كُنَّا قَرِيبَ مِائَةِ عُرُوى ، وَجَاءَنَا خَبْرُ أَنَّ قَنِيفِذَ بْنَ لَبْدَةَ رَئِيسَ آلِ سَعْدِ مِنْ قَحْطَانَ ، وَهُوَ مِنَ الْفَرَسَانِ الْمَشْهُورِينَ ، نَزَلَ عِنْدَ جَبِيلِ سَوْفَةَ الَّذِي مَرَّ ذَكَرَهُ فَقَالَ لِقَوْمِهِ : إِنْ اللَّهُ أَخْرَجَ هَذَا الْفَارِسَ مِنْ جِبَالِهِ وَمِنْ بِلَادِ قَوْمِهِ وَلَيْسَ مَعَهُ إِلَّا شَرِذْمَةٌ قَلِيلَةٌ ، وَقَدْ عَزَمْنَا أَنْ نَغْزُوهُ بِكُوكِبَةٍ مِنَ الْخَيْلِ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَنْصُرَنَا عَلَيْهِ فَنَقْتُلَهُ ، فَقَالَ لَهُ رُؤَسَاءُ قَوْمِهِ : أَرْسَلْ مِنْ يَرْتَادُ لَكَ الْخَبْرَ ، فَبَعَثَ حَضْرِيًّا مِنْ سَكَانِ قَرْيَةِ الْعُرُضِ ، فَقَالَ لَهُ : أَعْرِفْ لِي مَنْزِلَهُ ، وَكَمْ مَعَهُ مِنَ الْخَيْلِ ، فَقَصَدَهُ الرَّجُلُ وَاسْتَضَافَهُ ، وَكَأَنَّهُ يَنْشُدُ ضَالَّةً ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى ابْنِ حَمِيدٍ قَالَ : وَجَدْتُهُ وَلَيْسَ مَعَهُ مِنَ الْفَرَسَانِ إِلَّا عَشْرَةٌ ، قَالَ : هَلْ تَعْرِفُ مِنْهُمْ أَحَدًا ؟ قَالَ : أَعْرِفُهُ وَأَعْرِفُ أَخَاهُ مَنِيفًا وَضَوْيْحَى وَجَدِيعَ آلِ الْجُرُومِ مِنْ قَحْطَانَ ، فَقَالَ : هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعَةُ يَعْدِلُونَ أَرْبَعِينَ فَارَسًا ، وَلَكِنِّي سَأَسِيرُ إِلَيْهِمْ بَسْتِينَ فَارَسًا مِنْ بَابِ الْإِحْتِيَاطِ ، فَشِئْتُ بِسْتَيْنِ فَارَسًا كُلَّهُمْ عَلَى صَهْوَةِ جَوَادِهِ ، وَمَعَهُمْ رُكَّابٌ تَحْمِلُ الْمَاءَ وَالْكَلَّ لِلْخَيْلِ ، فَأَغَارُوا عَلَيْهِمْ بِجَانِبِ سَوْفَةِ وَهُمْ حُلُولُ الْمَرْأَةِ مِنْهُمْ تَبْنِي الْخَبَاءَ ، وَالرَّجُلُ عِنْدَ إِبْلِهِ أَوْ جَوَادِهِ ، وَكَانَ قَبْلَ أَنْ يَسِيرَ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ يَوْمَ قَالَ : عُدُّوْا لِي الرَّمَاةَ ، فَإِنِّي أَحْبَبْتُ أَنْ أَخْذَمَ ، وَأَمَرَهُمْ عَلَى طَرِيقِ قَنِيفِذٍ فِي الْمَرْكَةِ ، فَيَرْمُوهُ بِالْبَنْدَقِيَّةِ قَالُوا : نَعْرِفُ هِضَالَ بْنَ دَرِيَّةَ الَّذِي يَنْزِلُ الْأَرْوَى مِنْ شَعَافِ الْجِبَالِ وَهِيَ تَعْدُو لَا يَخْطِئُ سَهْمُهُ ، وَالثَّانِي ابْنُ خَشْيِيَانِ ، وَالثَّلَاثُ طَرِيحُ بْنُ حَرِيشٍ مِنَ الشَّلَاوِي ، فَجَمَعَهُمْ وَأَخْبَرَهُمْ بِحَاجَتِهِ ، فَاضْطَلَعُوا بِهَا وَكُلُّ قَالَ : إِذَا رَأَيْتَهُ قَتَلْتَهُ ، فَأَخْذَمَ مَعَهُ ، فَلَمَّا شَنَّ الْفَارَةُ بِجَانِبِ سَوْفَةِ وَاجْتَلَدَتِ الْفَرَسَانُ أَخَذَ الرَّمَاةَ وَوَضَعَهُمْ فِي مَوْضِعٍ وَقَالَ لَهُمْ : سَأَسْتَطِرِدُّ لَهُ وَأَمْرُهُ عَلَيْكُمْ ، وَلَكِنْ اجْتَهِدُوا فِي قَتْلِهِ ، فَلَمَّا اجْتَلَدُوا انْهَزَمَ ابْنُ حَمِيدٍ لِمِزْمِهِ عَلَى الرَّمَاةِ ، فَتَبِعَهُ قَنِيفِذٌ يَرِيدُ قَتْلَ ابْنِ هِنْدِي ، وَكَانَتْ هَزِيمَتُهُ حِيلَةً لَمْ يَرْمِهَا فَائِدَةً ؛ فَرَمَى عَلَى هِضَالَ وَلَمْ يَرْمِ ، وَمَرَّ عَلَى ابْنِ خَشْيِيَانِ وَلَمْ يَرْمِ ، فَانْتَفَتَ ابْنُ هِنْدِي إِلَى قَنِيفِذٍ فَرَمَى رَمْحَهُ قَرِيبًا مِنْ ظَهْرِهِ ، وَصَاحَ يَزْمُ طَرِيحًا أَعْنَى ابْنِ حَرِيشٍ وَيَوْمِيءَ إِلَيْهِ بِيَدِهِ ، وَيَقُولُ أَرْمُ أَرْمُ ، ثُمَّ تَرَكَ التَّنْبِيهَ عَلَى الْأَسْمِ ، وَقَالَ أَرْمُ يَا شَلَوِي بِاسْمِ الْقَبِيلَةِ ، فَلَمْ يَرْمِ ، (١٦ - صَبِيحُ الْأَخْبَارِ ٢)

فالتفت إلى خيله فقال : امنعوني من هذا الفارس ، وكان زايد بن حريميس^(١) من فرمان الروقة يسمعه ، وهو من الفرسان التابعين لابن حميد ، فجاء مسرعاً عرضاً ، فضرب قنيفذاً برمح على قفاه وأذنيه ، فشرم إحدى أذنيه ، وجرح مؤخر رقبته ، فصاح قنيفذ وزاد جَلَادَةً ، وقال : الكلب لا يُغْلَت حتى تقطع أذناه ، وهذه قاعدة عند الأعراب في كلابهم ، إذا أحبوا أن الكلب تزيد حمايته للبيت قطعوا أذنيه ووضعوها في تمر حتى يأكلها ، حتى إنه بقي مثلاً عند عامة أهل نجد في عهدنا هذا ، إذا زاد كَلَجَ رجل في منازعته قالوا « إن هذا أكل أذنيه » ورجع ابن هندی من غزاته هذه بدون طائل ، لم يقتل قنيفذاً ولم يقتله قنيفذ ، وقنيفذ هذا من أشجع قبائله ، ولكنه جَلَفَ من أجلاف الأعراب ، فيه خصال لا تحمد ، ذكروا أن معركة من المعارك حدثت بين قحطانات وعتيبة قُتل فيها سحى بن حشر ، وأخذ القحطانيون من العتيبان سبعة عشر رجلاً كأسرى ، فلما ثبت عند قنيفذ قتل سحى بن حشر قَتَلَ السبعة عشر رجلاً المأخوذین وهم في ذمتهم ، وتمد هذه الفعلة نقطة سوداء في تاريخه ، قال له رجل يخاصمه : ما أكره كلامك يا قنيفذ ؟ قال : صدقت ، ولكن شري أكثر .

المعركة في نجد — والغارات في الجهة الجنوبية في نجد أكثرها بين بقاء من عتيبة وبين قحطان وسبيع أهل رنية والحرمة ، والمعركة التي تكون في شمالي نجد إنما تقع بين حرب والروقة من عتيبة ، أو بين الروقة وبنی عبد الله بن غطفان ، والمعركة العظام بين عتيبة ومطير . سُئل راجح ابن لبدة أبو قنيفذ المذكور : كم قامت من الخيل ؟ قال : والله إني لا أحفظ عددها ، ولكن الذي قلعت وأنا أنظر رأس جيلة ثلاثون فرساً .

أما محمد بن هندی بن حميد فهو مُطَاع في قومه ، محبوب عند الناس ، محبوب عند الملوك ، سمعته يتحدث وهو يقول : والله ما أخذت الحضري ولا أرضى بأخذه . وَنَدِيدُهُ في مطير نايف ابن هذال بن بصيص للميز والعقل وحب قبيلته له .

كان ضيدات العارضي الذي قال فيه فيحان بن زربان يوم الحرملية .

* رديتها لمنجى الحرد ضيدان * نازلا على ماء قريب الكويت مع الدوشان ، وهم قوم أهل تجبر ، وهم رؤساء علوى ، وهذا الجار من بريه فرأى منهم ما يغيظه ، وهو من شعراء النبط فقال قصيدة نبطية منها :

(١) زايد بن حريميس من خيالة الحفاة جماعة جعيلان الحافي ، وهو من ذوى صقر من الحفاة بطن من الروقة

هات الدلال وهات من ماء الثميلة نبغى نسوى تالى الليل فنجال
عدى سمج لو كثر رعيه وكيله لعاد ما قطان ماه بن هـ ذال

يعنى نايف بن بصيص ، وهذا الماء الذى كانوا عليه مشاش الطويل بين ماء الجهرى وماء الصبيحية ، وهو محبوب عند عامة أهل نجد وعند الملوك . لقيته ثلاث مرات : المرة الأولى فى السنة التى قُتل فيها ابن عمه تريحيب بن شرى سنة ١٣١٧ هـ ، ولى من العمر سبع سنوات ، ولـكنى كنت بحيث أفهم الحديث ، رأيته عند والدى وأعمامى فى بلدنا « ذات غسل » المجاورة لبلد شقرا فى مقاطعة الوشم ، منيخا ركائبه ضيفا عندنا ، واتسع الحديث بينه وبين والدى رحمه الله وذكروا الحروب التى تقع بينه وبين عتيبة ، فسمعتة يومئذ يقول يخاطب والدى : يا عبد الله ، والله لو يتبعنى عَشِيرُ عتيبة لأخرجهم من نجد ، ولكن الذين معى شرذمة قليلون من قبيلتى الصعران وسامة الهلال ([]) وقد جرى علينا قص عظيم بقتل هذا الغلام الذى كنت أحارب به ، وكان وحده يقوم مقام العدد العديد ، ذلك هو تريحيب ؛ فقد كان إذا سمع الصائح قال لى : أعطني السيف والعبية ، أو البندقية والكحيلة ، طلب السيف والعبية لأنها فرس سابق تأحق ولا تلحق ، وطلب البندقية مع الكحيلة لأنها وانية ، فإذا أدركته الخيل رماه . ورأيتـه المرة الثانية فى بلد الشعراء مع جلالة الملك فى بعض غزواته فى نجد ، وذلك فى مجلس عبد الرحمن ابن خلف من أهل الشعراء ، وكان جلالة الملك قد شرف داره ليشرب القهوة عنده ومعه ابن عمه عبد الله بن جلوى الذى تأمر على مقاطعة الأحساء ومات بها رحمة الله عليه ، ومعه نايف بن هـ ذال المذكور ، وكان أهل الشعراء قد اضطرب أمرهم واقتتلوا مرتين : الأولى انتهت بقتل حمد الزير وأخيه عبد الرحمن ، وفيما هما يتصاولان رمى عبد الرحمن لما رأى مقتل أخيه حمد رميتين قتل فيهما أربعة رجال وأصاب خامساً ثم قتل هو ، وأما المعركة الثانية فكان آل ضويان سطوا على آل مسعود ، والجميع حمولة من قبيلة واحدة ، وأخرج آل ضويان من البلد ، وانتهت المعركة بقتل رئيس آل ضويان خالد بن حمد بن ضويان ، فلما شرب جلالة الملك القهوة وعزم على النهوض قال له عبد الرحمن بن خلف : يا طويل العمر ، لا تزال مسألة اختلاف آل مسعود وآل ضويان ، واثن لم تصلحها أنت لم يتم صلحهم ، فقال : أنا معترزم إنفاذ ذلك إن شاء الله ، ومتى بلغت الرياض أرسلت إليهم وسويت ما بينهم وما أشكل عليهم فإن مرجعنا فيه إلى حكم الشرع ، فالتفت نايف بن هـ ذال بن بصيص إلى جلالة الملك فقال : يا طويل العمر ، يقولون ابن ضويان بان له قصيرا فوق العسة بريدان يغير وينير ، فالتفت إليه جلالة الملك قائلا : على عثرة ونثرة ، ورأيت

جلالة الملك يراعيه ويحترمه . وأما المرة الثالثة فقد لقينته في شقراء مع جلالة الملك ، رأيتهما يمشيان في سوق شقراء وجلالةُ الملك أخذ بيده يمشى وهو يباريه ، فهذا دليل على أن جلالاته يكرمه ويرى له منزلة .

وكان رئيس مطير في هذه المارك الأربعة التي مر ذكرها هو هذا الرئيس ، وأنا لا أعلم أن عتبية انهمروا في المارك التي تقع في نجد ، بل هم الغالبون دائماً ، أما هزيمة الحرملية فإنهم لا يرغبون في ذكرها ، ولو أنك سألت العتيبي وقلت له : أخبرني عن مناخ الحرملية ، قال : إني لم أحضره ولا أعلم حديثه ، ولو سألته عن مناخ عرجا اندفع يحدثك حتى تقول له : اسكت ، وقد عرف أهل نجد أنك إذا أردت أن تنضب العتيبي أو تلغمه الحجر فاعليك إلا أن تذكر يوم الحرملية ، ومن الحوادث أن أهل قرية نقي كانوا يتفاخرون ذات ليلة مع جماعة من شعراء العتبان ، فقال شاعر من عتبية أبياتا نبطية وهم وقوف ، منها :

يا حضران دايماً في البلاد ما ترعون في الدار العذية
ولا تدرون عن ركب الجياد دايماً حاضره في كل هية
فقال شاعر أهل نقي المعارض لذلك الشاعر :

أخبار القبائل في فؤادي وأدرى بالكثيرة والشوية
لا تسكثر على من الدوادي فأذكرك يوم الحرملية

فانقطع الشاعر العتيبي ولم يرد جواباً ؛ لأن الهزيمة صحيحة ، ولا يقدر أن يقول من هزمتنا . فأما ذكر التويعر الشاعر الروقي في شعره وقصة عرجا ، وقد ذكرنا منها بيتين في أول هذه العبارات ، وقوله :

ليت نايف حاطر دقلت جلنا والله أن يخلى نجد بالقلب النظيف

ذكر هذا الشاعر الجلي ، وتلك عادة عند جميع عرب نجد ، إذا سارت الكتائب بعضها إلى بعض فكل قبيلة تنتخب جاريةً من أجل نساء رؤساء القبيلة ، وتنتخب لها جملاً أوضح تضع عليه هودجاً ، ويحمل ذلك الهودج بالحلل من الجوخ وغيره ، ثم تركب فيه الجارية ، وجميع رجال القبيلة والرماة والفرسان على خيولهم . وأهل الركاب يكونون عند هذا الجلي ، والجارية حاسرة ، لا تضع على رأسها ولا على وجهها شيئاً ، وهي واقفة تندب قومها إلى القتال وتحضهم عليه ، وقد ورد عرجا من الجلي في اليوم الذي كانت فيه للوقعة ثلاثة عشر جملاً ، كلُّ رجل يتبعه أكثر من ألف رجل ما بين راكب وراجل ، وكانت قبيلة العصمة وقبيلة الدغلبة تابعين

لجل الهيظل ، فلما كان يوم عرجا انفصلت كل قبيلة بحملها ، حدثني رجل ثقة حضر هذه الموقعة قال : جاء مناحي الهيظل ولحق جزا أبا العلا رئيس قبيلة العصمة ، فتهدّده وقال : ردوا جملكم وارجعوا إلى جملنا ، فقال : إنا من حين زایلنا أهلنا ونحن علزومون أن نردّ به عرجا أو نرجع نحن وجملنا ، فزاد بينهما اللجاج ، فجاءهم الرئيس العام محمد بن هندی بن حمید فقال : لقد نشبت الحرب وأنا أشير عليك أنت يا مناحي الهيظل ألا تردّ جملاً يتبعه ألف رايم ، وإنا تكون الملاحاة والدعاوى في غير هذا الموضع ، فطلب إليه أن يعدل عن هذا الطلب ذلك الوقت ، وقد كان أبو العلا مصمماً على أنهم لو رجعوا جملهم يرجع بقومه ، فتركهم واندفع إلى خزام المهري رئيس الدغالبية فقال له : يا خزام ، ما الذي حملك على أن سيرت هذا الجمل وأتم جميع قبائلكم الدغالبية إنما تتبعون جملي ؟ فقال له : تعلم أن هذا الجمل لو رجع رجعنا معه ، وكانوا لا يخاطبون خزاما باللهجة التي يخاطبون بها أبا العلا ؛ لأنه في زمانه فارس عتيبة على الإطلاق ، فتركه الهيظل ثم أتى ناصر بن عقيل فقال له كما قال لصاحبه ، وناصر من قبيلة الدعاجين التي رئيسها العام هو مناحي الهيظل ، فقال له : اردد جملك وكونوا مع جملنا ، فردّه من دون منازعة ، وقد انقطعت هذه العادة في هذا العهد الزاهر عهد جلالة الملك عبد العزيز آل سعود ؛ لأن هذا الملك - حفظه الله ! - قمع الظالم ، وأعطى كل ذي حق حقه ، وقدم الشرع ، فسكنت بهيمته وبتوفيق الله جميع الحركات .

وعرب نجد لم عادات حميدة أخذوها عن آباؤهم وأجدادهم ، ولكنها انقطعت كما انقطع غيرها ؛ لأن الحاجة لا تدعو إليها ، وسأذكر القليل منها .

عند عرب نجد ثلاث يسمونها « الثلاث البيض » . فإذا قلت : ما الثلاث البيض ؟ قالوا : الضيف السارح ، والطنب السابح ، والبطن ، أما الضيف السارح فيعنون به أنه إذا أضاف رجل من مطير رجلاً من عتيبة ، ثم سرح من عنده واعترضه قوم من أقصى عتيبة منعه منهم صاحب الخباء الذي سرح الضيف منه ، ويردّ عليه جميع ما يؤخذ منه ، وأما الطنب السابح فهو الجار ، إذا كان رجل من مطير مثلاً قد جاور رجلاً من عتيبة ، وجاء المطران وأغاروا عليهم ، وأخذوا إبل العتبان ؛ فإنه يجب على الجار أن يرد إبل من أجاره من قبيلته مطير وما أخذ واله ، وأما البطن فإذا كان رجل من عتيبة قد مر على رجل من مطير فناوله فجال قهوة أو كأس حليب وأخذت عتيبة إبل صاحب الخباء الذي شرب العتيبي فيه القهوة أو الحليب فإنه يجب على العتيبي أن يثور

بما في بطنه ويؤدي الإبل إلى صاحبها ، وله حق النار ما دام لم ينتقض هذا الطعام أو القهوة بمثله ، حتى إن بعضهم قد يصنع حيلة إذا جاءه أجنبي يظن أنه قد يحتاج إليه ، وذلك بأن يخلط بهار القهوة بنوع من اللبن الذي يُظَنُّ أنه يبطئ ، فقد تمس الحاجة إلى ذلك الرجل بعد شهر .

وفيه مسألة أخرى ، وهي الخوى ، إذا جاء السفار ومن قصدهم أن يجيزوا بلاد عتبية أخذوا عتبية ، وكذلك إذا قصدوا أن يجيزوا بلاد مطير أخذوا مطيريا ، وكذلك إذا كان قصدهم أن يجيزوا بلاد قحطان أخذوا قحطانيا ، ومن ذلك أن أهل شقرا أخذوا ولدا لعبد الله بن سحوان من قبيلة الروسان خويا من عتبية ، وهم على جمال وحير يجمعون السكلا ، فجاءهم ركب من الحنايش بطن من الروقة ، ورئيسهم رجل يقال له حنيان ، فأغاروا عليهم ، فاعترضهم ولد ابن سحوان ، وقال : إن هؤلاء خوياء ، فلم ينتهوا ، وأخذوا ما كان معهم من زاد وماء فقط ، وتركوا الركاب والحير ! وأبو هذا الغلام الذي أخذه خويا كبير السن ، فركب إلى قبيلته وقال لرئيس القبيلة ، حسين بن جامع : إني لا أرضى حتى تقتل حنيان ، فقال : إنه لم يأخذ إلا زاداً قليلا وماء قليلا ، وقد دفعه إلى ذلك الجوع والظما ، فنضب الشيخ ورحل إلى بلد قحطان وجاور في قحطان سنتين ومعه ابن له آخر يقال له دحيم ، وقال قصيدة نبطية وشكا حاله إلى ابنه دحيم منها :

يا دحيم ديران الرفاقة امريفه والى مع الأجانب كنه على نار

والطير بالجنحان ما حسن رفيفه والى انكسر بعض الجناحين ماطر

ويمنى بلا يسرى تراها اضعيفه ورجل بلا ربع على الغبن صبار

فلما سمع ابنه دحيم شعره قال له : ارجع يا أبت إلى وطنك ، وأنا الذى أقتل حنيان ، ولا تستشير حسينا في ذلك ، وهو يريد حسين بن جامع رئيس القبيلة ، فأعجب الشيخ ما قاله ابنه وجاء إلى بلاد قومه وسكن الشعرا لتصيد الفرصة في صاحبه ، لأنها بلد تتناب الأعراب لأغراضها ، فما شعروا إلا برجل أتاهم فقال : انظر حنيان الخنثوشى في قصر الرفائع بتفدى عند صاحب القصر ، إبراهيم العجاجى ، فندب الشيخ ابنه وندب معه ابن عم لهم يقال له حمود ، فركبا راحلة وقصداه فوجداه قد مشى من قصر الرفائع ، وهو على جمل ، ومعه رفيق له ليس من قبيلته ، فأدركاه قائلا تحت شجرة ومعهما سيف ورمح ، فقالا لصاحب حنيان الذى ليس من قبيلته : إن أحببت السلامة فأعرض عنا وإلا فإننا نصنع بك مثل ما نصنع به ، فتناولاه بالسيف ولم يبق فيه موضع إلا أكل السيف منه قسما ، ثم ارتدا على راحلتهما وتركاه على أنه ميت ، فمرا على العجاجى وقالاه : قتلنا حنيان ، انظره هناك ، ادفنوه ، فرحل أهل القصر فوجدوا فيه رمقا ، فحملوه إلى قصرهم ،

فبقى سنتين بين الحياة والموت ، ثم سَلِمَ ، فرأيتُه يركب الخيل وقد جعل في كفه الأيسر كلاليب يمسك بها حبال الفرس .

أخذت قحطان حيرا لأهل القويعة ، وهى فى عانية ، فركب فهاد بن حصيص أحد آل روق من قحطان مع أصحاب الحمير إلى القحطانيين الذين أخذوها ، فقالوا له : ما نسلها لك حتى تداعينا عند محمد بن هادى رئيس قحطان ، فركب معهم ، فوصلوا عند محمد بن هادى ، فكل عرض عليه ما عنده من الحجج ، فالتفت ابن هادى إلى ابن حصيص وقال : هوانى مرخوص انحاكى ، وهذه لغة قحطان ، قال له : تحاك بالحقى الذى تؤدى فيه الحمير ، قال : أعطوها إياه . ومن عاداتهم إذا جثت عند قبيلة وأنت ضارب فى الأرض وليس معك رفيق منهم فقل لهم : خذوا عصاى فضمّوا وسمّكم عليها ، فن جاءنى من قبيلتكم عرضتها عليه ، فإذا فعل ذلك فإنه لا يمسّه أحد بسوء .

قال محرر هذه الأحرف : جثت من الحناكية فى سنة ١٣٣٧ هجرية ، وليس معى خوى ، فصحبت عيرا فاصدة القصيم ، فلما كنت عند طمية عجت إلى قرية مسكة فجثت قبيلة من الدلائحة رئيسهم رجل يقال له ملافخ ، فبت عند غيره ، فلما أصبحت قلت عند توجهى : أنارجل منقطع ، ولبس معى رفيق من عتيبة ، وما معى إلا رفيق حضرى ، ونخشى أن يعترضنا أحد من عتيبة قبل أن نصل مقصدنا ، ولكن خذ عصاى فضع وسمّك عليها ، فوضع عليها الوسم (١) على هيئة الغزل وهو وسم قبيلته ، فانطلقت إلى بلد مسكة ومعى صاحبى الحضرى فلما كنا فى عريق الدسم أغار علينا جيش فناديتهم : ليس فىنا طماعة ، فقال رئيسهم : إن كنتم من عتيبة أو فى وجهه عتيبة فأتم آمنون ، فأتونا فإذا ركاّبهم عليها هذا الوسم (١) وإذا هم من قبيلة الحمايد التى يجمعها هذا الوسم كما يجمع قبيلة طلحة وقبائل نجد الموجودون فى العهد الأخير من أدركناهم : قبيلة عتيبة ، وهم اليوم أقواهم وأكثرهم ، وقبيلة قحطان ، وقبائل مطير بنو عبد الله ، مساكنهم من القصيم إلى المدينة ، وعلوى وبريه مساكنهم من سدير إلى السكويت ، وقبائل حرب من القصيم إلى المدينة إلى جبل طى ، هذه القبائل عرفناها وعرفنا قواعدها وعاداتها ، فأما القبائل التى سكنت نجدا فى الزمن القديم فالقبيلة التى كانت لها الشوكة والقوة والغلبة على جميع القبائل هو بنو لام ، قال صاحب الروضة رميزان التميمي وهو فى القرن العاشر ، فى قصيدة له بنطية عند حكره لوادى سدير ووضعه لسبعين العرصة التى تسيل منها بلاده الروضة :

حكرنا لها وادى سدير غصيبة بسيوفنا إلى مرهفات حدودها

حكرونا لها الوادى وسالت نخيلها وفى القيط من جم البطاحى برودها
إلى صدر اللامى والأجناب قلطت حيطانها فإما نزدها ترودها
وهذا الشعر يدل على أن بنى لام هم أهل البلاد فى القرن العاشر، والدليل على ذلك قول رميزان :
* إلى صدر اللامى والأجناب قلطت *

صاروا هم أهل الوطن ومن عداهم أجناب عنه ، وامتد بقاء بنى لام فى نجد فى أواخر
القرن التاسع وجميع القرن العاشر ، وبنو لام ثلاثة بطون عظيمة : كثير ، ومغير ، وفضل ، فأما
آل مغيرة فهم فى عالية نجد يرأسهم عجل بن حنيت ، ويسكن وادى الشعرا ، ويتجول فى بقية
بلاد العرب ، ويوجد الآن قصر له آثار فى وادى الشعرا يعرف عند عامة أهل تلك الناحية بقصر
عجل بن حنيت ، ولا يسكن تلك النواحي أحد من الأعراب إلا فى جواره ، تقول ابنة عجل فى
قصيدة لها نبطية :

ألا يا بلاد جنب تيا مقيمة ما دامت الشعرا هيام قلبها
أخذنا على ولد الشريف بن هاشم على الحوض حقه من وردها يحبها
تيا : جبل فى أعلى وادى الشعرا .

والرئيس الثانى من رؤساء بنى لام : ابن عروج ، يرأس آل فضل وآل كثير ، ومساكنهم فى
أسافل نجد ، ولا ينازعه فيها أحد ، لا عند الكلأ ولا عند غيره ، وتقول امرأة ابن عروج من
قصيدة نبطية :

مشى من العارض بجيش يهين يتلون بن عروج مقدم بنى لام
ياما انقطع فى سته من عسقى ومن فاطر تلقط على الهجن قدام

فلما انقضى القرن العاشر أخذ نجمهم فى الأفول . وبلغنى عن الثقات فى تاريخهم أن سبب ذلك
هو الخيانة ، وعدم المبالاة باليهود والموائيق والجوار ، وما يتصل بها من عادات حميدة وقد انقضوا
وجلوا عن نجد ، ولا يوجد لهم اليوم فيها لا قليل ولا كثير ؛ فلما دخل القرن الحادى عشر امتد
جناح غزوة على نجد ، ألقوا بجرائهم فيه ، فلم ينازعهم فيه أحد إلى آخر ذلك القرن ؛ فظهرت
مطير ، فشاركهم فى نجد ، فلما دخل القرن الثانى عشر نازعهم مطير ، وعزموا على إخراجهم منها ،
وبدأ النزاع بين الطائفتين غزوة ومطير ، وامتد ذلك النزاع حتى انقضى هذا القرن ، وكانت
الانتصارات فيها لمطير ، وابتدأ النزاع الحاسم فى أوائل القرن الثالث عشر ، وإليك عبارة من
عبارات ابن بشر فى تاريخه فى حوادث سنة ١٢٢٨ الهجرية قال فيها ذكره عن الإمام سعود بن

عبد العزيز رحمه الله وتأديبه للأعراب : وإذا أرادت قبيلة من قبائل بَوَادِي نجد العظام كطير وعزرة وقحطان (تأمل في هذه العبارة فإنك لا تجد فيها لعتيبة ذكراً بخصوصها) أو غيرهم ، وهم في أقصى الشمال يرحلون وينزلون في أقصى الجنوب أو الشرق أو الغرب لم يمكنهم مخالفتة ، نشأ على ذلك الصغير ، وشاب فيه الكبير ثم قال : وجلس يوماً فيصل بن وطبان الدويش رئيس أعراب مطير ، والحيدى بن عبد الله بن هذال رئيس عزرة ، وكان هؤلاء أشدَّ البوادي عداوة بعضهم لبعض ، عند سعود في صيوانه ، وهو مقيم على الرس - البلد المعروف في ناحية القصيم - وذلك في غزوة الحناكية سنة ثمان وعشرين ومائتين وألف ، وتنازعوا بين يديه ، وتفاخروا ، وأظهروا نخوة الجاهلية فقال أحدهما للآخر : أحمد الله على نعمة الإسلام ، وسلامة هذا الإمام الذي أطال الله عمره بسببه ، وكسالك الشيب ، بعد أن كان آباؤك لا يشيرون ولا يتنهون إلى حده ، بل كنا نقتلهم قبل ذلك ، فقال الثاني : أحمد الله على نعمة الإسلام وسلامة هذا الإمام الذي كثرا الله بسببه مآلآك ، وسلم عيالآك ، ولولا ذلك لم تملك ما هنالك ، ولا نزلت في تلك الدار ، ولا استقر بك فيها قرار ؛ فنهض الإمام وزجرهم وذكرهم ما أنعم الله به عليهم من الإسلام والجهاد والجماعة والاجتماع على الصلوات . انتهت عبارة ابن بشر . وانتهت دولة ^(١) عزرة في نجد ؛ فقد بدأ النقص فيها حتى تقلص ظلها ، وتغلبت مطير على تلك النواحي من نجد على رَغَى الكلاء والماء ، واستوطنوا أعلاه وأسفله ، حتى إنَّ قبيلة من مطير (من علوى) يقال لهم الجبلان يعتزون بصبحا في المعارك ، فيقول فارسهم : « خيال صبحا جبلى » وصبحا هي الهضبة المعروفة في عالية نجد التي يقال لها في الجاهلية « يذبل » ومحسن الهزاني الشاعر صاحب بلدة الحريق في أواخر القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر صاحب الدوشان ، وأكثر من قرض الشعر فيهم ، منهم في زمنه مصلط الدويش ، ووطبان الدويش ، وعُليق الدويش ، قال في قصيدة نبطية يذكر امرأة من نساء الدوشان :

(١) وآخر من غادر نجداً من عزرة : ابن مجلاد ، ولما علمت مطير بتأخره تداعت إليه من كل جانب وهو في جهة الأسياح فأخبرته النذر بذلك ، ثم بعث إلى قبيلته طالباً المدد ، ثم توجه قاصداً بلاد قومه ، وكان له صانع ماهر في صناعة الشعر وصناعة الحديد فقال هذين البيتين من قصيدة له نبطية :

يا هـل المهار الصفر والضمـر السود الناس جتكم من جنوب وشام
أنا عليه ضبطت الخمس بالعود وانتم عليكم ريهـا بالعـصام

ضبطت الخمس بالعود : يقصد نوعاً من الرماح لها خمسة أسنة كل سنان منفرد عن الآخر ، والعصام هو القتام . المؤلف .

شَدَّوَالِهَامَنْ فَوْقَ وَثْنَاتِ الْأَجَالِ فَوْقَ أَشْتَحَ زَيْنَ لَمْنَاكِبِ اصْعِينِي
نَصُوسُهُمْ بَيْنَ أَبَانَاتٍ وَالْخَالِ^(١) حَامِينَهَا بِمَذَلَقَاتِ الْعَرِينِي

وفي أوائل القرن الثالث عشر ظهر هادي بن قرملة رئيس قبائل قحطان، وامتد نفوذه في نجد واتفق مع الدويش في رعى الكلاً وشرب الماء، وله ذكر حسن مع الولاية في تاريخ ابن بشر، فلما مضى قليل من القرن الثالث عشر ظهر ابنه محمد بن هادي، وأخرج مطيراً جميعهم من نجد، فلم يناعه في نجد أعرابي، وعند ذلك قالت شاعرة من مطير يقال لها «مُؤَيِّضِي الْبَرَاذِيرَةِ» تَوَابَ قومها على قحطان:

نَجْدًا حَمِينَهَا مِنْ أَوْلَادِ وَايِلَ وَالْيَوْمَ عَدُونَا سَكَنَ وَادِي الرَّكْ
أَمَا احْتَمِينَاهَا بِحَدِّ السَّلِيلِ وَالَا عَطِينَا الشَّاةَ ذُو لَوَاوِذُولَاكْ

أما قول البرازية «سكن وادي الرّك» فهي تعني قحطان؛ لأن الرّك لا يوجد إلا في بلادهم، وأما ذكر الشاة فهذه عادة عند العرب، كانوا إذا ضُعفت القبيلة وهي في بلاد غير بلاد قومها، وعندهم قوم أقوىاء، ذبحوا لهم شاة، ودَعَوْهُمْ عليها وحالفوهم عند ذلك؛ فتكون تلك القبيلة منهم وبقى محمد بن هادي بن قرملة وقبيلته قحطان في نجد لا يناعهم فيها أحد، وكان من أراد الرعي من مطير أو من عنزة أو من حرب أو من عتيبة المقيمين في الحجاز يأتي إلى هذا الشيخ، فيأخذ منه الأمان، ثم يري حيث شاء.

حدثني عثمان الهاجري - وهو إمام يصلي بمحمد بن هادي وجماعته - قال: كنا مقيمين في فيضة وادي أوراظ في العتق أيام الربيع، فجاء في يوم واحد خمس من الخيل هدايا كل فرس واحدة مع وفد على حدته يطلبون الجوار والامتداد في نجد، قال: وكنا يوماً عند «المضاعة»^(٢) أيام الربيع، فجاءه «تركي بن حميد» من رؤساء قبيلة عتيبة، وأناخ عند محمد بن هادي بن قرملة يطلب الجوار، فسأله عن أهله، فقال: تركتهم على ماءة بُرَيْمِ الماء المعروف في أسفل جبل حضن، وحدثني فراج بن طويق الخافي قال: ركبنا مع مِصْلَاطِ بْنِ رَبِيعَانَ، وأهْنَسْنَا عَلَى مَاءِ الشَّاسِ الْوَاقِعِ

(١) الحال هو خال الدفينة. انظر كيف توغلت قبيلة مطير في نجد، فقد سكنوا في جميع أنحائها.

(٢) هي جبل صغير يقع في الجلوة بين ماء الأنجل وتبراك. وهي ماء الأنجل أقرب. وتبراك هو الذي يقول فيه جرير:

في حوى^(١) كشب ، وأتينا ابن هادى ، ومعنا جيش وخيل هدايا ، أتينا على ماء الشعرا نطلب منه الجوار ، فقال لنا : أتم في وجهي ، ارعوا حيث شئتم إلا جبل النير ، من دخله فهو خارج من الأمان الذى طلبه ، وظنى أن هذا الأعرابي يخشى أن يدخلوا هذا الجبل فلا يخرجوا منه .

انظر تغلب الدهر بأهله ؛ فإنه ما كاد ينقضى نصف القرن الثالث عشر حتى غاض معين مجده . وتناقص ظله ، وأقل نجمه ، ذلك لأنه لم يعبا بنقض العهد ، وخفر الذمة ، فاختلف مع قبيلة عتيبة ، وكانوا إذ ذاك يخرجون من تهامة والحجاز كأرجال الجراد ، ومن استوطن نجداً لم يرجع ، وكان رئيس برقاً تركى بن حميد ، ورئيس الروقة مصلط بن ربيعان ، وكان سبب هزيمة ابن هادى وردّه إلى حدوده التى خرج منها في جهة الجنوب في بيت واحد من قصيدة نبطية لتركى بن حميد وهى طويلة يخاطب فيها ابن هادى حين تغير عليهم ، وعزم على ألا يفي بما بينه وبينهم ، وهو أن يؤدى ابن حميد ما تأخذه عتيبة ، ويؤدى ابن هادى ما تأخذه قحطان ، ولكن ابن هادى لم يؤد ما أخذه القحطانيون ، فقال تركى قصيدة منها هذا البيت الذى ذكر فيه خفر الذمة :

أديت انا ارنع قحص^(٢) خامسهن التوم^(٣) وقعود^(٤) زبن^(٥) اللى بنى ما حصل له

وقد دارت بينهم معارك عظيمة ، وكانت الانتصارات فيها لعتيبة ، ورئيسهم فى تلك المعارك تركى بن حميد ، وكان الذى هدم هذا العز الشامخ الذى لم ير مثله فى جميع الأعراب هو تركى ابن حميد ، هدمه من أسه ، فلم يبق له ذكر .

فأما فى عهد جلالة الملك عبد العزيز فقد انطمست تلك العوائد جميعها ، فلا يحتاج أحد إلى (خوى) ولا إلى (اخاه) ولا إلى (جار) ولا إلى (عانى) ولا إلى (علقه) جميع تلك العوائد انقطعت ، وكلها من الله سبحانه وتعالى ثم من حكمة جلالة الملك وتأديبه لمن خالف ، فإنه لا يعرف مثيل لهذا الأمان لا فى الأوائل ولا فى الأواخر .

ذكروا أن الناس كانوا فى زمن الإمام سعود بن عبد العزيز الكبير فى أوائل القرن الثالث عشر يعيشون فى هدوء وأمان فى جميع الأنحاء التى امتدّ عليها رواق ملكه ، فقالوا : إنه كان فى وادى العقيق أعراب قاطنون على ماء عشيرة ، وعندهم شعراء من البقوم والشلاوى ، فجعلواهم وأهل الماء يتساجلون ، فقال شاعر الشلاوى :

(١) مياه الحوى تطلق على جميع المياه التى حوتها حرة كشب ، الجبل المعروف فى عالية نجد . ومياه الحوى ثلاثون منهلاً تقريباً . (٢) القحص هى الخيل . والتوم : حصان . (٣) وزين : رجل من جماعة الشاعر أخذ بعيره فلم يرجع عليه . وهو فى خفارة ابن هادى .

نَبَاً نَقَضَى اللّازِمَ وَنَرَكَبُ رَكابِينَا وَاهْلُنَا مِنَ الْجُوبَةِ ^(١) إِلَيْنِ الْقَطَانِيَّةُ
نَبَاً شَاعِرٌ مِنْكُمْ إِلَى الصَّبْحِ يَطْرُبُنَا قَرُ عَشْرٌ وَاضِحٌ وَالثَّرَا رَقَابِيَّةُ
فَقَالَ الشَّاعِرُ الثَّانِي الَّذِي مِنَ الْعَرَبِ الْقَاطِنِينَ عَلَى مَاءِ عَشِيرَةٍ وَهُمْ مِنْ عَتِيبَةٍ :
أَنَا خَائِفٌ إِنْ الْعِلْمُ يَاصِلُ مُعَزَّنَا يَشْبِيهِ طَرِيقِي عَلَى كَوْزٍ عَمَلِيَّةٍ ^(٢)
تَضِيعُونَ فِي تَجَدُّ وَحْنَا يَعَاقِبُنَا وَحْنَا عَلَى الْمَالِاشُ تَجْمَعُ وَلَا نِيَّةُ
لَا شَكَّ أَنَّ هَذَا دَلِيلٌ عَلَى الْأَمَانِ ، فَقَدْ خَافَ الشَّاعِرُ - وَهُوَ عَلَى مَاءِ عَشِيرَةٍ - مِنْ إِمَامٍ فِي
الدَّرْعِيَّةِ ، وَلَكِنَّهُ أَمَانَ مُعْتَدِلٌ ، وَأَمَّا أَمَانٌ عَهْدُنَا الزَّاهِرُ فَلَمْ أَرِ مِثْلَهُ ، وَلَمْ أَقْرَأْ عَنْ نَظِيرِهِ فِي جَمِيعِ
مَاقَرَاتٍ مِنْ صَفَحَاتِ التَّارِيخِ ، إِذْ قَدْ مَدَّ الْأَمَانُ جَنَاحَهُ عَلَى مَقَاطِعَةِ نَجْرَانَ ، وَالطَّرَفِ الثَّانِي عَلَى الْحُدُودِ
الشَّمَالِيَّةِ ، فَجَمِيعُ تِلْكَ الْأَقْطَارِ لَا يَوْجَدُ فِيهَا قَاطِعٌ طَرِيقٍ ، وَكَانَ اللَّاحِظُ يَبْقَى الشَّهْرَ فِي قِمَمِ الْجِبَالِ خَشِيَّةً
أَنْ يَرَى أَثَرَهُ إِذَا نَزَلَ فَيُؤْخَذُ ، فَيَقْذَفُ فِي السَّجَنِ ، فَإِذَا احتَاجَ إِلَى طَعَامٍ بَعَثَ أَمْرَأَتَهُ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ
الَّذِي أَحْيَانَا حَتَّى رَأَيْنَا هَذِهِ الْحَالِ .
وَقَدْ أَطْلَعْنَا الْكَلَامَ عَلَى ذِكْرِ الْحَرْمَلِ وَالْأَنْجَلِ وَالْمُرُوثِ وَسُوفَ لِكَثْرَتِهِ مَا يَتَّصِلُ بِهِمَا مِنَ
الْمَعَارِكِ وَالْأَخْبَارِ .

* * *

٤ - وَقَالَ الْأَعَشَى صَاحِبُ مَنَفُوحَةٍ ^(٣) :

مَا بُكَاهُ الْكَبِيرُ بِالْأَطْلَالِ وَسُؤَالِي وَمَا تَرُدُّ سُؤَالِي
دِمْنَةً أَقْفَرَتْ تَعَاوَرَهَا الصَّيْفُ بِرِيحَيْنِ مِنْ صَبَا وَشَمَالِ
حَلَّ أَهْلِي وَسَطَ الْغَمِيسِ فَبَادُوا لِي وَحَلَّتْ عُلوِيَّةٌ بِالسَّخَالِ
تَرْتَعُ السَّفْحَ فَالْكُثِيبُ فَذَاقَا رُفُوضِ النُّضَا فذَاتِ الرِّثَالِ

هَذَا مَطْلَعُ قَصِيدَةٍ قَالَهَا الْأَعَشَى فِي الْأَسْوَدِ الْكَنْدِيِّ أَحَدِ رُؤَسَاءِ الْيَمَنِ .

الْغَمِيسُ : مَوْضِعٌ مَعْرُوفٌ فِي جِهَةِ الْقَصِيمِ ، مَا كَانَ عَنْ بَلَدَةٍ عَنِيْزَةٍ غَرْبًا وَجَنُوبًا جَمِيعُ تِلْكَ
النَّاحِيَةِ إِلَى قَرَبِ رَامَةِ يُقَالُ لَهُ « الْغَمِيسُ » وَهُوَ مِنَ الْمَوَاضِعِ الَّتِي يَحْمِيهَا أَهْلُ عَنِيْزَةٍ ، وَيَدْخُرُونَ
فِيهَا الْكَلَاءَ لِأَغْنَاهُمْ وَإِبْلَاهُمْ ، وَفِيهِ يَوْمٌ مِنْ أَيَّامِ الْعَرَبِ ، قَالَ شَاعِرُ أَعْرَابِي :

(١) الْجُوبَةُ هِيَ جُوبَةُ رَكْبَةِ الشَّهْوَةِ . وَالْقَطَانِيَّةُ : بَرٌّ تَرُدُّهَا الْأَعْرَابُ فِي وَادِي قَطَانَ فِي الْجِهَةِ
الْجَنُوبِيَّةِ مِنْهُ . (٢) الْعَمَلِيَّةُ نَوْعٌ مِنْ نَجَائِبِ الْحَيْشِ . سَمِيتِ الْعَمَلِيَّةُ لِاسْتِعَالِهَا وَإِرْسَالِهَا فِي الْأُمُورِ
الْهَامَةِ . وَالطَّرِيقُ : تَصْغِيرُ طَرِيقٍ ، وَهُوَ التَّوْجُّهُ مِنْ جِهَةٍ إِلَى جِهَةٍ أُخْرَى (٣) مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ ٣٠٧/٥

أَيَا تَحَلَّى وادى النعميس سقيماً وإن أتما لم تنفعا من سقاكما
فما تسود الأمل حسناً وتنما ويختال من حسن النبات ذراكا
وهو باق بهذا الاسم إلى هذا العهد ، تعرفه عامة أهل نجد .

أما بادولى فهي معروفة هي والسخال إلى هذا العهد بهذا الاسم .

السخال : هضبات متصل بعضها ببعض ، حمر ، في حدود الهضبة الشرقية ، طرفها الشرقى السخال
خارج من الهضبة ، وطرفها الغربى منعقد فيها ، وهي الهضبات التى بها منهل « مأسل »
و « مويسل » . ومأسل هذا هو الذى يقول فيه امرؤ القيس :
* وجارتها أم الرباب بمأسل *

وهي معروفة بهذا الاسم إلى عهدنا هذا ، يقال لها « السخال » قال ابن مقبل :

حَتَّى دَارَ الْحَى لَادَارَ بِهَا بِسَخَالٍ فَأَثَالٍ فخرم

وأما بادولى فهي هضبات قرب السخال ، يقال لها إذا جمعت « بدوات » . ويقال لفردتها
« بدوة » معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد ، يقال : بنى بدوة ، وبنى بدوات ، وذكروا أن
بلاد الروقة كوادى الجرير وجهة كشب أجذبت ، وأخصبت تلك الناحية التى فيها السخال وبنو
بدوة ، فانتجعت الروقة السكلاً ، فلما وصلوا إلى بدوة والسخال كأنهم كرهوا البلاد ، فقال شاعر
من شعراء الروقة أبياتاً بنطية منها :

وصلت بدوة وهضبات السخال وشفت مشعاب

وودائى أرجع ولا لى بالديار الى وراها

وقود أهلها الدمن وإن شاف أبو قباس مشعاب

رمى بعمره عليه ونارهم يطفى سناها

أبو قباس : نوع من الفرائس يسقط فى النار ، أما مشعاب الذى ذكره فهو جبل يقع فى شمالى
الهضبات المذكورة على مسافة يومين . والسفح : يطلق على كل سفح جبل أو على كل سفح وادٍ .
والسكيب : يطلق على كل ما ارتفع من الرمل ، وربما كان « السفح » علماً على مكان بعينه ،
وذو قار : موضع ، وقد تقدم الكلام عليه ، وروض الفضا : فى شرقى القصيم ، ولا أعرفه بهذا
الاسم اليوم ، وذات الرئال كذلك ، وقد مضى الكلام عليهما ، وهضبات السخال متاخمة لها جبل
الحمل ، يقع عنها مما إلى مطلع الشمس .

* * *

٤١ — وقال ليلى بن ربيعة ^(١) :

(١) بيت ليلى وأبيات عامر فى معجم البلدان ٣/٣٧١ وبينتا مليح الهذالى فيه ٣/٣٧٢ .

واضحى يقتري الحومان فرداً
كنصل السيف حودت بالصقال
وقال عامر بن الطفيل :

ألا ليت شرى هل تغَيَّرَ بَعْدَنَا
صَرَائِمُ جَنْبِي مَحْطِطٍ وجنائبه
وهل تَرَكَ الحومان بعدى مكانه
وهل زال من بطن الجوى تناضبه
فوالله ما أدري أيلغبني الهوى
إلى أهل تلك الدار أم أنا غلبه
فإن أستطع أغلب، وإن يغلب الهوى
فمثل الذي لا قيت يغلب صاحبه
وقال مليح الهذلي :

وقام خراعبٌ كلوز هزت ذوائبها يمانية زخور
لهن خدودٌ جنة بطن حوْطى وللرمل الروادف والخصور

هذه الأبيات المختلفة الموضع المشار إليه في كل منها واحد ، فهناك في عالية نجد هضبات متصل بعضها ببعض ، ويطلق عليها أسماء متعددة مادتها الأصلية واحدة ، فيقال لها « الحوميات » ويقال لها « الحوم » ويقال لها « الحوميّة » إذا جاءنا أعرابيٌّ من جهتها فقلنا له : أين أهلك ؟ وقال : بالحوميات ، ثم جاءنا آخر وقلنا له : أين أهلك ؟ قال : بالحومية ، ثم جاءنا ثالث وقلنا له : أين أهلك قال : بالحوم ؛ فنزل هؤلاء واحد ، وكلهم صادقون ، وهى معروفة بهذه الأسماء عند عامة أهل نجد لم تتغير ، ولون تلك الهضبات بين الحمرة والسود .

أما محيط فهو يقع شرق الحوميات ، موقعه في كتيب الصخرة ، جبيل مرتكز طويل معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهناك جبل آخر في عرق سبيع في القطعة الجنوبية منه يقال له « محيط » ولا أعلم أيهما قصد الشاعر ، وكلاهما متاخم لجبال الحوم .

قال كاتب هذه السطور : الحديث ذو شجون يجر بعضه بعضاً ، صحبتُ صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن عبد العزيز آل سعود أثناء خروجه للقنص في عالية نجد ، في منزل من منازل على غدير ^(١) « برة المظلي » وأعراب نجد تسمى منزل الأمير فيصل هناك في ذلك العام

(١) البرة : قد مضى الكلام عليها ، وهى جبيل صغير منفرد من جبال المظلي ، إذا نظرت إليه عن بعد رأيت منفرداً كاليتيم ، وتسميها أعراب نجد اليتيمة ، قال محمد القشامى يذكر إبله ومرباعها من قصيدة له بنطية :

ومرباعها يم الحصة اليتيمة ومصيفها عردان تشرب خباريه
وعردان هنا : هو الذى ذكره عبيد بن الأبرص في معلقته بلفظ عردة .

« مربع الأوامد » لأنه بذل جميع استطاعته من الزاد واللحم وحليب الإبل واللبن ، وكل شيء تميل إليه النفس ، فأخذت الأعراب تختلف إليه من جميع الجهات ، وكان أكثر ما اصطدناه من أنواع الجبارى فى اليوم الواحد يقدر بستين تقريباً ، أما الظباء فقد اصطدنا منها فى آخر يوم من أيام الصيد عدداً كبيراً ، وكنا بين ماء الأيسرى وجبل الشهباء شرق عرق سبيع ، وقد بلغ ما حملناه فى السيارات مائة وستة وستين ظبياً من الآرام الكبار ، وعند انصرافنا إلى منزلنا جاءنا صاحب السمو الملكى الأمير عبد الله الفيصل فقال لوالده : هنا خمسة وعشرون ظبياً لم تقدر على حملها ، انظر إلى سيارتنا لا تقدر أن تحمل غير ما حملناها ، فالتفت صاحب السمو الملكى الأمير فيصل إلى أعراب وقوف عندنا ، وقال : خذوها ، ثم ذهبنا إلى منزلنا وبتنا ونحن لا ندرى كيف نصنع بهذا الصيد ، ولما حضرت السيارة التى ستقل سُمُوهُ الكريم إلى مكة دعا - حفظه الله ! - حاجبه فهد بن غشيان وقال له : فرقوا هذه الظباء على الحاضرين هنا من الأعراب والفقراء ، ولا تبقوا منها شيئاً ، لم يزد على هذه الكلمات ولم ينقص ، وسار إلى مكة .

وهضبات الحوم المذكورة لم تغب عنا يوماً واحداً فى هذا المقص .

فأما المقص الثانى فقد كنا على ماء سجا ، وعنده عيد بن حويرش رجل من المقطة مضحك للملوك والأمراء ، أذكر ليلة خاطبه الأمير فتكلم هو ثم نهض وقال : أنا ولد حراث ، نذب أباه فى خطابه ، فسكت الأمير ، وسكت الناس ، فالتفت إلى الأمير وقال : يا طويل العمر ، لم لم تقل إذ ذكرت والدى « ونعم » ؟ فقال الأمير : إني لا أعرف والدك ، ويمكن أن يكون فى هؤلاء الحاضرين رجل يعرفه ، فتكلم أعرابى من الحاضرين فقال : الذى يستأهل « ونعم » هو الذى أعطى أباك بعيره أيام كانوا فى الحوميات ، فقال الأمير : خبرنا من هو ، فقال : إذا سمح عيد بن حويرش أخبرتك بالموضوع ، فقال ابن حويرش : أخبرهم ، فقال الأعرابى : جاء عقيد من سبيع من بوادى رنية والخرمة ومعه ركب يبلغ عددهم خمسة عشر راكباً تقريباً ، فأغاروا بعد غروب الشمس فى جهة الحومية على إبل المقطة ، ومن المصادفات أنها أخذت إبل حويرش . ثم فروا بها فى سواد الليل .

وكان هذا العقيد مجرباً تام الحنكة ، وكانت بلده فى جهة الغرب ، ولكنه قصد جهة الشرق اختفاء من الطلب ، فلما قرب من أخبية حويرش وقومه ومنازلهم ، وهو يقتنص الظباء ، وكان على ظهره ظبي - اعترض حويرش الإبل والركب ومعه بندقيته ثم ألقى ظبيه عن ظهره ، وقال : من أتم أيها الركب ؟ قالوا له : من جماعتكم الدعاجين ، والدعاجين : بطن من عتبية ، فقال : الحذية

يوم الله رزقكم ، قالت فت رجل من الركب إلى رئيسهم وقال ، أأقتله ؟ فقال له الرئيس : إن البندقية إذا ثارت عليه جذبت إلينا قومه لاسترداد إبلهم ، بل نعطيه بغيراً ، فردوا إليه بغيراً ، فزمره ، وأناخه ، واندفع الغزاة تحت سواد الليل ، ثم جمع الحبال التي معه ، فعقل أربعة : أى أربع قوائمها ، وأخذ ظيئه وأخفى الجمل عن إخوته خشية أن يطلبوه منه ، واشتغل بالظبي وطبخه ، وأكله ، فلما مضى من الليل ثلثة جاءهم رجل على جمل من مَرعى الإبل المنهوبة فقال لهم : هل بلغكم الصَّرِيح ؟ لم لم تفزعوا ؟ قال له حوירش : ما الخبر ؟ قال : إبلك أخذت ، فقال : إني قد اعترضت إبلًا يتحدوها ركب ، ولكنهم يقولون : نحن دعاجين ، وقد أعطوني منها جملاً ففعلته هناك ، أظن أنه من إبلى ، فانطلقوا إلى الجمل ، فلما وصلوه وجدوه من إبل حويرش المأخوذة بعد غروب الشمس ، فقال الأمير للمتكلم : هذا الحديث صحيح ؟ قال : إى والله صحيح أيها الأمير .

أما البرة فتبدو للناظر إليها من بعيد جبلاً واحداً ، فإذا وصلها ألفاها جبلين أحدهما أكبر من الآخر ، وفي شعراء العرب من يذكرها مفردة ، ومنهم من يذكرها مثناة ، وهناك موضع آخر في طريق الذهاب من مرارة إلى الرياض يقال له « البرة » ومنهم من يسميه « البرتين » كيحيى بن طالب حين قال :

خَلِيلِي عَوْجَا بَارِكَ اللَّهُ فِيكَمَا عَلَى الْبَرَةِ الْعَلِيَا صُدُورِ الرِّكَائِبِ

ولكن التمييز بينهما سهل ؛ فالبرة الواقعة قرب سجا يقال لها « برة المظلي » والأخرى يقال لها « برة اليمامة » فإن كان الشاعر الذى ذكرها تيميمياً أو حنفياً فهي البرة الواقعة في اليمامة ، وإذا كان الشاعر عامرياً فهي برة المظلي ، والبرة الواقعة جنوباً عن ماء سجا بمسافة يوم يقع في شرقها على مسافة يوم تقريباً جبال سود منعقد بعضها ببعض ، يقال لها رغبة ، والبرة الواقعة في اليمامة يقع في شرقها الشمالى بلد يقال لها رغبة ، تبعد عنها بمسافة يوم تقريباً ، وهذا من غرائب المصادفات .

* * *

٤٢ — قال ذو الرمة^(١)

سَرَتْ مِنْ مَنَى جَنَحَ الظَّلَامِ فَاصْبَحَتْ بِسُيَّانَ أَيْدِيهَا مَعَ الْفَجْرِ تَلْعَمُ

بسيان : حزم أسود في ركبة يمر به الصّادر من ماء المحدث في وادى العقيق إلى ماء مُرَّان ، تراه من بعيد كأنه جبل ، وإذا وصلته وجدته حزمًا أسود صغيراً ، وسبب ظهور ارتفاعه أنه في أرض مستوية وليس حوله جبال ، وكانت به وقعة مشهورة من وقائع العرب ، وهو الذى يقول فيه المساور بن هند :

(١) معجم البدن ٢/ ١٨٣ .

ونحن قتلنا ابني طهية بالعصا ونحن قتلنا يوم بستان مسهرا
ومن التصادف العجيب أنه عند مقتل مسهر الذي ذكره المساور كانت معركة بين العرب في
العهد الحديث ؛ فقد بعث الشريف حسين بن علي آخر ولاية مكة سرية يرأسها « راقى الفرد »
من المقطة ومحمد العتود من القنفة ، وكانت هذه السرية منتخبة من أفضل رجال الحسين في
الشجاعة والرمية ، وكان جلالة الملك عبد العزيز وفقه الله يبعث السرايا لمصادمة سرايا الحسين ،
فقد خرج خالد بن منصور بن لؤى أمير الحرمه من بلده لهذا الغرض ، فلما ورد ماء الحادثة عرف
أن سرية الشريف المذكورة قد وردت هذا الماء ؛ لأنه وجد آثار استقائهم وفضلة المياه التي
حملوها ظاهرة على وجه الأرض لم تنضب ، ولما كان ذلك الأثر جديداً فقد عزموا على أن يسيروا
في أثرهم ، وبعد مضي ساعة ونصف ساعة من مسيرهم من ماء الحادثة وصلوهم قريب بستان في
موضع يقال له « الحرج » فاقتتلوا قتالا شديداً ، وقتلت سرية الشريف عن آخرها ، ولم ينج منهم
إلا واحد ؛ فإنه لما رأى الأمر الذي ليس معه حيلة رمى بنفسه بين القتلى ، ولما غاب عنه أعداؤه
انسل من بين القتلى على قدميه عدواً حتى وصل مناهل وادى العميق ، ثم نجا بنفسه إلى مكة ،
وهو الذي أخير بقتلهم ، وهم في انتظار الغنائم ، وقد قتل راقى الفرد ، وقتل محمد العتود ،
وهذان الرجلان في عشائهم يعدل الواحد منهما مائتي رجل ، ولكنهما غودرا في ذلك الموضع
جزر السباع كما ترك مسهر الذي يقول فيه المساور بن هند :

ونحن قتلنا ابني طهية بالعصا ونحن قتلنا يوم بستان مسهرا

قال كاتب هذه السطور : إن أغلب المواضع لم تغير أسماءها كالجبال والمياه والبقاع ، فإني
إذا سلكت الطريق من مكة إلى جهة الرياض ومررت بجبل أو ماء أو أرض وذكرت اسم
الموضع تبادر إلى ذهني أن له ذكراً جاهلياً ، وقد عزمت على ذكر الطريق النافذ من جدة على
ساحل البحر الأحمر إلى الرياض ، ثم إلى الكويت على الخليج الفارسي .

جدة : مدينة معروفة بهذا الاسم منذ العهد القديم إلى هذا العهد ، وشهرتها تغني عن تحديدها ،
إذا خرجت من جدة متجهاً إلى جهة الشرق أتيت « الرغامة » قال أهل اللغة : الرغام يطلق على
الناعم من التراب ، وقال الأصمعي : يطلق على الرمل الذي لا يسيل من اليد ، قالت امرأة
من بني مرة :

أيا جبلي وادي عزيزة التي نأت عن نوى قومي وحُمّ قدومها
ألا خلياً تجرى الجنوب لعله يداوى فؤادي من جواه نسيها
وقولا لركبان تيمية غدت إلى البيت ترجو أن تحط جروها

وادی غلیل

فَإِنَّ بَأْكَفَ الرِّغَامِ قَرِيبَةً مِّمَّهَلَّةً تُكَلِّى طَوِيلًا تَنِيْمًا^(١)
ولا أعرف في بلاد العرب موضعاً يقال له الرغام إلا هذا الموضع ، إذا كنت فيه والتفت
جهة يمينك رأيت وادياً يقال له غليل ، ولا يزال بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وقال شاعر من مزينة :
أَوْ الْحَقَّ بِالْعَقَاءِ مِنْ أَرْضِ صَاحَةٍ أَوْ الْبَاسِقَاتِ بَيْنَ رَوْقٍ وَغُلَيْلٍ
في هذا البيت يحتمل أن الباسقات نخيل وادی فاطمة

وادی سلم

فإذا جمعت الرغامة ووادی غلیل خَلَقَكَ أَتَيْتَ وَادِيًا يُقَالُ لَهُ « وادی سلم » قال ياقوت
في معجمه^(٢) : ووادی سلم بالحجاز عن أبي موسى ، قال الشاعر :

وَهَلْ تَعُودَنَّ لِيَلِاقِي بَذَى سَلَمٍ كَمَا عَهَدْتُ وَأَيَّاهُ بَيْتَ الْأَوَّلِ
أَيَّامَ لَيْلِي كَعَابٍ غَيْرُ عَانِسَةٍ وَأَنْتَ أَمْرَدٌ مَعْرُوفٌ لَكَ الْغَزَلُ
وقال الرضى الموسوى :

أَقُولُ وَالشُّوقُ قَدْ عَادَتْ عَوَائِدَهُ لَذِكْرِ عَهْدِ هَوَايَ وَتَى وَلَمْ يَدُمْ
يَاظْبِيَةَ الْأَنْسِ هَلْ أَنْسُ أَلَذُّهُ مِنَ الْعِدَاةِ فَأَشْفَى مِنْ جَوَى الْأَلَمِ ؟
وهل أراك على وادی الأراك ؟ وهل يعود تسيماً يوماً بَذَى سَلَمٍ ؟

بحرة

وفى أثناء سيرك في الطريق تمر ببخرة ، قال في معجم البلدان : بحرة موضع من أعمال
الطائف قرب لينة . قال ابن إسحاق : انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من حنين على نخلة
اليمانية ، ثم على قرن ، ثم على المليح ، ثم على بحرة الرغام من لينة ، فابتنى به مسجداً ، فصلى فيه
صلى الله عليه وسلم ، فأقاد ببخرة بدم ، وهو أول دم أقيده في الإسلام ، رجل من ليث قتل
رجلاً من هذيل فقتله به . انتهى . وأنا لا أعلم موضعاً يقال له بحرة إلا هذا الموضع ، وقال في
معجم ما استعجم^(٣) : بحرة موضع ببلاد مزينة ، وقال معن بن أوس المزني :

تَسْقِطُ أَوْلَادَ التَّنَوُّطِ بِالضُّحَى بَحِيثٌ يُمَاصِي صَدْرَ بُحْرَةٍ مُخْبِرُ
قال في شرح هذا البيت : قال السكري : مخبر قرية بين عِلاف ومَر .

وقول السكري يدل على أن بحرة هي المعروفة بهذا الاسم في عهدنا هذا بين جدة ومكة .

حدة

ثم تخرج من بحرة متجهاً إلى مكة فإذا انرج بك الطريق بين بحرة والشمسى فانظر على
شمالك فإنك ترى قصوراً ونخيلاً ومزارعاً يملكها صاحب المعالي وزير المالية الشيخ عبد الله السليمان
في موضع يقال له « حده » وهذا هو اسمها الجاهلى ، وإليك الشاهد الواضح قال أبو جندب الهذلى :

بغيتهم ما بين حداء والحشا وأوردتهم ماء الاثيل فعاصما
قال السكري في شرح هذا البيت : حداء بالحاء في طريق جده . وقال ياقوت : حداء
وادي فيه حصن ونخيل بين مكة وجدة يسمونها اليوم « حدة » بفتح الحاء .

ثم تمرُّ بالوادي الذي يقال له اليوم « وادي فاطمة » . وكان يقال له في الزمن القديم « مر الظهران
(وادي فاطمة) » قال عوف بن أيوب الأنصاري الخزرجي :

فلمّا هَبَطْنَا بطنَ مَرٍّ تَخَزَعَتْ خُرَاعَةٌ مِنَّا فِي حُلُولِ كِرَاكِرٍ
حَمَتْ كُلَّ وَادٍ مِنْ تِهَامَةٍ وَاحْتَمَتْ بِضَمِّ الْقَنَّا وَالْمَرْهَفَاتِ الْبَوَاتِرِ
وقال عمر بن أبي ربيعة :

أبا كَرَةٍ فِي الطَّاعِنِينَ رَمِيمٌ وَلَمْ يُشَفَّ مَتَبُولُ الْفَوَادِ سَقِيمٌ
عَشِيَّةً رَحْنَا ثُمَّ رَاحَتْ كَأَنَّهَا غَمَامَةٌ دَجَنٍ تَنْجَلِي وَتَغِيمٌ
فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي انْفِرُوا إِنْ مَوْعِدًا لَكُمْ مَرٌّ فَلْيَرْجِعْ عَلَى حَكِيمٍ

قال عرام بن أصبغ السلمي في كتابه عن جبال تهامة ومياها : مَرُّ القرية ، والظهران هو
الوادي ، وبه عيون كثيرة ونخل وحمير ، وهو لأسلم وهذيل وغاضرة ، قال في معجم البلدان على
ذكر الظهران : الظهران : واد قرب مكة ، وعنده قرية يقال لها مَرٌّ نضاف إلى هذا الوادي فيقال
« مر الظهران » وروى ابن شميل عن ابن عوف عن ابن سيرين أن أبا موسى كس في كفارة
اليمن ثوبين ظهرانين ومعقداً . قال نصر : الظهراني يُجَاءُ به من مر الظهران ، ومر باقي بهذا
الاسم إلى يوم الناس هذا ، قرية معروفة في أعلى وادي فاطمة ، تبعد عن عين القشاشية التي اشتراها
صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله الفيصل مسافة يومٍ ، في الجهة الشمالية الشرقية منها .

فإذا جُرُزَتْ وادي فاطمة أتيت الموضع الذي يقال له اليوم « الشمسي » وكان يقال له في الزمن
القديم « الحديبية » قال في معجم البلدان : هي قرية متوسطة ليست بالكبيرة ، سميت بين هذالك
عند مسجد الشجرة التي بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحتها . قال الخطابي في أماليه : سميت
الحديبية بشجرة حدباء كانت في ذلك الموضع ، وبين الحديبية ومكة مرحلة ، وبينها وبين المدينة
تسبع مراحل ، وفي الحديث أنها بئر ، وبعض الحديبية في الحل ، وبعضها في الحرم ، وعند مالك
ابن أنس أن جميعها من الحرم ، وقال محمد بن موسى الخوارزمي : اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم
عُمَرَةَ الحديبية ووَادِعَ الْمُشْرِكِينَ لمضي خمس سنين وستة أشهر للهجرة النبوية .

ثم تندفع من الشمسي وتقطع « الرصيفة » المعروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهي تصغير

رصافة ، وهذا الموضع كان يقال له في الجاهلية « رصافة » ألا ترى أنهم لما ذكروا الرصافات في كتب المعاجم قالوا : ورصافة الحجاز ، قال أمية بن أبي عائذ^(١) .

يَوْمَ يَهْمُهَا وَأَتَتْجَتُ لِلنَّجَا ۖ عَيْنُ الرِّصَافَةِ ذَاتُ النَّجَالِ

ثم تخرج إلى وادى الشهداء ، وهذا اسم حديث قتل فيه أناس من بنى هاشم وقبروا هناك . وقبورهم على شمال الذهاب من مكة إلى التنعيم للاعتبار ، في شعب صغير ، سمو ذلك الموضع « قبور الشهداء » ثم تركت لفظة القبور ، وبقيت لفظة « الشهداء » وتغلبت هذه الكلمة على جميع ذلك الوادى ، ولا يعرف اليوم إلا بهذا الاسم ، وكان يسمى في الجاهلية « وادى فنج » قال بلال مؤذن الرسول صلى الله عليه وسلم ، لما وعظته حُمَيَّ المدينة :

أَلَا لَيْتَ شَعْرَى هَلْ أُبَيِّنَ لَيْلَةً بَفَجٍّ وَحَوْلَى إِذْخِرَ وَجَلِيلَ
وَأَشْرَبَ مَاءً مِنْ مِيَاهِ مَجْنَةِ وَهَلْ يَبْدُونُ لِي شَامَةَ وَطْفِيلَ

شامة وطفيل في تهامة ، بين الليث وجدة ، جبال لم تتغير أسماؤها إلى هذا العهد ثم تجعل الشهداء خلفك قاصداً الحجون ، وتمر في طريقك بذى طوى ، وهى بئر معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وموضعها الآن بين بيت الوزير العام للمالية في هذا العهد الشيخ عبد الله السليمان وبيت أخيه وكيل وزارة المالية الشيخ حمد السليمان ، وقال شاعر من هذيل :

إِذَا جُنْتُ أَعْلَى ذِي طَوًى قِفْ وَنَادَهَا ۖ عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ يَارَبَّةَ الْخَدَرِ
هَلْ الْعَيْنُ رِيًّا مِنْكَ أَمْ أَنَا رَاجِعٌ بِهِمْ مَقِيمٌ لَا يَرِيمُ مِنَ الصَّدْرِ
وَقَالَ أَبُو خِرَاشٍ الْهَذَلَى :

وَقَتَلْتُ الرِّجَالَ بِذِي طَوَاءٍ ۖ وَهَدَمْتُ الْقَوَاعِدَ وَالْعُرُوشَا

ثم تخرج على الحجون ، وهذا اسمه الجاهلى ، ويعرف به الآن ، وقد ذكرته العرب في أشعارها ، وحسبك بيت الجرهمى الذى شاع وذاع وهو قوله :

كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَجُّونِ إِلَى الصَّفَا ۖ أُنَيْسٌ وَلَمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِ

ثم تتجه إلى جهة الشرق ، فإذا أنت اجتزت المعمور من وادى المعابدة فالتفت على يمينك لترى الطريق الواقع بين قصر صاحب السمو الملكى الأمير فيصل وطرف جبل الخندمة ، إذا انقطع فهناك خمسة مواضع متصل بعضها ببعض أول أسماؤها حرف الميم ، وهى : المنحنى ، والمحصب ،

وادى فنج
(الشهداء)

ذو طوى

الحجون

ومنى ، ومحسر ، والمزدلفة ، وكل أسماء هذه المواضع قديمة معروفة بها منذ العصر الجاهلى . قال
مليح الهذلى :

تحملن من خمّ وعرجن ساعةً على الواد بين المنحنى والمحصب
فذكر المنحنى والمحصب .
وقال كثير :

فلما قضينا من منى كلّ حاجةٍ ومسح بالأركان من هو مسح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطى الأباطح
وقال العرجى :

نلبثُ حولاً كاملاً كله ما نلتقى إلا على منهج
فى الحج إن حجت ، وماذا منى وأهله إن هى لم تحجج
وقال عمر بن أبى ربيعة :

يا صاحبي قفا نقض لبانةً وعلى الظمآن قبل بينكما اعرضا
ومقالها بالنعف نعف محسرٍ لفتاتها : هل تعرفين للعرضا ؟
هذا الذى أعطى موائق عهده حتى رضىت وقلت لى : لن ينقضا
وقال الفضل بن عباس بن عتبية اللهى :

أقول لأصحابى بسفح محسرٍ ألم يأن منكم للرحيل هبوب
فيتبعكم بادی الصباة عاشق له بعد نوم العاشقين نجيب
وقال ابن حجاج ذا كراً مزدلفة ، ولو وجدنا غيرها لما ذكرناها :

اسقنى بالرطل فى مزدلفة قهوة قد جاوزت حد الصفة
ودع الأخبار فى تحريمها تلك أخباره أنت مختلفه
يا أبا القاسم باكرنى بها لا تكن شيخاً قليل المعرفة
إنما الحج لمن حل منى ولن قد بات فى مزدلفه

ثم اسلك الطريق القاصد إلى نجد ، والتفت جهة شمالك ، ترّ الجبل الشاهق الذى كان يقال حراء
له فى الجاهلية « حراء » وتسميه العامة فى هذا العهد « جبل النور » ولكنه لا يزال مع ذلك معروفاً (جبل النور)
باسمه الجاهلى فى هذا العهد ، قال أبو طالب بن عبد المطلب :

ونور ومن أرسى ثبيراً مكانه وراق ليرقى فى حراء ونازل

وبالبيت حق البيت من بطن مكة وبالله إن الله ليس بغافل
وقال حسان بن ثابت يذكر وقعة بدر في قصيدة مطلعها :
عَرَفْتُ ديارَ زَيْنَبَ بالكُثيبِ كحُطِّ الوَحْيِ في الوَرَقِ القَشِيبِ
إلى أن قال :

بِمَا صَنَعَ الْمَلِيكَ غَدَاةَ بَدْرِ لَنَا فِي الْمَشْرِكِينَ مِنَ النَّصِيبِ
غَدَاةَ كَأَنَّ جَمْعَهُمْ حَرَاءَ بَدَتْ أَرْكَانُهُ جَنَسُ الْغُرُوبِ
فَلَا قِيَانَهُمْ مَنَا بِجَمْعٍ كَأَسَدِ الْغَابِ مُرْدَانٍ وَشَيْبِ
وادي المغس وفي أثناء سيرك في ذلك الطريق تمر على وادي « المغس » وهو باقٍ بهذا الاسم إلى هذا
العهد ؛ قال أمية بن أبي الصلت الثقفى :

إِنْ آيَاتِ رَبِّنَا ظَاهَرَتْ مَا يُتَمَارَى فِيهِنَّ إِلَّا الْكَفُورُ
حَبَسَ الْفِيلَ بِالْمَغْسِ حَتَّى ظَلَّ يَحْبُؤُ كَأَنَّهُ مَعْقُورُ
كُلُّ دِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا دِينَ الْخَنِيفَةِ بَورُ
وقال نفيل دليل أبرهة من الطائف إلى مكة :

أَلَا حَيْثُ عَنَّا يَارُدَيْنَا نَعْمَنَّاكَمَ مَعَ الْإِصْبَاحِ عَيْنَا
رُدَيْنَةَ لَوْ رَأَيْتَ وَلَن تَرِيهِ لَدَى جَنْبِ الْمَغْسِ مَا رَأَيْنَا
لَمَّا لَعَنْتَنِي وَرَضِيتَ أَمْرِي وَلَن تَأْسَى عَلَى مَفَاتِ بَيْنَا
حَدَّثَ اللَّهُ أَنْ أَبْصَرْتَ طَيْرًا وَخِفْتُ حَجَارَةً تَلْقَى عَلَيْنَا
وَكُلُّ الْقَوْمِ يَسْأَلُ عَنْ نَفِيلٍ كَأَنَّ عَلَى الْأَحْبَاشِ دِينَا

وقال ثعلبة بن غيلان الإيادي يذكر خروج إيادٍ من تهامة ، ونفى العرب إياها إلى أرض فارس :
تَحَنَّنْ إِلَى أَرْضِ الْمَغْسِ نَاقَتِي وَمِنْ دُونِهَا ظَهَرُ الْجَرِيبِ وَرَاكُسُ
بِهَا قَطَعْتَ عَنَّا الْوَدِيمَ نَسَاؤَنَا وَغَرَقْتَ الْأَبْنَاءَ فِينَا الْخَوَارِسُ
وهي قصيدة طويلة . والجريب وراكس قد مضى الكلام عليهما . والمغس يعرف بهذا

الاسم الجاهلي إلى هذا العهد .

وادي الشرائع فإذا جرت وادي المغس خرجت على « وادي الشرائع » وقد عمره في العهد الحاضر وكيلاً
وزارة المالية الشيخ حمد السليمان الحمدان وقبلت تربته جميع ما ألقى فيها من بذور .
واسم الشرائع اسم حديث ، وزعم بعض المعاصرين أنها حُتِنِ المشهورة في التاريخ الإسلامي

والتي ذكرها الله تعالى بقوله (وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ) وأن تلك العيون هي عيون حنين ، وأنا أقول : إن وادي حنين ليس فيه عيون ، ولو كان فيه شيء من ذلك لما أغفله أصحاب السير ، والصحيح أن حنيناً هو الوادي الذي يُحاذي الشرائع على يمين الذهاب من مكة إلى الطائف ، يبعد عن الشرائع إلى جنوبيه بمسافة ثلاثة آلاف متر ، نذكر هذا التحديد مستندياً إلى قول صحيح ذكره ابن هشام في سيرته عند ذكر معركة حنين ، قال ابن هشام : ولما نزل المشركون بأوطاس قال دريد بن الصمة ، وكان مع هوازن ، وهو شيخ كبير : بأى وادٍ أنتم ؟ قالوا : بأوطاس ، قال : أنزلوا ، نعم بحال الخليل ، لا حزن ضرر ، ولا سهل دهس ، فكانت المعركة فيه ، وهو باقٍ بهذا الاسم إلى الآن ، وامتدت المعركة إلى قرب أميال الحرم ، ثم أنهزمت هوازن وامتدت المعركة إلى ما يقارب « الزيمة » .

وأهل السير قالوا في ذكر منزلهم : فنزلوا الشعب من حنين ، وتأخذ من ذلك أنهم نزلوا في وادٍ وتبين لنا من قصة دريد أن ذلك الوادي هو أوطاس ، وليس يبعد أن الشعب يقال له أوطاس ، والوادي يقال له حنين ؛ لأن في شعب أوطاس آثاراً آبارٍ قديمة ، قال الشاعر في ذكر أوطاس :

يَا دَارُ أَقْوَتْ بِأَوْطَاسٍ وَغَيْرِهَا من بعد ما هولها الأمطار والمور
كَمْ ذَا أَهْلَكَ مِنْ دَهْرٍ وَمِنْ حِجَجٍ وَأَيْنَ حَلَّ الدَّمَى وَالْكُنْسُ الحور
رُدِّيَ الجَوَابَ عَلَى حَرَّانٍ مَكْتَسِبٍ شَهَادَهُ مَظْلُوقٌ ، والنَوْمُ مَأْسُور
فَلَمْ تُبَيِّنْ لَنَا الْأَطْلَالَ مِنْ خَيْرٍ وَقَدْ تُجَلَّى الْعِمَائِ الْأَخَايِيرُ
وأوطاس : من أودية بني سعد ، قال أبو وجزة السعدي :

يَا صَاحِبِي انْظُرَا هَلْ تَوْسَانِ لَنَا بَيْنَ الْعَقِيقِ وَأَوْطَاسٍ بِأَحْدَاجٍ ؟

وفي أعراب تهامة مَنْ يُسَمَّى الوادي الجاور للشرائع من جهة اليمن بحنين إلى هذا اليوم ، قال شاعر من بني نصر^(١) :

نَصَرُوا نَبِيَهُمْ وَشَدُّوا أَرْزَهُ بِحُنَيْنَ يَوْمَ تَوَاكُلَ الْأَبْطَالُ
وَقَالَ خَدِيجُ بْنُ الْعُجَّاءِ النَّصْرِيُّ ، وهو مع القوم المهزومين ، وهم هوازن بنو نصر بن معاوية :
وَلَمَّا دَوَّانَا مِنْ حُنَيْنٍ وَمَائِهِ رَأَيْنَا سَوَاداً مِنْكَرَ اللَّوْنِ أَخْضَفَا
بِمُؤَمَّةٍ تَحْمِيَاءُ لَوْ قَذَفَتْ بِهَا شِمَارِيحُ مِنْ عُرُوقِ إِذَا عَادَ صَفْصَفَا
وَلَوْ أَنَّ قَوْمِي طَاوَعَتْنِي سَرَاتُهُمْ إِذَا مَا لَقِينَا الْعَارِضَ الْمُتَكَشِّفَا
إِذَا مَا لَقِينَا جُنْدَ آلِ مُحَمَّدٍ ثَمَانِينَ أَلْفًا وَاسْتَمَدُوا بِخُنْدَفَا

ثم جز وادى الشرائع ، وأنت على جادة الطريق ، فإذا انعرج بك الطريق فانظر صوب
يمينك تروادياً في أعلاه ثنية يخرج سالكها إلى برية الطائف وجباله ، وهذا الطريق سلكته
هوازن المنهزمة من حنين ، والأثقال سارت على طريق أزيمة ، وذكروا أن دريد بن الصمة
ومن معه لما قربوا من أزيمة خرج من ثنية « يدعان » فارسان من بني سليم ، فقتلا دريد بن
الصمة هناك ، وإذا كنت في ذلك الطريق ورأيت أزيمة على شمالك فإنك ترى ثنية يدعان ،
وهي الطريق المشهور للابل ، واسمه الجاهلي بالياء ، ويقال له في هذا العهد « جدعان » بقلب
الياء جيا ، وهو بسبب من فصيح العربية على ما ذكرنا في تعليق سابق .

يدعان

ثم اهبط وادى « أزيمة » وهو أول وادى نخلة ، وهو الذى يقول فيه الشاعر المعاصر محمد بن
إبراهيم بن قرنة :

وادى أزيمة

مررتى في بلاد نخلة في الصبي — ف بأكناف سولة وأزيمة

وسولة : معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد لم تتغير ، وأزيمة زادتها الألسن لاما فتقول « لزيمة »
وقد سألت هذيلاً عن الجبلين الشاهقين المناوحين لقرية الشرائع فقالوا : إن الذى على يمينك يقال
مسعود ولبن له « لبن » والذى على شمالك يقال له « مسعود » فأما مسعود فليس له اسم جاهلي ، وأما لبن فقد
كان يعرف في الجاهلية بهذا الاسم ، قال في معجم البلدان : لبن جبل من جبال هذيل بتهامة ،
قال مسلم بن معبد :

سولة

جلاد مثل جندل لبن فيها — خبور مثل ما حسف الحساء

وقال الأصمعي : لبن الأعلى ولبن الأسفل في بلاد هذيل

وقبل أن تصل إلى « لزيمة » ترى جبالا يقال لها « ردوم لزيمة » وهي التي تعرف في
التاريخ بقبر أبي رغال ، وأقرب ما يكون لتلك المواضع موضع يقال له « ردام » وذكروا أنه بالحجاز
قال قيس بن الحنّان الجبني :

قبر أبي رغال

أفاخرة على بنو سليم — إذا حلوا الشربة أورداما

وكنت مسوداً فينا حميداً — وقد لا تعدم الحساء ذاما

أما الشربة فهي بعيد عن الحجاز ، وأما ردام فقالوا : إنه جبل بالحجاز

فإذا اتجهت من قرية « لزيمة » قاصداً السيل رأيت على يمينك جبالا يقال لها « صلب »
ولم أجد لها ذكراً ، ولكنهم يذكرون الصلب الواقع في جهة الصمان ، وسيأتى الكلام عليه .
ثم تنجه إلى جهة السيل فتري جهة يمينك جبالا يقال لها « المحاصيل » تعرف اليوم بهذا

صلب

المحاصيل

الاسم ، وكانت تعرف في العهد الجاهلي بالحيصر ، قال جرير :

بين الحيصر فالعَرَاف منزلة كالوَحْي من عهد موسى في القراطيس

العَرَاف : موضع معروف بين نخلة الشامية والمدينة ، لكن هذا الشاهد ليس بالقوى ؛ لأن قائله ليس هُذَلِيًّا ، ولكنه تيمى ، ويظهر لى أن العَرَاف هو الواقع في بلد الحرج ، وفي جبال الخاصير مواضع يقال لها « رويكات السرف » فأما سرف الذى تضاف تلك الرويعات إليه فهو اسمه الجاهلى ، وهو باق عليه إلى هذا العهد ، قال عبيد الله بن قيس الرقيات :

لَمْ تَكَلِّمْ بِالْجَلْهَيْنِ الرُّسُومُ حَدَثٌ عَهْدُ أَهْلِهَا أَمْ قَدِيمُ
سَرْفٌ مَنْزِلٌ لِسَلْمَةٍ فَالظَّهْرَانِ مِنْهَا مَنَازِلُ فَالْقَصِيمُ

هذا الموضع الذى ذكره عبيد الله بن قيس الرقيات هو الموضع المجاور لوادى نخلة اليمانية التى تضاف إليه رويكات السرف ؛ لأنه قرنه بالظهران ، وسيول تلك الجهة تصب في مر الظهران الذى يقال له في هذا العهد وادى فاطمة .

ثم تتجه إلى جهة السيل فيبدو لك جبل « غراب » فتركه على يمينك ، وهذا اسمه الجاهلى ، قال ابن هشام في غزاة النبي صلى الله عليه وسلم لبني لحيان : خرج من المدينة فسلك على غراب . قال المصنف : أما بنو لحيان فهم قريب من هذا الجبل ، وأما المدينة فبعيدة منه . قال معن بن أوس المزنى :

تَأْبُدُ لِأَيِّ مِنْهُمْ فَعَقَائِدُهُ قَدْ ذُو سَلَمُ أَنْشَاجُهُ فِسْوَاعُهُ
فَمَنْدَفَعُ الْغُلَانِ مِنْ جَنْبِ مَنْشَدٍ فَنَعَفُ غَرَابُ خَطْبُهُ فَاسَاوَدُهُ

وتمر على يمينك وأنت مُتَّجِهَةٌ إِلَى السَّيْلِ فَتَرَى جَبَالًا وَأَوْدِيَةً يُقَالُ لَهَا الْيَوْمَ « الظَّبْيَانِ » وَكَانَ اسْمُهَا الْجَاهِلِيُّ « الظَّبَاءِ » قَالَ فِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ : قَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ حَازِمٍ : الظَّبَاءُ - بَضْمُ الظَّاءِ - وَادٍ بِتِهَامَةٍ ، ثُمَّ اسْتَشْهَدَ بِقَوْلِ أَبِي ذُوَيْبٍ الْهَذَلِيِّ - وَهَذَا الْمَوْضِعُ مِنْ بِلَادِهِ - قَالَ أَبُو ذُوَيْبٍ : عَرَفْتُ الدِّيَارَ لِأُمِّ الدَّهْيِ نَ بَيْنَ الظَّبَاءِ فَوَادِي عَشْرٍ
فَهَذَا شَاهِدٌ قَوِيٌّ عَلَى هَذَا الْمَوْضِعِ .

ثم تتجه إلى جهة السَّيْلِ فَتَرَى عَلَى يَمِينِكَ جَبَالًا يُقَالُ لَهَا الْيَوْمَ « ضَهَايَا » وَاسْمُهَا الْجَاهِلِيُّ « ضَهَاءُ » قَالَ سَاعِدَةُ بْنُ جُوَيْةٍ الْهَذَلِيُّ يَرِثُ ابْنَاهُ هَلَاكَ بِهَذِهِ الْجِبَالِ :

لَعَمْرُكَ مَا بَانَ ذُو ضَهَاءٍ بِيَهَيْنِ عَلَى ، وَمَا أُعْطِيَتْهُ سَيْبٌ نَائِلِي

وهذا الشاعر الهذلي أضاف ابنه إلى ضياء لأنه دُفِن فيه ، وقال أُمَيَّة بن أبي عائذ الهذلي أيضا :

لمن الديار بَعَلَى فالأخراص فالسودتين فجمع الأَبْوَاص
فضياء أظلم فالنطوف فصائف فالمر فالبرقات فالأنحاص
استدللنا على تلك الجبال بأشعار أهلها هذيل .

جبل مبارى وترى وأنت متجه إلى السَّيْلِ جبلا يقال له « مبارى » وأهل نجد يسمونه « مناحى » ولا أعرف موضعاً جاهلياً يعرف بواحد من هذين الاسمين ، بل أعرف جبلا من جبال نخلة الليمانية يقال له « مبعوق » وأستدل على ذلك بقول أبي صخر الهذلي الشاعر المشهور ، والعداء المعروف ، حين قال :

إن المني بعدما استيقظت وانصرفتُ ودارها بَيْنَ مبعوق وأجباد
ثم تسلك الطريق إلى السَّيْلِ ، وتلتفت صَوْبَ يمينك فترى جبل « الوقبة » وبه شعب
ماء وقت الرِّبيع ، والسكنى لا أعرف الاسم الذي كان يطلق عليه في الجاهلية
وترى وأنت متجه في طريقك جبلاً يقال له « مهير » وهو اسمه من العهد الجاهلي إلى اليوم ،
وفيه يقول ساعدة بن جؤيَّة الهذلي يصف سحاباً :

مزن مسف كجبال النير أروى حيناً وذرى مهير
ثم تمر على جبل « حفايل » وهو واقع على يمينك ، وبه ماء ، وهذا اسمه اليوم وفي الجاهلية
لم يتغير . قال أبو ذؤيب الهذلي :

تأبط نَعْلَيْهِ وشقا مريرة وقال : أليس الناسُ دون حَفَايِل
ثم تمر على جبل « الأنسومين » وهكذا يسميها أهل نجد اليوم ، فأما قدامى العرب فقد
كانوا يسمونها عند الثانية « يسومين » ، وإن أفرد أحدهما قيل له « يسوم » قال شاعر من هذيل :
* حلفت بمن أرسى يسوم مكانه *
الأنسومين

فذكر أحدهما مفرداً في الشطر المذكور من البيت ، وقالت ليلي الأخيلية :

لا تغزُون الدهرَ آل مطرف لا ظالماً أبداً ولا مظلوما
قومٌ رباط الخليل وسطَّ بيوتهم وأسنة زُرْقٌ يَحُلْنَ نجومًا
إن تستطيع بأن تحوّل عزّم حتى تحول ذا المضاب يسوماً

وقال شاعر هذلي :

سمعت وأصحابي نَحْتُ رُكَابَهُمْ بنا بين ركن من يَسُومَ وفرد
قتلت لأصحابي : قفوا لا أبأ لكم صُدُورَ المطايا إن ذا صوتٌ مَعْبَدٌ

هذه الشواهد على أفراد أحدهما ، وقال راجز من هذيل في تنثيتهما بهذا الاسم :
ياناقُ سيري قد بدأ يسومان واطريهما يبدو أقنانُ غزوان

ثم تلتفت ناحية يمينك وأنت متجه إلى السيل فترى جبل « هلال » بضم الهاء ، قال في معجم جبل هلال البلدان^(١) : هو بضم الهاء وآخره لام - هَلَال : عَلم مرتجل ، ثم قال : وبه شعب يحيى من السَّراة من ناحية يَسُوم . هذه رواية صاحب معجم البلدان ، وهذا اسمه الجاهلي ، وهو قريب من جبل يَسُوم . ثم تسير فتجد الشعب الأحمر على يمينك ، ولم أجد لهذا الجبل ذكراً في كتب اللغة . ثم تمر على جبل الكفو وأنت متجه إلى السيل ، وبه وادٍ تَصُبُّ منه سيول وادي الحرم ، وهذا اسمه جبل الكفو القديم ، ذكره الرداعي الذي رسم الطريق من صنعاء إلى مكة في أرجوزة له حين قال :

توارك للكفو واليسوم قواصداً للمسجد المعلوم

لضيعة الطلحى مستقيمة صادرة منها تؤمُّ زيمه

ثم على سبوحة القديمة

ذكر هذه الأرجوزة ألهمداني في كتابه « صفة جزيرة العرب » وفي هذه الأبيات فوائد فإنه ذكر فيها الكفو ، و يسوم ، وضبعة الطلحى ، وهى المزارع التى تصلها قبل أزيمة إذا قصدت مكة ، وذكر أزيمة ، وذكر سبوحة ، وسبوحة هى المزارع التى تمر عليها إذا كنت قاصداً مكة سبوحة بعد خروجك من أزيمة .

ثم تطلع على ضلع البنت ، وهو جبل على يمينك ، ولم أعثر على هذا الاسم بين الأسماء الجاهلية ضلع البنت فلعنه يسمى اليوم باسم غير اسمه القديم .

ثم تمر وأنت قاصد السَّيْل فتجد جبل « عقل » عن يمينك ، وهذا اسمه الجاهلي ، ولا يزال جبل عقل يعرف به إلى الآن لم يتغير ، قال شاعر جاهلي من أهل تلك الناحية :

قتلت بهم بنى ليث بن بكرٍ بقتلى أهل ذى حزنٍ وعقل

ثم تمر على جبل كتف ، وهذا اسمه اليوم ، ولم أجد له ذكراً في أمهات المعاجم القديمة ، جبل كتف فاعلمهم أغفلوه لأنهم لم يرووا فيه شعراً ، أو لعلمهم كانوا يسمونه أسماً آخر .

هذه الجبال التى تمر بها عن يمينك من « أزيمة » إلى « بهيتة » وأما التى تكون عن شمالك

جبل الأبرة فتنها جبل « الأبرة » وهو المَطْلُ على بلاد القناوية ، وهناك جبلان قريبان منه ، مُطْلَانٌ على قرية أبام وأبيم أزيمة ، يقال لأحدهما « أبام » وللآخر « أبيم » قال شاعر من أهل تلك الناحية :

وإن الذى بالشعب بين أبيم وبين أبام شُعبَةٌ من فؤاديا
وقال ساعدة بن جؤية الهذلى غير أنه أسقط الهمة :

تَحْمَلُنْ أَطْعَانِ الْأَحْبَةِ بِالضَّحَى على إثرها أغنامها ورعاتها
سلكن نقاباً بين بام وبيم ولا وقفت قبل الأصيل خُدَاتِهَا

جبل المسعودية فإذا تركت خلفك باماً وبيماً متجهاً إلى جهة السَّيْلِ على شمالك مررت بجبل المسعودية وجبل
وجبل العوصاء العوصاء ، فأما العوصاء فهذا اسمها في هذا العهد ، وهو اسمها في الجاهلية أيضاً ، وفي أخبار بني صاهلة :
كانت إبل عمرو بن قيس الهذلى هاملة بشعب من شعاب العوصاء ، ولها قصة طويلة ، وأوردوا في
آخر القصة قول عمرو بن قيس الهذلى :

أصابك ليلة العوصاء عمداً بسهم الليل ساعدة بن عمرو

جبال مرخة ثم تتجه إلى جهة السيل فتأتيك جبال « مرخة » السفلى ، ثم جبال « مرخة » الوسطى ،
ثم جبال « مرخة » العليا . وهذه أسماءها في هذا العهد ، وهى أسماءها في الجاهلية أيضاً . قال
صاحب معجم البلدان ^(١) : المرختان موضع في أخبار هذيل وأشعارها ، خرج منها عمرو بن خويلد
الهذلى فى نفر من قومه يريدون بنى عضل ، وهم بالمرخة القُصُوصى اليمانية ، حتى قدم أهلاً له من
بنى قريم بن صاهلة ، وهم بالمرخة الشاميّة ، فهذا دليل على أن هناك أسماء قديمة لتلك المواضع ،
وفى مرخة الوسطى جبل يقال له « البراق » وهذا اسمه الجاهلى ، قال حميد :

أرَبَّتْ رياح الأخرجين عليهما ومستجلب من ذى البراق غريب

جبل العمود وبين المرخة الوسطى والعليا جبل « العمود » ويعرف بهذا الاسم فى يومنا هذا ، وهو اسمه
القديم أيضاً ، ذكره صاحب معجم البلدان .

جبال عشر وعلى شمالك وأنت متجه إلى السيل جبال يقال لها « جبال عشر » وهذا اسمها فى هذا العهد ،
وهو اسمها القديم الجاهلى أيضاً ، قال فى معجم البلدان ^(٢) : وعُشْرُ شعب لهذيل ، يصب من داءة ،
ينحجز بين نخلتين ، قل أبو ذؤيب الهذلى :

عرفتُ الديار لأم الدهيسن بين الظباء قَوَادِي عُسْرٍ

« ١ » معجم البلدان ١٩ / ٨

« ٢ » معجم البلدان ١٧٩ / ٦

وفي تلك الجبال جبل يقال له « خيشان » في هذا العهد ، واسمه القديم خيش ، قال عمر جبل خيشان ابن أبي ربيعة :

تَرَكَوا خَيْشًا عَلَى أَيْمَانِهِمْ وَيَسُومًا عَنْ يَسَارِ الْمُنَجِدِ

قال في معجم البلدان عن نصر : خيش جبل بنخلة ، يُذْكَرُ مع يسوم .

ثم تجوز الأنسومين اللذين كان يقال لهما في الجاهلية « يسومان » فتجد على شمالك جبل « قردد » وهذا اسمه اليوم ، وهو اسمه الجاهلي أيضاً ، وقد أكثر الشعراء من ذكره ، وأورد منها أحسن شاهد ، قال مالك بن نط الهمداني لما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد همدان وأسلم وكتب له كتاباً ، قال :

حلفت برب الراقصات إلى مَنَى صَوَادِرَ بِالزُّكْبَانِ مِنْ هَضْبِ قَرْدَدِ

بأنَّ رسولَ اللهَ فينا مُصَدِّقَ رسولِ آتَى مِنْ عِنْدِ ذِي الْعَرْشِ مُهْتَدِ

فما حملت من ناقةٍ فوق رَحْلِهَا أَبْرَ وَأَوْفَى ذِمَّةً مِنْ مُحَمَّدِ

وَأَعْطَى إِذَا مَا طَالِبُ الْعُرْفِ جَاءَهُ وَأَمْضَى بِحَدِّ الْمَشْرِقِ الْمُهْتَدِ

تم تسير في طريقك جاعلاً عن شمالك جبل « حبين » وهذا اسمه اليوم ، وهو اسمه الجاهلي جبل حبين أيضاً ، قال رافع الهذلي :

وَنَحْنُ أَخَذْنَا ثَأْرَ عَمِكَ بَعْدَ مَا قَتَلْنَاهُمْ بِالْهَضْبِ هَضْبَ حَبِينِ

وهناك مواضع أسماؤها تقارب هذا الاسم ، وكلها واقعة في اليمن ، وهي : حبون ، وحبون ، وحبياً . والباقي منها بهذا الاسم في جهة اليمن على ما أعرف : حبونا ، وحبية .

ثم تتجه إلى السَّيْل ، وعلى شمالك جبل يقال له « ضمية » ضمية العرقوب ، أما ضمية فهذا اسمه اليوم ، واسمه الجاهلي الضمياً ، وإليك عبارة صاحب معجم ^(١) البلدان : قال أبو منصور : الضَّمِيَّةُ شعبان قبالة عُسْرٍ من شق نخلة ، وبينها وبين يسوم جبل يقال له المرقبة ، قلت : وظنى أن هذا هو جبل العرقوب . وهو آخر جبال نخلة اليمانية المذكورة في أشعار الجاهلية ، ولم نستقص الجبال التي لم يورد لها ذكر .

فإذا جُرَتْ وادى نخلة طلعت على وادى قرن ، وهو وادى السَّيْل ، وهو ميقاتُ أهل نجد ، قرن المنازل يقال له « قرن المنازل » ويقال له « قرن الثعالب » بسكون الراء ، وهو الذي يقول فيه عمر ابن أبي ربيعة :

ألم تسأل الرّبع أن ينطقا بقرن المنازل أن يخلقنا

وهو معروف عند جميع الناس بقرن المنازل ، وتعرفه العامة بوادى السيل ، وأما وادى قرن الذى فى أعلاه فهو ميقات أهل اليمن ، وميقات الطائف ، وهو الذى يقول فيه الشاعر :
لا تعمرن على قرن وليلته لا إن رضيت ولا إن كنت مغتضباً
هذا شاعر مرّ على رجل من قريش بنى داراً بقرن ، وبنى عندها مسجداً ، فقال قصيدة منها هذا البيت الذى ذكرناه .

قال كاتب هذه السطور : كنت فى قرن المنازل يوماً مع فضيلة الشيخ عبد الله السنيان البليهد - رحمه الله ! - ونحن جلوس على حجر فى ضفة وادى قرن مما يلي الغرب ، فالتفت عن يمينه ونحن متوجهون إلى القبلة ثم قال : أنظر هذا الجبل الأحمر ، هذا هو قرن الذى سمي الوادى به أقول : وهذا الوادى مطّل عليه ثلاثة أنقاب كانت تسمى فى الجاهلية « المناقب » يسميها الناس فى هذا العهد « الريعان » أما منقبة الأولى فهى تخرج إلى الطائف ، وتمر على قران وادى وجيالات فى جهة السيل الصغير ، لا تزال باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهى التى يقول فيها الرداعى اليماني لما رسم طريق مكة من صنعاء ، وهى أرجوزة طويلة :

المناقب

وخلفت قران^(١) للمناقب وشرباً فى جنح ليل واقب

المنقبة الثانية هى التى تسمى اليوم « ريع الصهلوج » ينفذ إلى ماء القرشية وسامودة والمبعوث وتلك النواحي .

المنقبة الثالثة الريع السالك إلى نجد ، المفضى إلى عشيرة ، قال صاحب معجم البلدان^(٢) :
المناقب جمع منقب ، وهو موضع النقب ، وهو اسم جبل معترض حول قرن المنازل . قالوا : وسمى بذلك لأن فيه ثناباً وطرقاً إلى اليمن وإلى اليمامة وإلى أعلى نجد وإلى الطائف ، وفيه ثلاث مناقب وهى : العقاب ، مفردتها عَقَبَة ، يقال لأحدها : الزلالة ، والأخرى فَبَرَيْن ، والثالثة البيضاء ، قال أبو جُرَيْة عابد بن جويه النصرى :

ألا أيها الركب المحبون هل لكم بأهل العقيق والمناقب من علم ؟
فقالوا : أعن أهل العقيق سألنا أولي الخيل والأنعام والجلس الفخم ؟
فقلت : بلى إن الفؤاد يهيجُه تذكّر أوطان الأحبة والخدم

(١) قد حددناه تحديداً شافياً فى آخر كتابنا هذا عند كلامنا على عكاظ ، وهو باق بهذا الاسم

إلى هذا العهد . (المؤلف) (٢) معجم البلدان ٨/١٦٦

ففاضت لنا قالوا من العين عبّرة
ومن مثل ما قالوا جرّى دَمْعُ ذِي الْحِمْلِ
فَطَلْتُ كَثْفِي شَارِبٌ بِمُدَامَةٍ
عَقَارَتَمْشَى فِي الْمَفَاصِلِ وَاللَّحْمِ
وقال عوف بن عبد الله النصرى :

وَحَذَلْتُ قَوْمِي حَضْرَمِيِّ بْنِ عَامِرٍ
وَأَمَرَ الَّذِي أَسْدَى إِلَيْهِ الرِّغَابِ
نَهَاراً وَإِدْلَاجَ الظَّلَامِ كَأَنَّهُ
أَبُو مَدْلَجٍ حَتَّى يَحُلُّوا الْمُنَاقِبَا
وقال أبو جندل الهذلي أخو أبي خراش :

أَقُولُ لَأُمِّ زُبَاعٍ : أَقِيمِي
صَدُورَ الْعَيْسِ شَطْرَ بَنِي تَيْمٍ
وَعَرَبْتُ الدَّعَاءَ ، وَأَيْنَ مِنِّي
أَنَاسٌ بَيْنَ مَرٍّ وَذِي يَدُومٍ
وَحَيٌّ بِالْمُنَاقِبِ قَدْ حَمَوْهَا
لَدَى قِرَانٍ حَتَّى بَطْنِ ضَيْمٍ

ثم اسلك الريع للطريق العام السالك إلى نجد ، فإذا علوت تلك الجبال المرتفعة قبل أن
تصل إلى عشيرة فارتفع بصرك ترأس الطرّة كأنها قطعة من النعيم ، حرّة سوداء تقع في الجهة
الشمالية من ماء عشيرة ، وهذا اسمها الجاهلي ، وهي باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد ، قال الفرزدق :
فِي جَعْفَلٍ لَحَبٍ كَانَ زَهَاءَهُ
جَبَلُ الطَّرَاةِ مُضْغَضُ الْعُمَالِ
وقال تميم بن مقبل يصف سحاباً :

فَمَسَى يَحْطُ الْمَعْصَمَاتِ حَبِيَّهَ
وَأَصْبَحَ زِيَّافِ النَّمَامَةِ أَقْرَا
كَأَنَّ بِهِ بَيْنَ الطَّرَاةِ وَرَاهِقٍ
وَنَاصِفَةِ السُّوْبَانِ غَابِغاً مَسْعَرَا

فإذا رأيت آثار عشيرة وقصر البزيرين فالتفت على شمالك تر « بس » حرّة سوداء ، تراها وأنت
منحدر إلى الماء متجه إلى وادي العقيق ، ولا تزال معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد ، قال عباس
ابن مرداس الشلمي في يوم حنين :

هَزَمْنَا الْجَمْعَ جَمْعَ بَنِي قَسِيٍّ
وَحَكَّتْ يَرْكُهَا بَنِي رَثَابٍ
رَكَضْنَا الْخَلِيلَ فِيهِمْ بَيْنَ بَسٍ
إِلَى الْأُورَالِ تَنْحَطُّ بِالْهَبَابِ
بَذَى جُبِّ رَسُولِ اللَّهِ فِيهِمْ
كَتَيْبَتُهُ تُعْرَضُ لِلضَّرَابِ

وقال العاهان :

بَنُونَ وَهْجَةٍ كَأَشَاءِ بَسٍ
صَفَايَا كَنَفَةِ الْآبَارِ كُومِ

وقال رجل من بني سعد بن بكر :

أَبَتْ صَحْفَ الْقَرْبِيِّ أَنْ تَقْرُبَ اللَّوْىَ
وَأَجْرَاعِ بَسٍ وَهِيَ عَمَّ خَصِيْبَهَا

أرى إلى بعد اشتات ورتعة ترجع سجعاً آخر الليل نبيها
وأن تهبط من أرض مصر لغائط لها بهرة بيضاء رباً قلبها
وأن تسمع صوت المكّاكي بالضجى بغناء من نجد يساميك طيها
وقال الحصين بن الحمام المرى :

فإن دباركم بمنسوب بس إلى ثقف إلى ذات العضوم
فإذا خرجت من عشيرة سالكا طريق نجد وسرت نصف ساعة في السيارة فالتفت صوب
رأس بيسان شمالك ترأس بيسان كأنه جبل عظيم ، فإذا وصلته وأنت قاصده وجدته حزمًا أسود ليس بالسكبير
وهذا اسمه الجاهلي ، وكانت به وقعة لبني قشير على بني أسد ، قال دريد بن الصمة :
رَدَدْنَا الحى من أسدٍ بضربٍ وطعن يترك الأبطال زورا
تركنا منهم سبعين صرعى بيسان وأبرأنا الصدورا
وتلك المواضع كانت تشابه اللصوص من عهد قديم إلى قرب منتصف القرن الرابع عشر
الهجرى ، وحينما تولّى جلالة الملك الحجاز انقطع دابر اللصوص من تلك النواحي ، وكان من
عادتهم أنهم يسرقون الحاج عند دخولهم مكة وعند خروجهم منها ، وخذ هذه الأبيات لسليمان
ابن عياش ، وكان لصاً :

تقر لعيني أن ترى بين عصابة عراقية قد جز عنها كتابها
وأن أسمع الطرّاق ينقون رفقة نخيمة بالنسي ضاعت ركبها
أتيح لها بالصحن بين عنيزة وبيسان أطلّاس جرود ثيابها
ذئاب تعاوت من سليم وعامر وعبس وما يلقى هناك ذئابها
ألا بأبي أهل العراق وريحهم إذا قتشت بعد اطراد ثيابها

هذا اللص أتاه السرور من جهتين : الجهة الأولى : أن الحجاج المحيمين بالنسي ضاعت ركبهم
ويمكنهم أن يتداعوا لنهبهم من كل ناحية كما قال في شعره :

ذئاب تداعت من سليم وعامر وعبس وما يلقى هناك ذئابها

الجهة الثانية : أنهم إذا فتحوا العياب بعد أخذها وجدوا الثياب العراقية والأطياب العراقية
وهذا الموضع الذى يقال له « السى » هو القطعة الواقعة بين منهل مران ومنهل المحدث ، قال
في معجم البلدان لما ذكر السى : هو علم لفلاة على جادة البصرة إلى مكة ، يأوى إليها اللصوص
وهو فى القطعة الشمالية من ركة ، وهو فى القسم الذى يسمى وجرة ، قال جرير :

إذا ماجملت الشئ بينى وبينها وحره ليلى والعقيق اليمانيا
دَعَوْتُ إلى ذى العرش ربَّ محمد ليجمع شعباً أو يقرب نائياً
واللصوص تجتمع فى تلك الناحية لا تتظار الحاج ؛ لأن هذه الأرض هى المآخِمة لريعان مكة
وبها يقرب الحاج ، وأما الأرض النائية فهى تتسع على اللصوص ويمكن أن يخطئ اللص الحاج فيها ،
واللصوص تفضّل حواج العراق على غيرها ، أو حواج عمان ؛ لأن فى حجاج البلاد النائية غرة ولا
يحسنون الاحتفاظ من اللصوص ، وأما حجاج البلاد القريبة فهم يحتفظون من اللصوص أى احتفاظ
ويحرصون منزلهم من أول الليل إلى آخره .

وفى أواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر كان ثمة جماعة من اللصوص البارعين
كانوا أجراً من جَحْدَر وعيره من الذين لهم ذكر ، وأكثر لصوص تلك الناحية من قبيلة الشيايين ،
ذكروا أن شويعى الشيبانى فى أواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر للهجرة كان من
اللصوص البارعين فى اللصوصية والفتك واستلاب الأموال ، وذكروا أن حرس حاج العراق
أمسكه مرة ، والباشا المحافظ على الحاج يقال له « عثمان » فأسروا شويعى ، ورحلوا به إلى عرفة
أسيراً ، وكان من العدائين ، وقد جمعوا يديه إلى ظهره وربطوها بحبل ، وجآلتهم من هذيل وبنى
سفيان ، وبيناهم يسيرون فى عرفة إذ هرب ، فركبوا الخيل على أثره فقاتهم عَدُوًّا ودخل جبلاً
من جبال عرفة ، فقال عند ذلك قصيدة نبطية منها :

حمدت اللى وقافى من هذيل ومن بنى سفيان مربة أيدىنى بالحبال وطلق رجلىه
بعد صكوا على الجيش الأدهم بشروا عثمان كسى إلى بشروه دفاف والحقهم راياله
رمونى رمية منها العطب وأنا ولد شيبان ونجاني ولي العرش ما جا فى أمارية
وخلونى ورا ضلع القرين ومن تحت نعمان وطراهم ذبحنى لاشك ربي مارضى فيه
كثى مقطع العانى واعينه واشبع الجيعان بحقى دون وجهى واجب تنعيم عانيه
وانا مالى بعارين ولا معزى ولا لى ضان يقع ما حصلت يمانى فى وسط الحراميه
ثم أخذ هذا اللص مرة ثانية ، فأسر وقطعت يده ، فتأثرت قبيلة عتيبة القاطنة فى نواحي
الحجاز ، فقالت مرسى العطاوية الشاعرة قصيدة نبطية منها :

شويعى معرفه مار ذكره يحبنى جلعنك ما تستاهل القطع يمانه
ياما قطع من راس كبش سمين وله دلة دايم على النار مراكه
ومن اللصوص المعروفين شنبر بن كاحل ، من الشيايين أيضاً ، من قبيلة ذوى خليفة ، وهو
(٢٠ - صحيح الأخبار ٢)

لص محنك ، قال لى بعض أصحابه من الحاضرة ممن يستعمل طريق مكة للتجسار و يأخذ شنبرا «رققا» عن قبيلته عتيبة ، إذا ورد الحضرى صاحب شنبرماء سجا وجد شنبرا فى انتظاره ، قال لى : فإذا دخلت مكة غاب فلم أره ، فإذا قرب رحيلى أتانى وواعدنى منهل البرود الواقع فى وادى المغمس النافذ على طريق جدعان ، فإذا أتانى كان معه أربعة جمال أو خمسة أو ثلاثة مؤفّرة من الأرز وغيره من المواد الغذائية ، قال كاتب هذه السطور : حججت سنة ١٣٣٢ وحينما دخلنا أول ركبة ونحن نحرس ، ولا يمضى علينا ليلة إلا وقد طردنا فيها اللصوص نحن ثلاث مرات أو أربع ، إلى أن دخلنا الريع ووصلنا الأرضين المحفوظة بضمانة أهلها ، ويقال لها المدارك : مدرك بنى فلان ، ومدرك بنى فلان ، فلما انقضى الحج تأخر حاجٌ مدينة شقرا ، وعزمنا نحن على الخروج من مكة ، فتواعدنا منهل البرود ، فلما اجتمعنا عليه جميع أهل قرى الوشم وأهل الشعراء والدوادمى مشى بعضنا إلى بعض ، وبحثنا فى مسألة الخوى الذى من عتيبة تربط به العاني حتى نصل بلادنا ، فقال بعضنا لبعض : كل خبرة معها عتيبى وتربط عانيها به ، فلا تعلم الأعراب أن ليس معكم أحد ، فنفّذنا هذه الرغبة ، وكان الذى معى من عتيبة هزاع أبو ننية من قبيلة الروسان ، وليس له قبيلة حجازية وعندى شك فى أنه يستطيع أن يمنعنا فصرحت له ، فقال : لا تخف ، سلم قبيلتى سامشى عليه ، ولو أنى رجل واحد ، وكان شنبر اللص الذى مر ذكره مع صاحبه عبد الكريم الخراشى من أهل أشيقر ، وأنا أرغب أن أعلق عانينا عليه ، وهو مع رفقائه أهل بلد أشيقر يبلغ عددهم ثمانين رجلا وإلهم يبلغ عددها مائتين تقريبا ، وكان رؤساؤهم يركبون الركاب نحو عشر من الهجن ، وشنبر ورفقاؤه مع الحملة ، فإذا جاء آخر الليل عملوا خبزا من الثريد وقسموه إلى نصفين : نصف يضعونه فى مطبقة من المعدن خلفهم ، ونصف يجتمعون عليه كلهم : أهل الحملة وأهل الركاب ، فقال شنبر لرفقائه : الثريد الذى يرفع أين يذهب به ؟ قالوا : يأخذه أهل الجيش معهم فيضحون عليه إذا انتصف الضحى عند ما يشربون القهوة ، فقال قصيدة نبطية منها :

ياقرص يالى تقفاه الخراشى راح قسمين قسم يحطه خلاف وقسم حطه فى جرينه

يالربع خوفوا من الله والحقوا بالقرص مجلين لا تشعبون الركاب وكل ساعة فارسينه

قال أهل الركاب لشنبر الشاعر : نبا نستفرع ابن بليهد فيجيبك على كلامك هذا ، فقال لرفقائه أهل الحملة : إذا رأيت ابن بليهد فأخبرونى ، فمرت بهم وهم فى وادى أم الخروع بين الريع وماء عشيرة ، فما شعرت إلا وهو يدعونى ، فأتيت ، فوجدت رجلا طويلا القائمة قد وخطه الشيب عاريا من اللحم ، كأنه سبع ، فقال : إنى قصدت لى قصيدة وأحببت أن أسمعكها ، قال ذلك وهو

راكب على جبل بين كيسان من القهوة ، قلت : أسمى إياها ، فنهض واعتدل ثم رفع صوته بها حتى أتى على آخرها ، فسمعت قصيدة لم تكن لتصدر إلا عن شاعر بليغ ، فقال بعد انتهاء القصيدة : تراني داخل على الله ثم عليك ، أتركني أنا وأهل أشيقر ، قلت : على شرط أن نكون في وجهك أنا ورقائى حتى نصل الشعراء ، قال : لا ، بل حتى تصلوا بلدكم ذات غسل ، وكان معنا خبرة حاج من أهل حوطة بنى تميم ليس معهم رفيق ، وعند شنبخ خبر بذلك ، فقال لهم : علقوا على أن أمنكم من اللصوص ، فأبوا ، فلما وردنا ماء عشيرة ، وكانت عادة منزلة الحاج كالحلقة للتحفظ ، وكان منزل أهل الحوطة في جهة المنزل الشرقية ، وكان وراءهم ثنية تطلع على الحرة على طريق نجد يقال لتلك الثنية « سنيد » ومنزل أهل الحوطة بين منزل شنبو وبين ربيع سنيد - فلما صلينا المغرب ارتفع شنبو ونحن على ماء عشيرة على أكمة صغيرة ورفع صوته قائلاً : يا من حولنا بالشعيب ، إن كنتم تبغون العشاء تراه بيننا وبين سنيد ، إشارة إلى الخبرة التي بيننا وبين سنيد أنهم ليس معهم رفيق ، فلم يكمل صوته إلا ولأهل الحوطة صياح من كثرة اللصوص ، ثم نادوا شنبو فقالوا له : نحن في وجهك ، فنادى نداء ثانياً فقال : ليس بيننا وبين سنيد لكم عشاء ، بل العشاء عندنا ، فأتى اللصوص من كل ناحية نحواً من عشرين نفرأ ، وأكلوا معنا ، وباتوا عندنا .

ركبة
نرجع إلى موقفنا في تلك القطعة - هذا أول ركبة ، ونحن بين عشيرة والعرف ، وقد أكثر الشعراء من ذكرها ، قال صاحب معجم البلدان^(١) : إنها أرفع موضع في نجد ، وفي كتاب فضائل مكة لأبى سعيد المفضل بن محمد بن تميم الجندى الهمداني بإسناد له أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : « لأن أخطئ سبعين خطيئة بركبة أحب إلى من أن أخطئ خطيئة واحدة بمكة » وجهتها الشمالية يقال لها « وجرة » وقد مضى الكلام عليها .

العريفة
فإذا اندفعت قليلاً ، وبدأ لك أول العرف فانظر على يسارك ترقيقة منه يقال لها « العريفة » وهي التي يقول فيها براك بن سحان الشيباني من أبيات نبطية :

يَالِيتَنِي مَعَ شَارِعِ^(٢) التَّوَمِ وَفَهَيْدِ^(٣) مَنْ فَوْقَ عَيْرَاتٍ تَقَارَعِ ابْدَرْهَا^(٤)
وَبَيُوتَهُمْ يَمِ الْعَرِيفَةُ مَشَايِدُ فِي رَقَّةٍ مَا حَلَى تَخَالَفَ زَهْرَهَا

والعرف ، والعريفة : بريثات صفار وحجر كأنه حجر حرّة ، والعرف هذا هو الذى ذكره ساعدة بن جؤية الهذلي حين قال يذكر غزالا :

(١) معجم البلدان ٤ / ٢٧٨ (٢) شارع التوم : رئيس من الشيبانيين ، وفهيد : هو الحضري أبو محمد العقيد المشهور . مؤلف (٣) العيرات : الجيش ، والبدر : هي القرب .

فإن تتق بالعرف عن عين قانصٍ وقد جَنَّهُ عنها ثرى وجلامد
يرُاقبها غارى الأشاجع كائناً يراها وقد ضاقت عليه القدافد
وفيه يقول السكيت بن زيد الأسدي^(١) :

أببكاك بالعرف المنزلُ وما أنت والطلل الحول ؟
وما أنت - ويك ! - ورسم الديار وسنك قد قاربت تكل ؟
وقال عباس بن مرداس السلمى^(٢) :

خفافية بطن العقيق مصيفها وتحتل في البادين وجرة والعرفا
جبل حُضن فإذا جُرَّت العرف متجها إلى جهة الشرق وأنت في بطن الجوبة جوبة ركة فالتفت على
يمينك ترَحَضنا قد سدَّ الأفق اليماني ، قال في معجم البلدان^(٣) : هو اسم جبل في عالية نجد ،
وهو أول حدود نجد ، وفي المثل « أنجد من رأى حضنا » قال جرير :
لو أن جمعهم غداةً مخاشن يُرْمى به حَضْن لكاد يزول
وقال يزيد بن حذاق في أخبار المفضل الضبي :

أقيموا بنى النعمان عنا صدوركم وإلا تقيموا صاغرين الرؤوسا
أكابن للمعلّى خلتنّا وحسبتنا صراريّ نعطى الماكسين مكوسا
فإن تبعثوا عيناً تمنى لقاءنا يرم حضنا أو من شمام ضيبا

الحلمة وحضن : من أشهر جبال نجد ، فإذا اندفعت مع الجوبة في بطن ركة ساعةً في السيارة ،
فانظر صوب شمالك تر « برثا » كأنه حرة ، هذا البرث يقال له الحلمة ، ويتصل به برثات ، قال
في معجم البلدان : الحلمتان موضع^(٤) ، ولم يزد عن هذه العبارة ولم ينقص ، ولكن الشاهد القوي
على ذكر الحلمة هو قول اللص الحاربي ، وهو يلتمس الحجاج في تلك القطعة من الأرض ، يقول
في أرجوزة له :

نلتمس الطّراق وقت العتمة وللسباع وهَج وهَمَمَة
في مَهَمّه يحيزه مَنْ علمه ونهتدى فيه برأس الحلمة

جبل كشب فإذا حاذيت الحلمة على شمالك فارفع بصرك إلى الشمال تر « جبل كشب » قد اعترض كأنه
قطعة من النيم ، معترض من جهة الشمال إلى جهة الجنوب ، به حرار عظيمة ، وبه مناهل سائحة

(١) معجم البلدان ٦ / ١٥٠ (٢) معجم البكري ٩٣٣ .

(٣) معجم البلدان ٣ / ٢٩٥ (٤) انظره ٣ / ٣٢٢

على ظهر الأرض ، ومن أشهر مياهه المحطة المشهورة لحاج العراق ، وهى منهل مرّان الذى هلك عليه عمرو بن عبّيد المعتزلى ، وقبره هناك ؛ فأما جبل حضن فهذا اسمه اليوم ، وهو اسم جاهلى . وأما جبل كشب فهو اسمه الجاهلى ، وهو باق بهذا الاسم إلى عهدنا هذا ، قال بشّامة بن عمرو :
* فمرت على كُشْب غداة وجاوزت *

فإذا انقطع عنك جبل كشب فالتفت على يمينك تر « جبل برّيم » منقطعاً من حضن ، وبه منهل . وهذا اسمه الجاهلى الذى كانت العرب تعرفه به فى الجاهلية ، وهو اسمه إلى اليوم ، قال الأصمعى : برّيم ماء لبنى عامر بن ربيعة بنجد ، وتشاركهم فيه بنو جُشم بن معاوية بن بكر بن هوازن ، قال ابن مقبل :

وأمت بأكناف المراح ، وأعجلت برّيمًا حجاب الشمس أن يترجلا
وقال الراجز :

تذكرت مشربها من تصلبا ومن برّيم قصبًا مثقبا
وتصلب التى ذكرها الراجز : منهل معروف فى غربى حضن يقال له اليوم « صلبة »
فإذا جُزّت الحلمة وما حولها عرّجت على وادى « قطان » وهو واد معترض يأتى سيّله وادى قطان من جهة الجنوب . ويصب إلى جهة الشمال فى الصباحى المجاورة لكشب ، وهذا اسمه الجاهلى ، وهو باق بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وقد مضى الكلام عليه فى كتابنا هذا ، ولكنى أحب أن أعيد الدليل على اسمه الجاهلى ، وهو قول الخطيئة :

أقاموا بها حتى أبنت ديارهم على غير دين ضارب بجران
عوايس بين الطلح يرجمن بالقنأ خروجَ الأطباء من حراج قطان
فإذا خرجت من وادى قطان فالتفت صوب شمالك تر كشبًا وحراره . وإذا التفت عن الريحى يمينك رأيت أبارق وأكيّمات وجييلات صغارا ، يقال لتلك الناحية « الرحى » وهذا اسمها الجاهلى وهى باقية عليه إلى هذا العهد . قال حميد بن ثور :

وكنت رفعت الصوت بالأمس رفعةً بجنب الرحى لما اتلأب كؤدها
وقال الراعى النميرى :

عجبت من السارين والريح قرّة إلى ضوء نارٍ بين فردّة والرحى
إلى ضوء نارٍ يشتوى القد أهلها وقد يكرم الأضياف والقد يشتوى
فلما أتونا واشتصينا إليهم بكوا وكلا الحيين مما به بكى

وهي مقصورة طويلة . واكتفينا منها بالشاهد . وذكر في معجم البلدان موضعاً آخر سماه « رحي بطن » وأنا أظنه غلطاً ، وظنى أن الصحيح « رحي قطان » ؛ لأن الرحي المذكورة في أعلى وادى قطان ، وجميع سيولها وما حولها تصب في وادى قطان ، واستدل على هذا اللفظ بقول تأبط شراً :

ألا من مبلغ فتَيَّان قومي بما لا قَيْتُ عند رَحَى بطن
فإني قد لقيتُ العولَ تهوى بسهب كالصَّحيفةِ صَحَّاحان

وهي قصيدة طويلة ويمكن أن يكون أصل قول تأبط شراً * بما لا قيت عند رحي قطان * وجميع جبال كشب التي يتركها الطريق على شماله المنقطعات من الجبل كأنفروات والحلى جميعها لها ذكر في المعجم . ولكني لم أر عليها شواهد شعرية .

جبل هكران فإذا جُرَّت قطانا وما حوله وخرجت متجهاً إلى جهة المويه طلع عليك جبل « هكران » وهذا اسمه في الجاهلية ، ولم يتغير . ذكره صاحب معجم البلدان ^(١) ولم يذكر عليه شاهداً من الشعر . ثم تسير من منهل المويه ، وبه مركز وإمارة لصاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود ، فإذا اتجهت قاصداً الشرق ، ثم انعرج بك الطريق إلى جهة الشمال ، فالتفت جهة يمينك تر جبلا أسود عنده جبيلات صفار ، يقال له « الأكموم » وهذا اسمه في يوم الناس هذا ، وهو اسمه الجاهلي أيضاً ، قال عدى بن الرقاع :

لما غدا الحى من صرخٍ وغيَّهم من الروابي التي غريُّها السكم

ثم تتجه إلى جهة الشمال حتى تحاذي ماء « قباء » وهو منهل عظيم في شرق كشب ، يمر به الحاج الذي يمر على مرآن ، وهذا اسمه الجاهلي ، وهو اسمه في هذا العهد أيضاً .

ثم تنعرج على يمينك قاصداً ماء « الدفينة » فتخرج من الصباخي على أبارق صفار يقال لها « أبرق الجلبة » وهو معروف عند عامة أهل نجد بهذا الاسم . وهذا الأبرق هو الذي يقول فيه

دليم الطر المرشدى من الروقه ، وقد أغار عليهم مقبول بن هريس الشلوى من قصيدة نبطية :

يَمْ أَبْرَقُ الْجَلْبَةُ جَرَى لِي عَشِيَّتِهِ لَا وَهْنِي أَلَى عَنْ أَسْبَابِهَا غَابُ

جانا مع ابن هريس قوم روية جونا وجينا هم نرمى بالأسلاب

يا ليتنى يوم الدخن قاد فيهِ ولا معى مسلوبة كنتها الدآب

مهيب جبعا عقرة في يديه وارمى بها رمى كثير ولا صاب

إلى اعتزينا العزوة المزمجة نادى عليهم قال يا أولاد حطاب
وهي قصيدة طويلة .

وإذا خرجت من هذا الأبرق فانظر جهة شمالك تر شرق كشب ، وفيه ماء الشمس ،
وماء الريمة ، والحرب ، واللساسة ، منقطعات من كشب في جهته الشرقية ، وذكر الشمس في
معجم البلدان بغير شاهد من الشعر ، وقال كثير على ذكر الريمة :

بياض الدماث من بطن ريم فبمفضى الشحون من الجام
وقال كثير أيضاً^(١) :

عرفت الدارق أقوت بريم إلى لأى فدفع ذى يدوم
وقال كثير أيضاً :

أربع فى معالم الأطلال بالجزع من حرض فهنّ بوالى
فشراج ريمة قد تقادم عهدا بالسفح بين أثيل فتعال
وأما الحرب واللساسة فهما جبالان منقطعان من كشب ، لا يعدان منه ، وإذا ذكر أحدهما الحرب
فلا بد أن يذكر الثانى معه ، والحرب هذا هو الذى عنه امرؤ القيس بقوله :

خرجنا نريغ الوحش بين ثعالٍ وبين رحيات إلى فج أخرب
وهو الذى يقول فيه جرير :

يقول بنعم الأخربة صاحبي متى يرعوى قلب النوى المتقاذف
وهو الذى يقول فيه الشاعر :

بليت ولا يبلى تعار ولا أرى بيثر ثميل نائياً يتجدد
ولا الأخرب الدانى كأن قلالة بخأت عليهن الأجلة هجد
وهو الذى يقول فيه طهمان بن عمر الكلابى :

لن تجد الأخراب أيمن من سجا إلى الثعل إلا ألأم الناس عامره
وجميع هذه المواضع باقية بأسمائها إلى هذا العهد .

ثم التفت عن يمينك تر « خال الدفينه » شاهقاً فى السماء ، لا يبعد عنها ، وهذا اسمه الجاهلى خال الدفينة
وهو اسمه اليوم ، وقد أوردنا ذكره فى كتابنا هذا .

ثم اهبط إلى « وادى الدفينة » الماء المشهور بهذا الاسم ، وهو اسمه فى الجاهلية أيضاً ، وقد
أوردنا ذكره فى كتابنا هذا .

فإذا خرجت من ذلك الوادى ، وكنت فى الموضع الفاصل بين سنّفى الدفينة والرماحيات ،
 فالتفت على يمينك ترّ رأس جبل ظلم ، وترأس عردان الذى كان يقال له فى الجاهلية « عردة » .
 ثم التفت على شمالك ترأس جبل حَبْر ، وترأس جبل « الغرابة » وأنت فى مكان واحد
 وجميع هذه المواضع على أسمائها التى كانت لها فى الجاهلية : ظلم ، وحبر ، وعردة ، والغرابة ، وقد
 أوردناها فى كتابنا هذا : عردة وحبر فى معلقة عبيد ، وظلم فى أشعار زهير .

جبل ظلم

ثم اندفع متّجها إلى عفيف ، ثم التفت على شمالك تر « الذنائب » . وهذا اسمها الجاهلى ،
 وقد مضى الكلام عليها فى كتابنا هذا ، وكانت بها معركة بين بكر وبنى تغلب ، وهى التى
 أشار إليها المهلهل فى قوله :

الذنائب

فلو كشف المقابر عن كليب سيعلم بالذنائب أى زير

ثم تطلع على « جذيب الخضارة » وهى جبال سُود صغار يقال لها « سمر الخضارة » فى هذا
 العهد ، وهى التى تقول فيها مرسى العطاوية :

جذيب
الخضارة

وادى الجرير إلى حدّ من علاويه وخشم الذنبيه والجذيب امتساوى

وقد مر ذكر تلك المواضع فى كتابنا هذا ، إذا كنت على تلك الجبال فانظر ، فما كان سيّله
 منها مشرقاً فهو يصب فى وادى الجرير ، وما كان مغرباً فهو يصب فى الشّعبة ، ويتجه إلى
 جهة المدينة ، ثم تأتى وادى الخضارة ، وهو وادٍ كثير الشجر ، يصب سيّله فى الجرير ، ثم تخرج
 منه وأنت قاصدُ الشرق ، ثم تلتفت على شمالك فترى « أجلى » وهو جبل ذو ثلاث قطع حر ،
 هضبات متصل بعضها ببعض ، ولها ذكرٌ فى أشعار العرب الجاهليين ، وهذا اسمها الجاهلى
 قال الراجز :

أجلى

حلّت سليعى جانب الجرير بأجلى محلة الغريب

وقال النمر بن تولب :

خرجن من الخوار وعُدن فيه وقد وازن من أجلى برعن

قال أبو عُبَيْد البكرى فى معجم ما استعجم^(١) : « أجلى » هضيبات حُر بين فجّة ومطلع الشمس ،
 وماؤها نحل ، اجتمع فيه النصى والصّليان والرمث بجهراء من نجد طيبة ، والجهراء الصحراء ، ولذلك
 قالت بنت الحس - وقد سنّلت : أى البلاد أمراً ؟ - قالت : خياشيم الحزن أو جِواء الصمان ،
 قيل : ثم أى ؟ قالت : أزهاء أجلى أى شئت ، وقد أوردنا فيما مضى بعض هذه العبارة ، وهى
 التى يقول فيها القتال الكلابى :

عفت أَجَلِي من أهلها فقلبيها إلى الدَّوْمِ فالرِّقَاءَ قَفَر كَثِيهَا
وهي معروفة بهذا الاسم إلى هَذَا العهد .

ثم التفت على يمينك تجد « وادى الثعل » والثعل : اسم لمنهل في أعلى هذا الوادى يقال له وادى الثعل
في هذا العهد « الثعل » وكان في الجاهلية يقال له ثعال ، وهو الذى قال فيه امرؤ القيس :
ورحنا نريغ الصيد حول ثعالٍ وبين رحياتٍ الى فج أَرْبُ
وهو الذى يقول فيه الشاعر :

أيام أهلونا جميعاً جيرة بكتانة ففراقه ففعال

ثم أقطع هذا الوادى جاعلاً ثعال عن يمينك وأَجَلِي عن شمالك فإنك تطلع على أرض مرتفعة
يقال لها « المشف » في هذا العهد ، وسيلها ينقسم قسمين : ما غَرَبَ منه يصب في الجريب ،
وما اتجه مشرقاً يصب في وادى الشبرم ، فالتفت على يمينك تر العلامات المطلة على ماء سَجَا ،
وهي هضبة فيها أبارق يقال لها « أم السباع » وسجا : مهل جاهلى ، وقد أكثر الشعراء من
ذكره ، وقد وَرَدَتْه قبل أن يعمره صاحب السمو الأمير فيصل ، وكان الناس لا يستقون منه
إلا بالكد والمثقة ؛ إذ لا تخرج منه الدلاء إلا بالشَّطْنِ جبالٍ ثانيةٍ غير جبالها ، وقد قال
الراجز الجاهلى :

* ساقى سَجَا يمد مئيدَ الحور *

وقال الراجز الثانى وهو يمتنع دلوه :

لا سَلَّمَ الله على خرقا^(١) سجا من ينجم من خرقا سجا فقد نجا
أنكد لا ينبت إلا العرجا لم تتركِ الرَّمْضاءَ مَنَى والوجا
والنزع من بعد قعر من سجا إلا عروفاً وعروفاً خُرْجا

وقال غيلان بن الربيع اللص :

إلى الله أشكو تحبسى فى نخيس وقرب سجا ياربّ حين أفيل
وإنى إذا ما الليل أرخى سُتُوره بمُدْمَرَجِ الخلل الحفى دليل

وكان سجا قبل أن ينظمه صاحب السمو للملكى الأمير فيصل ويأمر بطى آباره من أصعب مياه

(١) هذا كلام العرب في الجاهلية وصدر الإسلام على صعوبة مورده وذم نباته ، ولكنه في هذا
العهد أصبح ولا يعلم في جزيرة العرب منهل أمره من منله ، ولا مرتع أحسن من مرتعه ، إذ توجد
جميع النباتات الصالحة للابل في أرض سجا المجاورة له .

نجد مورداً ، وكان مثلاً عند أهل نجد ، كل أمر صعب يقولون فيه « الله يغني عن سجا ووروده »
رأس مثله ثم التفت على شمالك تر رأس مثله ، وهي هضبة سوداء ، سميت مثله لأن لها ثلاثة رؤوس
وهي في وادي الشبرم ، ولم أر لها ذكراً في أشعار الجاهلية ، ولها ذكر في أشعار الأعراب المتأخرين
قال شاعر من عتبية من قصيدة نبطية :

هَاضَنِي مَبْدَائِي فِي حَيْدِ زَمَانِي فِي سَنَافُ الْمَطَّرَقِ مَالِي رِعِيَّةُ
فِي يَدِي مَطَّرَقُ فَرَنْجِي هَبَابِي ذَخْرًا بَوَى مِنَ الصَّنُوعِ الْجَاهِلِيَّةِ
يَا حَلِي مِنَ الْمَهَاتَلَعِ الرَّقَابِي حَارِزِينَ مُثْلَتُهُ وَالشَّهْرَمِيَّةُ
لَيْتَنِي عَاقَتَهُمْ بِأَوَّلِ شَبَابِي يَوْمَ حَبَّتِ الصَّبَا فِيهِمْ وَقِيَّةُ

الشبرمية : ماء قرب مثله ، في وادي الشبرم .

ثم اهبط إلى عفيف المنهل المعروف في الجاهلية بهذا الاسم ، وقد مضى الكلام عليه في
كتابنا هذا ، وقد أوردنا عليه هذا الشاهد عن ابن الأعرابي :

وما أم طفل قد تجمم رَوْقَهُ تَغْرَى بِهِ سَدْرًا وَطَلَحًا تَنَاسَقَهُ
بِأَسْفَلِ غِلَانِ الْعَفِيفِ مَقِيلَهَا أَرَاكَ وَسَدْرٌ قَدْ تَحَضَّرَ وَارِقَهُ

ثم تذهب في طريقك متجهاً إلى الشرق ، وإذا خرجت من أبقار الأودية المتصل بعضها
ببعض إلى وادي المعلق فالتفت عن يمينك تَرَجَبِلَ التَّيْرِ مَعْتَرِضًا مِنَ الْغَرْبِ إِلَى جِهَةِ الشَّرْقِ
قَدْ سَدَّ الْأَفْقَ الْجَنُوبِي ، وهو الذي يقول فيه جَعْدَرُ اللَّصِّ :

ذَكَرْتُ هُنْدًا وَمَا يَغْنَى تَذَكُّرَهَا وَالْقَوْمُ قَدْ جَاوَزُوا شِهْلَانَ وَالنِّيرَا

وهذا اسمه الجاهلي .

ثم التفت على شمالك تر جبل « شعر » و « العرائس » و « الخنفسيات » و « أرينبة »
و « السكودة » وجميع هذه المواضع معروفة بهذه الأسماء في يومنا هذا ، وهي أسماؤها في الجاهلية ،
قال ذو الرمة ذاكرًا العرائس وشعر :

أَقُولُ وَشَعْرُ وَالْعَرَائِسُ بَيْنَنَا وَسَمِرُ الذَّرَى مِنْ هَضْبِ نَاصِفَةِ الْحَمْرِ

وقد ذكرنا الشواهد على تلك المواضع ، وقال عنتره على ذكر أرينبة :

وَقَفْتُ وَصَحْبَتِي بِأَرِينِبَاتٍ عَلَى أَقْتَادِ عَوْجِ كَالسَّهَامِ

الخنفسيات : هضبات معروفة ، لا تبعد عن العرائس وشعر ، قال الشاعر :

وَقَالُوا : مَا تَرِيدُ ؟ فَقُلْتُ : أَرْمَى جَمُوعًا بِالْخَنْفَاسِ ذِي أَثُولِ

وقال آخر :

صبحنا بالخنافس جمع بكر وحيا من قضاة غير ميل
ثم تسلك الطريق متجهاً إلى ماء « القاعية » وعلى يسارك « الكودة » الهضبة المعروفة
وقد أوردنا عليها الشاهد في غير هذا الموضع .

ثم تجزع على طرف هضبة متقادة من النير يقال لها « أم الفهود » قال جرير :
رأوا بئسية الفهدات ورداً فما عَرَفُوا الأغرَّ من البهم

ولست أدري هل عني جرير بقوله هذه الهضبة ، أو أنه يعنى الفهدة المعروفة قرب ثرماء .
ثم تطلع على ماء القاعية ، وعلى يمينك جبل النضادية ملاصق النير ، متاخماً لمنهل القاعية ،
في الجهة الجنوبية منه ، واسمه في الجاهلية « نضاد » ويعرف في عهدنا هذا بالنضادية قال الشاعر :
لو كان من حصن تضال ركنه أو من نضاد بسكى عليه نضاد

وقال كثير :

كأن المطايا تتقي من زبانة مناكد ركن من نضاد مللم
وقال قيس بن زهير العبسي من أبيات له :

إليك ربيعة الخير بن قرط وهوباً للطريف وللتلاد
كفاني ما أخاف أبو هلال ربيعة فاتت عني الأعادي
تظل جياده يجمزن حولي بذات الرمث كالحدا الصوادي
كأني إن أنحت إلى ابن قرط علقت إلى يللم أو نضاد

ذات الرمث : واد قد مضى الكلام عليه ، وهو في النير يقال له « الرميثي » وأما نضاد
هذا فإذا كنت منتزحاً عن جبل النير فهو أرفع ما ترى منه ، قال ابن دارة :

وأنت جنب للهوى يوم عاقل ويوم نضاد النير أنت جَنِبُ

فإذا جزت منهل القاعية تركت النير على يمينك حين تكون متجهاً إلى بلد الدوادمي ،

فيبدو لك حينئذ « ذريع » وهو اسم لجبلين صغيرين كان يقال لهما في الجاهلية « ذراعان » وبقي
اسمهما في عهدنا هذا على هيئة تصغير ذراع ، يتركه السالك على يمينه ، قالت امرأة من بني عامر
ابن صعصعة :

سقياً ورعياً لأيام تشوقنا من حيث تأتي رياح الهيف أحياناً

إلى أن قالت :

يا حبذا طارقاً وهناً ألم بنا بين الذراعين والأخواب من كانا

جبل خنوقة

وقد أوردنا هذا الشاهد في كتابنا هذا ، وعلى يسارك جبل « خنوقه » وهذا اسمه الجاهلي ، وهو باقٍ به إلى هذا العهد ، قال القحيف الثقلي :

تحملن من بطن الخنوقة بعد ما جرى للثريا بالأعاصير بارح
وهذا الشاهد قد أوردناه ، ولكن دعت الحاجة له ولمثله على ذكر الطريق .

نهلان

وترى وأنت متجه على يمينك جبل « نهلان » وجبل « شطب » المنقطع منه ، وقد أوردنا شواهد تلك المواضع بتمامها ، وهي باقية بأسماؤها إلى هذا العهد .

جبله

ثم التفت على شمالك تر « جبله » وقد أوردنا عليها الشواهد ، وهي باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد .

وادي الرشا

ثم تهبط « وادي الرشا » وقد مضى الكلام عليه ، واسمه الجاهلي الرشا ، ثم تطلع على جبال البيضتين الدوادمي فترى « البيضتين » على شمالك كأن أصلهما واحد ، وأغلاهما هضبتان معروفتان عند عامة أهل نجد بالبيضتين ، وهذا اسمهما الجاهلي ، قال الفرزدق :

حبيب دعا والرمل بيني وبينه فأسمعى ، سقياً لذلك داعياً
أعيد كما الله الذي أتى له ألم تسمعا بالبيضتين الناديا

الدوادمي

ثم تهبط بلد الدوادمي ، وأنا لم أجدها بهذا الاسم يقرب من اسمها اليوم . ثم تخرج منها متجهاً إلى جهة الشرق ، فتأتي على وادي الضال ، ولم أجده ذكراً ، إلا أن في معجم البلدان ذكر موضع يقال له « ضللي » وتنحدر على التسريير ، وهذا اسمه منذ العهد الجاهلي لم يتغير . قال أعرابي مرض في الشام ، فبعث له الوليد بن عبد الملك أطباء ، فجاءوا يجسّون نبضه ، فقالوا له : ماتشهي ؟ فقال^(١) :

جاء الأطباء من حصص تخالهم من جهلهم هل أداوى كالجنانين
إذا يقولون ما يشفيك قلت لهم دخان رمث من التسريير يشفيني
مما يضم إلى عمران حاطبه من رمث غرّب جزلاً غير موزون

غرب : تتفرع منها سيول التسريير ، وقال الراعي :

حي الديار ديار أم بشير بنويعين^(٢) فشاطىء التسريير
لعبت بها عصاف النعامي بعدما زوارها من شمّال ودبور

(١) معجم البلدان ٣/٣٨٩ وفيه « من الجنية جزلاً غير موزون » (٢) النويين : جبلان صغيران يقال لأحدهما في عهدنا هذا النوع ، وللآخر الناي . ويقعان عند وادي الرمة جنوباً . مؤلف

فإذا كنت بين الضال والتسرير فالتفت عن شمالك تر «جران» و «غربا» فأما جمران وجران وغرب
 خيل أسود مرتفع إلى السماء ، وأما غرب فخص أكمات صفار سود ، في شرقيه على مسافة أقل
 من نصف يوم ، وجران وغرب على اسميهما منذ الجاهلية لم يتغيرا . قال مالك بن الرِّيب :
 على دماء البدن إن لم تفارق أبا حَرْدَب يوماً وأصحب حردب
 سرى في دجى ليل فأصبح دونها مفاوز جمران الشريف فغرب
 تطلع من وادى الكلاب كأنها وقد انجذت منه فريدة ربرب
 وعليهما شواهد كثيرة .

ثم تتجه مع الطريق الذى يخترق ثنية القرنة ، وهذا اسم قديم لها ، وظنى أن تسميتها بالقرنة ثنية القرنة
 لأنه يأتى وادى حميّان من الجهة الغربية الجنوبية منه ، ووادى التسرير يأتى من الجهة الغربية
 الشمالية منه ، ويقترنان في تلك الثنية ، وتتجه سيول الواديين معه حتى يمر على ماء « خف »
 و « خفيف » وظنى أنها التى يقول فيها لبيد بن ربيعة العامرى :

وغداة قاع القرنتين أتيتهم رهواً يلوح خلالها التَّسْوِيم
 بكتائب رجح تعود كبشها نطح الكباش كأنهن نجوم
 فارتث قتلاهم عشية حزمهم حتى بمنعرج المسيل مقيم
 والعرب ثثنى المفرد إذا أرادت جانيه أو ناحيته ، كقولهم لرامة : رامتين .

ثم تتجه إلى جهة الشرق الشمالى ، فما كان على يمينك من مسلك الطريق إلى نفود السرفهو
 من « المروت » الذى قد مضى الكلام عليه عند ذكر المروت الذى به يوم من أيام العرب ، المروت
 وذكر يوم الحرملية لأنها فى المروت ، وذكر سوفة لأنها فى المروت ، وينعرج بك الطريق إلى جهة
 الشمال حتى تصل ماء خفيف ، وهى حد المروت الشمالى ، وقد مضى الكلام على هذا المنهل ،
 وأوردنا عليه شاهداً ، وهو قول الراعى :

رعت من خفاف حيث نقي عبابه وحل الروايا كل أسحم ماطر

ثم تمشى قاطعاً نفود السر - وقد مضى الكلام عليه وعلى شواهد - ثم تخرج منه متجهاً إلى
 جهة « مرات » تاركاً صفراء الوشم على شمالك وكثيب قنيفذة على يمينك فإنك ترى ثنية وادى
 النمرى الذى يصب عند ذات غسل ، وذكروا أن سبب تسميته النمرى أن بنى نمر عاثوا فى البلاد
 وأفسدوا فيها ، وأخذوا حاج العراق فى خلافة المستعين العباسى ، وأرسل إليهم جيشاً يرأسه قائد
 من قواده يقال له بُغَا فالتجئوا إلى هذا الوادى ، وأطالوا المكث فيه ، فسمى باسمهم بعد التجأهم إليه

ذات غسل

وأما ذات غسل فكانت لبني العنبر في الزمن الجاهلي ، وهم بطن من تميم ، وواديها يقال له «العنبري» من العهد الجاهلي إلى هذا اليوم ، ولم يبق فيه في هذا العهد من بني العنبر رجل واحد . ثم تصل مرأة ، وهي البلد التي كان فيها الاختلاف بين كتاب هذا العصر ؛ منهم من قال : إنها بلد امرئ القيس الكندي الشاعر المشهور ، ومنهم من قال : إنها بلد امرئ القيس التميمي ، وأنا مع من قال : إنها بلد امرئ القيس التميمي ، فإن كانت الشمس تلمتس على أحد فهذا الموضع يلمتس علينا ، ولو أن كيتا الجبل المطلَّ عليها ينطق لأقسم بالله أنه لم يسكن بهذه البلدة امرؤ القيس الكندي ، بل ولم يمر بها في تجولاته ؛ لأنه لم يذكر من المواضع موضعاً قريباً منها ولا في جميع نواحيها ، ومن ذكر من أهل المعاجم أو من الكتاب أن الدخول وخوملا وتوضح والمقراة ومأسلا ودارة جُلجل في اليمامة ، فقد أخطأ ، وغلطه أعظم من غلط من قال : إن مرأة هي بلد امرئ القيس الكندي ، بل المواضع التي مر ذكرها موجودة بأسمائها يُرى بعضها من بعض كما أوضحناه في كتابنا هذا عند الكلام على معلقته ، وهي في عالية نجد الجنوبية منها ، وبلد مرأة هي إحدى قرى الوشم من جهته الجنوبية ، قال ذو الرمة ^(١) :

فلما وردنا مرأة اللوم غلقت دسا كر لم ترفع خير ظلالها
ولو عبرت أصلاها عند بهنس على ذات غسل لم تشمس رجالها
وقد سميت باسم امرئ القيس قرية كرام غوانيا لثام رجالها
تظل الكرام المرملون بجوها سواء عليهم حملها وحيالها
إذا ما امرؤ القيس بن لؤم تطلعت بكأس الندامى خيتها سبالها

انظر قول الشاعر عن ذات غسل وإكرامها للضيف ، وإدخالها للركاب ، وأهلها لم تشمس رجالها ، وهذا الكرم باق في أهل تلك البلد إلى هذا العهد .

وأقدم قرى الوشم التي من العهد الجاهلي : بلد مرأة ، وهي لبني امرئ القيس التميمي ، وبلد ترمداء ، وهي لبني سعد من تميم ، وأثنية ، وهي لبني يربوع من تميم ، وذات غسل ، وهي لبني العنبر

(١) ووجه الدلالة من هذه الأبيات أن ذا الرمة كان كثير الهجاء لبني امرئ القيس التميمي ، وفيه يقول :

يعد الناسون إلى تميم بيوت المجد أربعة كبارا
يعدون الرباب وآل سعد وعميرا ثم حنظلة الحيارا
ويستقط بينها للرئي لغوا كما ألغيت في الدية الحوارا

من تميم ، وأشير للرباب من تميم ، تلك القرى المذكورة من أقدم قرى الوشم ، والوشم اسم جاهلي قديم ، وهو باق بهذا الاسم إلى هذا العهد ، قال صاحب أشي :
 متى أمر على الشقراء مُعتسفا خَلَّ النقا بمَرُوحٍ لَهَا زَيْمُ

والوشم قد خرجت منه وقابلها من الثنايا التي لم أقلها ثم

فإذا خرجت من بلد مرآة متجها إلى الجنوب على الطريق تترك على يمينك صفراء مرآة المتصلة بصفراء الوشم ، والصفراء : هي الجبال الصُّفراء المتصلة بعضها ببعض ، وعريق الوشم على يسارك ، وهذا الكتيب يُسميه أهل الوشم « نفود الوشم » وتسميه الأعراب « عريق البلدان » لأن جميع قرى الوشم إما في شرقيه وإما في غربيه ؛ فالقرى التي بغربيه : أشير ، والفرعة ، وشقراء ، والقرائن ، وذات غسل ، و بلد الوقف ، لا يفصل بينها إلا وادي العنبري وأثنية وثرمداء و بلد مرآة ، وهي طرف الوشم من الجهة الجنوبية ، والقرى التي بشرقيه : الداهنة ، والجريفة ، والحريق ، والقصب ، والمشاش . ثم ينقطع عنك ذلك الكتيب إذا طلعت على بلد البرة ، وهناك مشهور ، واسمه « طُرَيْفُ الحبل » وقد أوردنا على ذكر الحبل أشعاراً كثيرة ، منها أشعار لهديل ، ذكروا أن هذا الحبل قريب عرفة ، وقصيدة للحسين بن مطير منها :

خليلي من عمرو قفاً وتعرفاً لسهمة داراً بين لينة والحبل

وهذا الحبل من الحبال المتصلة بلينة من الجهة الشمالية من نجد ، قال في معجم البلدان : وحبل : موضع باليمامة ، وفي حديث سراج بن بجاعة بن مرارة بن سلمى عن أبيه عن جده قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأقطعني الغورة وغرابة والحبل ، و بين الحبل وحجر خمسة فراسخ ، قال لييد يصف ناقة :

فإذا حركتُ غَرَزِي أجَزْتُ وقرابي عَدُوْ جُونٍ قد أبل

بالغرابات فزراً فاتهما فيخزير فأطراف حبل

يستد السير عليها راكب رابط الجأش على كل وجل

أما الغرابات فهي معروفة في العتك بين القصب وثادق ، فإذا كنت في الغرابات فطريف هذا الحبل الذي كنا في ذكره يقع عنك جنوباً أو أرفع من الجنوب إلى جهة الغرب ، ونفید بنیان المعروف بهذا الاسم اليوم يقع عنك في جهة مطلع الشمس ، والكتيبان يقعان من الغرابات كل واحد منهما على مسافة يوم ونصف منها ، والذي كنا في ذكره أقرب للصواب من كتيب بنیان .

جبل عريض ثم تندفع إلى جهة البرة قاصداً الجنوب وعلى شمالك جبل عريض ، وقد ذكر الشعراء عريضا في مواضع كثيرة : منها عريض المدينة ، وعريض عالية نجد الذى ذكره امرؤ القيس ، وعريض المذكور الذى كُنا فيه يقال له « عريضة » قال جرّانُ العود النيرى :

تذكرنا أيامنا بعريضة وهضب قساء ، والتذكُّرُ يشعف

أنت الآن فى شمالى فرقرى تارك البرة على شمالك ، البرة التى يقول فيها يحيى بن طالب :

خليلى عوجا بارك الله فيكما على البرة العليا صدور الركائب

العويند ثم تخرج على العويند وعلى قصره ومزارعه ، وقد ذكره صاحب المعجم بهذا الاسم ، وذكر العويند الواقع فى عالية نجد ، قال فى معجم البلدان : العويند قرية باليامة لبني خديج إخوة بني منقر ، عن الحفصى ، هذا الذى كُنا فى ذكره . وقال أيضاً فى المعجم : قال أبو زياد : من مياه بني نمير العويند ببطن الكلاب ، هذا هو الواقع فى عالية نجد .

الحجلاء ثم تتجه من العويند قاصداً الرياض ، تاركا الحجلاء ^(١) على شمالك البئر المشهورة هناك بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهى التى يقول فيها يحيى بن طالب :

وأشرب من ماء الحجلاء شربة يداوى بها قَبْلَ المات غليل

مادة الغزير تراها بعينك وأنت على قارعة الطريق ، وهذا الموضع مُحَاذٍ ماء الغزير عندما ينخرج الطريق قبل دخوله عارض اليامة ، وهذا اسمه الجاهلى ، يقع فى صفراء الوشم ، فى الطرف الجنوبى منها ، بين صراة وضرمى ، منهبل معروف بهذا الاسم فى الجاهلية ، وهو باقى إلى هذا العهد . قال جرير ^(٢) :

فهيهات هيهات الغزير ومن به وهيهات خل بالغزير نواصله

وهو معروف أنه من مياه بني تميم لبني عطارد بن عوف بن سعد ، وقيل للأحنف بن قيس وهو مريض : ما تتمنى ؟ قال : شربة من ماء الغزير ، وماء الغزير مر ، وإنما تناء الأحنف لحبته الوطن ، ومات الأحنف بالكوفة وهى على شاطئ الفرات . وماء الفرات عَذْبٌ ، فلم يتمنّ منه

(١) الحجلاء - برتقع جنوبى البرة ، على مسافة نصف يوم أو أقل ، وهى التى لما خرج صالح الحسن أمير بريدة من سجن الرياض وحدها الظمأ إلى تلك البئر بقى عليها (يخدر غترته) وهى فى لسعة حتى اتصل الماء ثم يعتصرها بفمه ، فشعر به أهل البرة فأنوه وألقوا عليه القبض ، لأنه قد أخبرهم الإمام عبد الرحمن بخروجه فجاءهم الأمير محمد بن عبد الرحمن فقتله . وقبره هناك فى البرة . المؤلف

(٢) يروى هذا البيت « فهيهات هيهات العقيق ومن به » وهكذا هو فى كتب النجاة والاعوين

شربة . وهذا الطريق هو الذى سلكه خالد بن الوليد - رضى الله عنه ! عند ذهابه لقتال مسيلمة .
قال علماء السير والمغازى : وسلك خالد بن الوليد رضى الله عنه وادى الأحيسى ، وقد صار هذا الاسم
« وادى الحيسية » .

فإذا انقسم بك السيل بين مشرق ومغرب ظهرت لك ثنية غرور ، وهى التى سلكها خالد
ابن الوليد - رضى الله عنه ! - والطريق اليوم لا يمر بتلك الثنية ، بل يسلك الوادى . ثم تسلك
وادى الحيسية من بين أودية الحر . وظنى أن هذا اسم حديث ؛ لأنى لم أر له ذكرًا فى كتب المعاجم
ولا فى أشعار العرب .

وتتجه إلى جهة الغرب فى وادى الأحيسى ، وعلى يمينك وادٍ عظيم يقال له « وادى العمارية » وادى العمارية
بينك وبينه جبل . قال فى معجم البلدان : العمارية منسوبة إلى عمار قرية باليمامة لبنى عبد الله
ابن الدؤل وربما كان عمار هذا من بنى الدؤل ، وهم أهل هذا الوادى الذين يقول فيهم الشاعر :
فما علمت بأن الدخن فأكهة حتى مررت بوادى آل عمار

ثم تدخل فى خرائب « العينة » ^(١) . ولم أر لهذا الاسم ذكرًا لأنه حديث ذكر صاحب
معجم البلدان جميع العيون المضافة والعيون المثناة ؛ وما ذكره « غنين » فى جهة البحرين على
الساحل الشرقى .

ثم تصل قرية الجبيلة ، ولم أر لها ذكرًا فى كتب المعاجم . ثم تخرج من وادى الجبيلة
على عقرباء ، وهى أرض مصطحبة ، ذكرها صاحب معجم البلدان ، وفى ذكره خطأ وصواب
فى تحديده . قال : إنها كانت ملكًا لحمد بن عطاء أحد فرسان ريعة المذكورين ، وخرج إليها
مسيلمة الكذاب لما بلغه سرى خالد بن الوليد إلى اليمامة ، فنزل بها لأنها فى طرف اليمامة ودون
الأموال ، وجعل ريف اليمامة وراء ظهره ، فلما انتهت الحرب وقتل مسيلمة قتله وحشى مولى جبير
ابن مطعم قاتل حمزة رضى الله عنه ! قال ضرار بن الأزور :

ولو سئلت عنا جنوب لأخبرت عشية سالت عقرباء وملهم
وسالت بفرع الواد حتى ترقرت حجارته فيه من القوم بالدم ^(٢)
فإن تبغى الكفار غير مليّة جنوب فإنى تابع الدين مسلم
أجاهد إذ كان الجهاد غنيمة ولله بالمرء الجاهد أعلم

(١) وهى مقر المعمر فيما سلف ، وهى قاعدة إمارتهم ، فلما خربت انتقلوا إلى بلدة بنى سدوس
وهى بلد قديمة جاهلية ، ذكرها صاحب معجم البلدان .

(٢) فى هذا البيت إقواء .

وقد مضى الكلام على هذه الآيات .

الرياض

ثم تتجه إلى جهة الرياض تاركا وادى حنيفة على يمينك ، ثم تصل بلد الرياض بعد ما تمر في شرقي بلد الدَّزْعِيَّة ، ولم أر لها ذكراً في كتب المعاجم ، ثم تصل الرياض عاصمة نجد ، ولم أجد للرياض ذكراً أستدل به على هذا الاسم ، إلا أن صاحب معجم البلدان لما ذكر الرياض وما تضاف إليه قال : وروضة السلي ، وقال على ذكر روضة ثانية : وروضة القمعة ، ذكرها ابن أبي حفصة من نواحي اليمامة ، وفي نفس الرياض موضع يقال له القميعة في هذا العهد ، وروضة السلي تقرب من هذا الموضع ، وأما اسمه الجاهلي فهو يعرف بحجر اليمامة ، ويمكن أن يكون هذا الاسم الحديث «الرياض» قد كان اسم لهذه الرياض المذكورة ، فما عمرت في مكانها البلد بقي الاسم على حاله ، قال في معجم البلدان : قال ابن الفقيه : حجر هو مصر اليمامة ، ثم جو ، ثم الحضرمة ، وهي من حجر على يوم وليلة ، وبها بنو سحيم ، وبنو ثمامة من حنيفة ، بلغني أن قرب منفوحة موضعاً يقال له في هذا العهد الحضرمة ، وفي بلد منفوحة بطن يقال لهم بنو سحيم إلى هذا العهد ، وظنى أنهم البطن المذكور من حنيفة ، وهذه الرواية في معجم البلدان على ذكر الحضارم ، وقد سألت رجلاً من بني سحيم أهل منفوحة : ممن أنتم من قبائل العرب ؟ قال : من الدواسر ، وأنا أظن أنه لم يضبط نسبه ، والصحيح الثابت أنهم من حنيفة ، وقد أورد صاحب العجم ^(١) قول طهمان الشاعر المشهور :

ولا خير في الدنيا وكانت حبيبةً إذا ما شمالك زالمتها يمينها
وقد جمعتني وابن مروان حرة كلابية فرع كرام غصونها
ولو قد أتى الأنباه قومي لقلصت إليك المطايا وهي خوص عيونها
وإن بحجر والحضارم عصبة حرورية حبنا عليك بطونها
إذا شبَّ منهم ناشئ شبَّ لا عناءً لمروان والملعون منهم لعينها

قال في معجم البلدان : وخضراء موضع باليمامة ، وهي نخيلات وأرض لبني عطار ، واستدل بقول الشاعر ^(٢) :

إلى الله أشكو ما ألاقى من الهوى عشيةً بانت زينبٍ وريمٍ
فبأنوا من الخضراء شُرراً فودَّعوا وأما تقي الخضراء فهو مقيم
وأما الخضراء بهذا الاسم فلم أجد لها ذكراً في هذا العهد في نواحي اليمامة ، ويمكن أن تكون معروفة عند أهل تلك الناحية .

الكويت ثم تتجه من الرياض إلى الكويت ، فتعبر بالمطار الموجود في الرياض ، تجده على شمالك

وأنت متجه بين الشرق والشمال . ثم تجيز وادى ببنان في موضع يقال له « الحُر » واسمه الجاهلي بنبان ، لبني سعد بن تميم ، قال الشاعر :

قد علمت سعد بأعلى بنبان يوم الفريق والفتى رغان
وقال الخطيئة يهجو الزبرقان بن بدر :

وما الزبرقان يوم يحرم ضيفه بمحتسب التقوى ولا متوكل
مقيم على بنبان يمنع ماءه وماء وشيع ماء عطشان مُرمِل
تسكلم الخطيئة في شره بلسان بني تميم فإنها تستعمل الشين عوضاً عن السين فقول الخطيئة وشيع هو وسيع الماء المعروف اليوم في شرق العرمة في جهتها الجنوبية .

ثم تجيز وادى الشلّى في الجهة الشمالية منه ، وهذا اسمه الجاهلي لم يتغير ، قال في معجم البلدان : وادى السلى قال أبو زياد : السلى بين اليمامة وهجر ، وقال أيضاً : السلى رياض في طريق اليمامة إلى البصرة ، ووادي الطنب ، فأما ذكره في هذه العبارة رياضاً فهي مقارنة لموضع الرياض اليوم ، وقال أبو الحسن على ذكر السلى : السلى واد من حجر ، وهذا أقربهم للصواب ، لأنه مخاطب حجر اليمامة ، قال الشاعر (١) :

لعمرك ما خشيت على أبي متآلف بين حجر والسلى
ولكني خشيت على أبي جريرة رحمه في كل حي
من الفتيان مخلولٍ عمر وأمار بإرشادٍ وغى
واسمه السلى إلى هذا العهد .

ثم يبدو لك جبل العرمة وثناياها وطرقها ، وهذا اسمها الجاهلي ، ولا تزال تعرف به إلى هذا جبل العرمة العهد ، وقد أوردنا شواهدا وشواهد بنبان فيما مضى .

ثم تتشعب الطريق إلى طريقين : فإما أن تصعد عقبة البويب ، أو تأخذ بذات اليمين على طريق يقال له التربي ، والتربي أسهل من طريق البويب ، ولكن جلالة الملك - حفظه الله - أمر بإصلاح طريق عقبة البويب ، فعبدت ، فكانت في مأمنٍ من انقلاب السيارات وغيرها . ثم ترد منهل رماح ، وعليه مركز وإمارة ، وهذا اسمه الجاهلي ، وهو من مناهل بني تميم في الجاهلية ، ولم يتغير اسمه بحرف واحد ، قال جرير في قصيدة حاثية مشهورة له مدح بها عبد الملك ابن مروان وهذا (٢) مطلعها :

أنصحو أم فؤادك غير صاح عشية همّ أهلك بالرواح

يُكَلِّفُنِي فَوَادِي مِنْ هَوَاهُ طُعَانٌ يُخْتَرَعُ عَلَى رِمَاحٍ
إِلَى أَنْ قَالَ فِي مَدْحِ الْخَلِيفَةِ :

أَلَسْتُ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأُنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونِ رَاحٍ

ورِمَاحُ بَاقٍ بِهَذَا الْاسْمِ إِلَى هَذَا الْعَهْدِ ، وَمَنْهَلُ رِمَاحٍ هُوَ آخِرُ مَنْهَلِ الْعَرْمَةِ مِمَّا يَلِي الدَّهْنَاءَ فِي هَذَا الطَّرِيقِ فِي شَرْقِ الْعَرْمَةِ ، وَلَهَا طَرِيقٌ ثَانِيَةٌ ، وَعَلَيْهَا مَنْهَلٌ ، وَآخِرُ مَنْهَلٍ « وَسَمِعَ » وَهُوَ الْجَنُوبِيُّ مِنْهَا ، وَمَنْهَلُ سَدِيرَةٍ ، وَمَنْهَلُ أَبُو جَفَّانَ ، وَمَنْهَلُ سَعْدٍ ، وَمَنْهَلُ رَمْلَانٍ ، وَمَنْهَلُ رِمَاحٍ ، وَمَنْهَلُ حَفَرِ بَنِي سَعْدٍ ، وَهَذِهِ مَنْهَلُ الْعَرْمَةِ الَّتِي عَلَى الطَّرِيقِ طَرِيقُ الْأَحْسَاءِ وَالسَّكُوتِ وَعَيْنِينَ ، وَيُنْعَقَدُ فِي طَرَفِ الْعَرْمَةِ الشَّمَالِيِّ جَبَلٌ مَجْزَلٌ ، وَيَتَمَدُّ إِلَى جِهَةِ الشَّمَالِ فِيهِ مَنْهَلٌ : فِي جِهَتِهِ مِمَّا يَلِي الدَّهْنَاءَ مَنْهَلُ تَيْمِرٍ ، وَمَنْهَلُ أَتْمَرِيَّةٍ ، وَمَنْهَلُ مَبَايِضٍ ، وَمَنْهَلُ بَوْضَاءٍ ، وَمَنْهَلُ الدَّجَانِيِّ وَمَنْهَلُ الْبَتِيرَاءِ ، وَمَنْهَلُ الْقَاعِيَةِ ، وَمَنْهَلُ أُمِّ الْجُلَاحِمِ . وَمَنْهَلُ الْأُرْطَاوِيَةِ الْمُهْجَرَةِ الْمَشْهُورَةِ لِمَطِيرٍ ، وَمَنْهَلُ أُمِّ جَرِيفٍ ، وَمَنْهَلُ جَرَابٍ ، وَمَنْهَلُ الشَّشَاشِ ، جَمِيعُ هَذِهِ الْمَنَاهِلُ مُتَّصِلَةٌ فِي جَبَلٍ مَجْزَلٍ ، قَالَ فِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ : مَجْزَلُ جَبَلٍ بِالْيَمَامَةِ ، وَالْأَرْضُ الْوَاقِعَةُ بَيْنَ مَجْزَلٍ وَالدَّهْنَاءِ وَالْعَرْمَةِ يَقَالُ لَهَا « الْبَطِينِيَّاتِ » وَأَعْظَمُ الطَّرِيقِ لِلْسَّيَارَاتِ الْقَاصِدَةِ لِلْكَوَيْتِ هَذَا الطَّرِيقُ الَّذِي يَمُرُّ بِرِمَاحٍ .

الدَّهْنَاءُ

ثُمَّ تَخْرُجُ مِنْ رِمَاحٍ مُتَجَهَّةً إِلَى الدَّهْنَاءِ ، وَهِيَ قَرِيبٌ مِنْكَ ، وَلِلدَّهْنَاءِ ذِكْرٌ فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ وَأَخْبَارِهِمْ ، وَذَكَرُوا أَنَّهَا فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ سَبْعَةُ جِبَالٍ مِنَ الرَّمْلِ وَبَيْنَ كُلِّ جَبَلَيْنِ مَسَافَةٌ طَوِيلَةٌ ، وَفِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ خَمْسَةُ جِبَالٍ مِنَ الرَّمْلِ ، وَمَسَافَتُهَا الَّتِي بَيْنَ طَرَفِهَا الْغَرْبِيِّ إِلَى طَرَفِهَا الشَّرْقِيِّ لَا تَقِلُّ عَنِ الْيَوْمِ ، وَفِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ تَزِيدُ عَنْهُ ، قَالُوا فِي ذِكْرِ الدَّهْنَاءِ : إِنَّهَا إِذَا أُخْصِصَتْ تَحْمِلُ جَمِيعَ أَغْرَابِ نَجْدٍ ، وَذَكَرُوا فِي تَحْدِيدِهَا أَنَّ طَرَفَهَا الْجَنُوبِيَّ يَبْرِينُ ، وَطَرَفَهَا الشَّمَالِيَّ حَزْنُ الْيَنْسُوعَةِ ، وَهُوَ الَّذِي يَقَالُ لَهُ الْيَوْمُ الْحَزْلُ ، قَالَ فِي الْمَعْجَمِ عَلَى ذِكْرِ جِبَالِهَا الْخَمْسَةِ الَّتِي يَرْتَسِكُ فِيهَا الرَّمْلُ : الْجَبَلُ الْأَعْلَى مِنْهَا الْأَدْنَى إِلَى حَفَرِ بَنِي سَعْدٍ هَذَا مَوْحَفَرُ الْعَتَكِ يَقَالُ لَهُ خَشَاخِشٌ ، لِكَثْرَةِ مَا يَسْمَعُ مِنْ خَشْخَشَةِ أَمْوَالِهِمْ فِيهِ ، وَالْجَبَلُ الثَّانِي حَمَاطُنُ ، وَالثَّلَاثُ جَبَلُ الرَّمْثِ ، وَالرَّابِعُ مَبْعَرُ ، وَالْخَامِسُ جَبَلُ حَزْرَوَى ، وَقَدْ أَكْثَرَ الشُّعْرَاءُ مِنْ ذِكْرِهَا ، وَبِالْأَخْصِ ذُو الرِّمَةِ ، وَقَالَ أَغْرَابِيُّ حَبَسَ بِحَجَرِ الْيَمَامَةِ :

هَلِ الْبَابُ مَفْرُوجٌ فَأَنْظِرْ نَظْرَةً بَعَيْنٍ قَلْتَ حَجَرًا فَطَالَ احْتِمَامُهَا
أَلَا حَبْذَا الدَّهْنَاءُ وَطَيْبُ تَرَابِهَا وَأَرْضٌ خَلَاءَ بَصَدَحِ اللَّيْلِ هَلُمُّهَا

وَنَصُّ الْمَهَارَى بِالْعَشِيَّاتِ وَالضَّحَى
وَقَالَتِ الْعَيُوفُ بِنْتُ مَسْعُودٍ أَخَى ذَى الرِّمَّةِ :

خَلِيلِي قَوْمًا فَارْفَعَا الطَّرْفَ فَانْظُرَا
أَصَاحِبَ شَوْقٍ مَنْظَرًا مَتَرَاخِيَا
عَسَى أَنْ نَرَى وَاللَّهِ مَا شَاءَ فَاعْلَمْ
بِأَكْثَبَةِ الدِّهْنَاءِ مِنَ الْحَيِّ بَادِيَا
وَإِنْ حَالُ عَرْضِ الرَّمْلِ وَالْبُعْدُ دُونَهُمْ
فَقَدْ يَطْلُبُ الْإِنْسَانُ مَا لَيْسَ رَأْيَا
يَرَى اللَّهُ أَنَّ الْقَلْبَ أَضْحَى ضَمِيرُهُ
لَمَّا قَابَلَ الرَّوْحَاءَ وَالْعَرَجَ قَالِيَا
وَأَسْمَ الدِّهْنَاءِ بَاقِي إِلَى هَذَا الْعَهْدِ لَمْ يَتَغَيَّرْ .

فَإِذَا جُرِزَتِ الدِّهْنَاءُ - أَى أَكْثَبَةُ الدِّهْنَاءِ - فَالْتَفَتَ عَلَى يَمِينِكَ تَرَى « حَزْرَى » مَنْقُطَةً مِنَ الدِّهْنَاءِ
وَاخْتَصَّتْ بِهَذَا الْأَسْمِ وَهِيَ قِطْعَةٌ رَمَلٍ مِنَ رَمْلِ الدِّهْنَاءِ ، وَقَدْ أَكْثَرَ الشُّعْرَاءُ مِنْ ذِكْرِهَا ، وَأَسْمَاهَا
لَمْ يَتَغَيَّرْ إِلَى هَذَا الْعَهْدِ ، وَأَعْرَفَ ثَلَاثَةُ مَوَاضِعَ تَسْمَى « حَزْرَى » مَوْضِعٌ فِي عَالِيَةِ نَجْدِ بَيْنِ جَبَلِ
الْحِجَارِ وَعَرَقِ سَبِيْعٍ ، وَالْمَوْضِعُ الثَّانِي فِي سَدُوسٍ بَاقِي إِلَى هَذَا الْعَهْدِ بِهَذَا الْأَسْمِ ، وَإِلَيْكَ عِبَارَةٌ مِنْ
عِبَارَاتِ مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ عَنْ الْيَمَامَةِ قُلْ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ بْنِ أَبِي حَفْصَةَ : حَزْرَى بِالْيَمَامَةِ ، وَهِيَ نَخْلٌ
بِحِذَاءِ قَرْيَةٍ بَنَى سَدُوسٌ ، وَحَزْرَى الَّتِي كُنَّا فِي ذِكْرِهَا الْمَنْقُطَةُ مِنَ الدِّهْنَاءِ وَهِيَ عَلَى حَدِّ الصُّلْبِ ،
قَالَ ذُو الرِّمَّةِ :

خَلِيلِي عُوجًا مِنْ صُدُورِ الرُّوَا حِلِّ
لَعَلَّ انْحِدَارَ الدَّمْعِ يُعْقِبُ رَاحَةً
وَقَالَ أَعْرَابِي :

مَرَرْتُ عَلَى دَارِ نَظْمِيَاءٍ بِاللَّوَى
وَدَارٍ لِلْيَمْلِ إِنْهَنَ قِفَارُ
فَقُلْتُ لَهَا بِادَارِ غَيْرِكَ الْبَلَى
وَعَصْرَانِ لَيْلٍ مَرَّةً وَنَهَارُ
فَقَالَتْ نَعَمْ أَيْنَ الْقُرُونُ الَّتِي مَضَتْ
وَأَنْتَ سَتَفْنِي وَالشَّبَابُ مُعَارُ
نَحْنُ طَائِفَةُ أَيَّامٍ بِحَزْرَى أَقْدَأْتُ
عَلَى لَيْالٍ بِالْعَقِيقِ قِصَارُ

وَقَالَتِ الْعَيُوفُ بِنْتُ مَسْعُودٍ أَخَى ذَى الرِّمَّةِ :

أَلَا لَيْتَ شَعْرِي هَلْ أَبَيْتَنَ لَيْلَةً
نُجْمُهُورُ حَزْرَى حَيْثُ رَبَّتْنِي أَهْلِي
وَصَوْتُ شِمَالٍ زَعَزَعَتْ بَعْدَ هَجْمَةٍ
أَلَاءَ وَأَسْبَاطًا وَأَرْطَى مِنَ الْحَبْلِ
أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ صِيَا حِ دَجَاجَةٍ
وَدِيكَ وَصَوْتُ الرِّيحِ فِي سَعْفِ النَّخْلِ
وَهِيَ بَاقِيَةٌ بِهَذَا الْأَسْمِ إِلَى هَذَا الْعَهْدِ .

الصلب ثم تطلع على الصلب ، وهذا الصلب ما بقى اسم الدهناء فهو باقى في جبهتها الشرقية ، متصل بها جنوباً وشمالاً ، وهو الفاصل بين الدهناء والصفان ، إذا خرجت من الدهناء فأنت في متن الصلب ، وهذا اسم له جاهلى ، وقد بقى به إلى هذا العهد ، وبه يوم من أيام العرب ، وفيه ملازم ماء كثيرة : منها خسيفاء ، ومعقلاء ، والشملول ، قال ذو الرمة في ذكر الصلب :

له واحف فالصلب حتى تقطعت خلاف الثريا من أريب ماريه

وقال الشاعر :

كأن غدير الصلب لم يصح ماؤه له حاضر في مريع ثم واسع

وقال جرير :

ألا رب يوم قد أتيت لك الصبا بذى السدر بين الصلب فالشلم
فما حدثت عند اللقاء مجاشع ولا عند عقد تمنع الجار محكم

ثم تتجه إلى جهة القطب الشمالى في الجهة الشرقية منه ، ثم تأتى خسيفاء ومعقلاء والشملول ، وفى الشملول مركز ومكينة أرتوازية يردها المشرق والمغرب ، وجميع الناس ، وذلك من إصلاحات جلالة الملك حفظه الله ، وهذا الموضع هو أعظم مظماً فى تلك الناحية ، كما أنه أمر بوضع مكينة أخرى أرتوازية فى روضة الحنى بين منهل أبى جفان وبين الأحساء ، وذكروا على معقلاء أنها سميت بهذا الاسم لأنها تعقل الماء عن الخروج ، ويبقى فى وسطها ، قال الأزهري على ذكر معقلاء :

وقد رأيتها وفيها أخبار كثيرة تمسك الماء دهرأ طويلا ، وبها جبل رمال يقال لها الشماليل ، قال ذو الرمة :

جوارية أو عوهج معقلية ترود بأعطاف الرمال الحرائر

وقال يصف الحر فى شطريئت :

* وثب المسحج من عانات معقلة *

ومركز الحكومة فى الشملول نفسه ، ومعقلاء باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد ، والشملول باق بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهو اسم اجاهلى ، وفيهم من يقول له الشماليل ، قال ذو الرمة :

وبالشماليل من جلان مقتنص رث الثياب خفى الشخص منزرب

وخسيفاء على اسمها إلى هذا العهد .

ثم تشرق على قارعة الطريق المتجه إلى جهة الكويت ، ثم تدخل الصمان ، قال الأصمعى :

الصمان أرض غليظة دون الجبل ، قال أبو منصور : وقد شتوت بالصمان شتوتين ، وهى أرض فيها

غلظ وارتفاع ، وفيها قيعان واسعة ، وخَبَارٌ تَنَبَّتِ السُّلُرُ عَذْبَةً ، ورياض معشبة ، وإذا أخضبت ربت العرب جمعا ، وكانت الصَّمان من قديم الزمن لبني حَنْظَلَةَ ومن والاها من بني تميم ، والدهناء لهم ، هذه الرواية من روايات المعجم ، وقالوا في غيره : إذا أخضبت الدهناء لم تَصِقْ بأعراب نجد ، وقال الآخر : إذا أخضبت الصمان لم تَصِقْ بالأعراب ، وقال الأصمى : من شَتَّى في الدهناء وترَبَّع الصمان واصطاف الحمى فقد أصاب للرعى ، وقال : في الصمان موضع يقال له : صمانه ، واستدل بقول ذى الرمة :

يعل بماء غادية سقته على صمانه وصنى فسالا

وقال حسان :

لمن الدار أقفرت بعمان بين شاطئ اليرموك فالصمان

فالتقريَّات من بلاس فداريّـافسكاه فالتقصير الدواني

والصمان باق على اسمه إلى هذا العهد .

ثم تتجه قاصداً أيسر الشرق وجميع مياه الشواجن على شمالك ، وهى : اللهاية - وفيهم من مياه الشواجن يقول لها ب - والقرعى ، واللصافة - وفيهم من يسميها لصف - ووبرة ، واسمها في الزمن القديم ثبرة ، وقرية ، واسمها في الزمن القديم طويلع ، قال : ومن مياه الشواجن منهل طويلع ، وهو قريب المتزَّع ، عَذْبُ الماء ، وليس هناك منهل قريب المتزَّع عذب الماء إلا ماء قرية ، قال على ذكر اللهاية - وهذا حجة لمن سماها لها ب - قال أوفى بن مطير المازنى مازن تميم ^(١) :

فسلّ طلابها وتعزّ عنها بناحية تخيل في الركاب

طَوّت قرنا ولم تطعم خبيّا وأظهر كشحها لقمع الذباب

كأن مواقع الأنساع منها على الدفين أجرد من لها ب

وقال بعض شعراء بني تميم :

منع اللهاية حمضها ونجيلها ومنابت الضمران ضربة أسفع

وقال حاجب بن ذبيان المازنى مازن تميم :

إذا ما التقينا لا هوادة بيننا فبئست أنى من قال من ألم مهلا

فإن بفلج والجهال وراءه جماهير لا يرجوها أحدٌ تَبَلّا

فإن على جوف اللهاية حاضرا حرارا يسنون الأسنّة والنَّبَلّا

ويكفيك شاهداً على لصف وثبرة قول النابغة :

وبالمُرْقِلَاتِ من لُصاف وثيرة يَزرَن أَلَا سِيرَهَن التَدافِع

لُصاف تسمى في هذا العهد اللصافة ، وثيرة يقال لها ورة ، والقرعى : منهل بين اللصافة واللاهابة ، واللصافة والقرعى واللاهابة طولهن من سبع وثلاثين باعا إلى ثلاثين باعا ، والقرعى على اسمها لم يتغير ، وقد غلط صاحب معجم البلدان في ذكره القرعى حيث قال : هو منزل في طريق مكة من الكوفة بعد المغيثة وقبل واقصة ، إذا كنت متجها إلى مكة ، وبين المغيثة والقرعى الزبيدية ومسجد سعد والخبراء ، وبين القرعى وواقصة على ثلاثة أميال بئر تعرف بالمرعى ، وبين القرعى وواقصة ثمانية فراسخ ؛ هذه العبارة تحدث عن القرعى الواقعة في أعلى التقسيم وما يليها من النواحي ؛ لأنه ذكر الخبراء ، وذكر مواضع كثيرة محيطة بالقرعى ، ثم استطرد في عبارته ولم يُنبّه على شيء منها ، إلا أنه جعلها قرعى واحدة ، ثم قال : وفي القرعى بركة وركايا لبني عُذانة وكانت بها وقعة بين بني دارم بن مالك وبني يربوع ، بسبب هيج جرى بينهم على الماء ، وهذه العبارة الأخيرة التي ذكر فيها الواقعة فهي في الفرعاء الواقعة في الشواجن التي تعد من مياه الصّمان فإذا تركت تلك المواضع المذكورة على شمالك بدا لك الحمار ، حمار قرية ، وهو معروف بهذا الاسم عند أهل تلك الناحية ، وهو جبل متصل به أبارق ورمال من الجهة الجنوبية إلى الجهة الشمالية ، غربي قرية ، يقال له الحمار ، ولا أعلم في نجد من الجاد شيئا بهذا الاسم ، إلا حمارين : حمار قرية الذي كنا في ذكره ، والحمار الواقع بين جبل ظلم وبين البقرة .

ثم تصل قرية وهي التي تسمى طويلعا ، وقد أكثر الشعراء من ذكرها ، قال ضمرة بن ضمرة النهشلي نهشل تميم :

طوياع

فلو كنت حربا ما بلغت طويلعا ولا جوفه إلا خميسا عرمرما

وقال الخفصى : طويلع منهل بالصّمان ، وفي كتاب نصر : طويلع وادٍ في طريق البصرة إلى اليمامة بين الدوّ والصّمان ، والدوّ : هي الدبدبة والقرعة المعروفتان في تلك الطريق ، قال أعرابي رثي واحداً :

وأى فتى ودعت يوم طويلع عشيّة سلّمتا عنه وسامها

وما يصدور العيس منحرف الغلا فلم يدر خنقٌ بعده أين يمتما

فياجازي الفتيان بالنعم أجزه بنعمك نغمي واعف إن كان أظلما

وعندى دليل واضح على أن طويلعا هو الذي يسمى « قرية » اليوم ، كنا في بدنا ذات غسل سنة ١٣٢٢ هـ وأنه حديث السن ، فنزل عندنا أعراب من عتيبة ، وفيهم شيخ كبير السن من ذوى زياد من

قبيلة النعفة ، يقال له « طويلع » فسأله والدى وأنا حاضر : لماذا سماك أهلك طويلاً ؟ قال : كنا مع مطير وأنا فى بطن والدتى ، وتربنا الصمان ، ووضعتنى فى وادى قرية ، وذلك الوادى يقال له طويلع ، فسمونى باسمه ، فبعد ما كبرت وفهمت سألت والدى عن هذا الاسم ، فقال : ولدت فى وادى طويلع الذى يصب فى قرية فسميناك باسم ذلك الموضع ، وفى هذا العهد لم أكن سمعت له ذكراً ، وقرية بها مركز وإمارة لحكومة جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود .

فإذا خرجت متجهها إلى السكويت بين الشرق والقطب الشمالى بدا لك حزم مرتفع عن الأرض له منظر كمنظر الحمار الذى مر ذكره ، واسكنه أصفر منه ، يقال له الوريعة ، وهذا اسمه الجاهلى ، وهو باق بهذا الاسم إلى هذا العهد ، قال جرير :

أقيم أهلك بالستار وأصعدت بين الوريعة والمقاد حول

قال فى معجم البلدان : الوريعة حزم لبنى فقيم بن جرير بن دارم ، وجميع تلك المواضع معروفة لبنى تميم ، قال شاعر تميمى اسمه ربيعة بن سفيان :

تبصر خليلي هل ترى من ظعان خرجن سراعا واقتعدن المناثما
تحمأن من جو الوريعة بعد ما تعالى النهار وانتجعن الصراثما
تحلين ياقوتاً وشذراً وصيفة وجزعا ظفاريا ودرّاً توائما
سلكن القرى والجزع تُحْدَى جاهلم ووركن قوا واجتزعن المخارما
قالى جناب حلقة فأطعته فنفك ولّ اللوم إن كنت لأثما
كان عليه تاج آل محرق بأن ضرّ مولاه وأصبح سلما

لنا فى هذه الأبيات نظرة ، وذلك فى قوله :

* سلكن القرى والجزع تُحْدَى جاهلم *

وذلك لأن موضع « قرية » ليس من شك أنه وادى طويلع ، ويمكن أن قرية اسمها قديم ولم نعثر لها على ذكر إلا فى هذه الأبيات فى قوله « سلكن القرى » لأنها قريتان : قرية الشمالية ، وقرية الجنوبية ، وهما باقيتان بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وأما الوريعة ففيها مركز مربوطة معاملته بمركز قرية ، وهذا المركز عن تهريب وغيره .

ثم تنجّه من الوريعة قاصداً السكويت ، وترد القنادية ، وهو منهل معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهذا اسمه الجاهلى ، قال فى معجم البلدان : وذات القنّاد موضع وراء الفلج ، واستطرد على هذا الاسم إلى أن قال : قنّاد ، ثم قال : قنّادة ، واستدل بقول الشاعر أنشدته الأديبى :

(٢٣ - صحيح الأخبار ٢)

حتى إذا أسلكوها في قنائدة شلاً كما تطردُ الجمالة الشردا
وذكر القنود ، واستدل بقول عدى بن الرقاع :

قرية حبك المقيظ وأهلها يخشى مآب ترى قصور قرأها
واحتل أهلك ذا القنود وغرباً فالصحصحان فأين منك نواها

وعندى أن العبارة الأولى وشاهدها أصبح من هذه العبارة ، والمسافة الواقعة بين التنادية وبين قرية يقال لها في هذا العهد الدبدبة ، والقرعة ، وكانت في الزمن القديم يقال لها الدو ، واختلف أهل اللغة في لفظ الدو وما يطلق عليه ؛ فمنهم من قال : إنه يطلق على كل أرض متسعة مستوية ليس بها جبال وكل أرض على هذه الصفة يقال لها الدو ، وقال آخرون : بل هو موضع بعينه في شرق الصمان ، يمتد من الجنوب إلى جهة الشمال كامتداد الصب في غربي الصمان ، ما دام الصمان معك فالصلب معك ، في جهته الغربية ، وما دام الصمان معك فالدو معك في جهته الشرقية ، والدو هو الذي يسمى اليوم الدبدبة والقرعة ، قال في أخبار القرامطة : لما وردوا حفر أبي موسى الأشعري ، ثم صدروا منه وسلكوا الدو ثم وردوا ماء يقال لها ثبرة ، فهلك لهم ركاب كثيرة من مائها ، فهم على هذا السير قاصدون عاصمة ملكهم القطيف ، وثبرة التي كانت تسمى بهذا الاسم في الزمن القديم هي وبرة اليوم ، وهي معروفة تبعد الإبل إذا وردتها على ظمأ ، وإذا بقي هذا المنهل لم يورد ، وبقي بصراته قتل الرجال ، أعرفه قتل خمسة أشخاص ، كان إذا سقطت الدو ونزل صاحبها في البئر يريد إخراجها انعطف ومات في الصراء ، فَمَا الَّذِي يَعْلَمُ حَالَهَا وَلَيْسَ جَاهِلًا بِهَا فَإِنَّهُ يَتْرُكُ دَلْوَهُ ، وهي مجاورة لقرية المذكورة المعروفة اليوم ، ولم تفرد بلفظ قرية إلا في هذا العهد احدث بعد ما سكنها مطير جماعة الدويش ، ثم عمرها مركز الإمارة بخلافة الملك عبد العزيز آل سعود لما أسست فيها هي ومركزها الرسمي ، والذي أعرفه عنها في القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر أنها لم تكن تسمى عند جميع أهل نجد إلا باسم « قريبات » على صورة الجمع ، وفي أواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر خرج محمد آل صباح ، وأخوه جراح أمراء الكويت ، ونزلوا قرية ومعهم خيام وخدّم على صفة القنوص ، ولكنهم مكثوا فيها ، فقال شاعر من أهل نجد من شعراء النبط :

الْبَرْ لَلَّيْ يَنْطَخُونُ الْمُؤَجَّبَاتُ رَبْعَى هَلْ الْعَوْجَا عَمَى عَيْنِ الْخُرَيْبِ
وَيْشَ الَّذِي جَانِبَ الْكُوَيْتِ لِقَرِيَّاتٍ مَا قَادَهُ الْعَاقِلُ وَلَا الرَّأْيُ الصَّليْبِ

وأعرف شاعرا من أهل نجد في أوائل القرن الرابع عشر ، قال قصيدة نبطية يذكر فيها

الجيش ، فقال :

يَا رَاكِبَ خَمْسٍ مِنَ الْمُخَفَّاتِ مَنْ سَأَلَ وَاحِدَ مَا خَطَّطَنَ حَدَاثَةً
هَذَا لَهْنٌ خَمْسٌ وَهَنْ حَائِلَاتٍ وَلَا هَجْرٌ عَنْ لُحُورٍ ذَا كِرَاتَةٍ
خَذَنْ مِنَ النَّعْمَةِ وَهَنْ مَنَعَاتٍ فِي صَفٍّ شَيْخٌ تَحْتَمِيهَا قَنَاتُهُ
مَا طَرَخْشَمَ مُحَبَّبُهُ أَقْرِيَاتٍ لَا ذَكَرَ وَشَمِي رَعْنٌ فِي نَمَاتِهِ

ولا تعرف هذه المناهل التي يقال لها قرية اليوم إلا بقولهم « قرية » على صورة الجمع ، ونلك النواحي من الدو إلى قريب الوشم هي بلاد تميم في الزمن القديم في جاهليتهم وفي إسلامهم ، وأما السكوت ^(١) فظني أنه اسم حديث ؛ لأنني لم أجده في ذكر في أشعار العرب ، لا في الجاهلية ولا في صدر الإسلام .

وهذا الطريق الذي سلكناه هو طريق السيارات ، وأما طريق الإبل من نجد إلى الكويت فأبعد منهبل يرده السالك شمالاً حفر أبي موسى الأشعري ، وأبعد المناهل الجنوبية ماءة الليسابة ، وجميع ما ثبت لدينا أنه باق على اسمه الجاهلي على هذا الطريق الذي سلكناه من جدة إلى الكويت قد أثبتنا ذكره ، وأوردنا شاهده ، والاختلاف في الأسماء قليل ، إما بنقص حرف واحد ، أو بإبدال حرف مكان حرف .

* * *

ونرجع الآن إلى ما كتبه فيه من المواضع :

٤٣ — قال عامر بن الطفيل يرثي ابن أخيه عبد عمرو بن حنظلة بن الطفيل :

وَهَلْ دَاعٍ قَسَمَ عَبْدُ عَمْرٍو لِأَخْرَافِ الْخَيْلِ تَصْرَعُهَا الرِّمَاحُ
فَلَا وَأَيْكَ مَا أُنْسَى خَلِيلِي بِيَدُوَّةٍ مَا تَحَرَّكَتِ الرِّيحُ
وَكُنْتُ صَفِيَّ نَفْسِي دُونَ قَوْمِي وَوَدَى دُونَ حَامِلِهِ السَّلَاحُ

وقال تميم بن أبي بن مقبل :

هَلْ أَنْتَ تُحِبِّي الرَّبْعَ أَمْ أَنْتَ سَائِلُهُ بِحَيْثُ أَفَاضْتَ فِي الرِّكَاءِ مَسَائِلُهُ
وَكَيْفَ تُحِبِّي الرَّبْعَ قَدْ بَانَ أَهْلُهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَشْهُ وَجَنَادِلُهُ
وَقَدْ قُلْتَ مِنْ قَرَطِ الْأَسَى إِذْ رَأَيْتَهُ وَأَسْبَلَ دَمْعِي مُسْتَهْلًا أَوَائِلُهُ

(١) ثبت لدينا أنه اسم حديث ، وكان أول من بنى في ذلك الموضع ابن عريعر ، فقد بنى قصرًا سماه السكوت ، وكان يضع فيه أرزاقه ، ثم طلب منه ابن صباح أن يأذن له في أن يبني بجانبه قصرًا ، فأذن له ، فبنى وسماه السكوت ، فبقى السكوت ، وذهب السكوت مع ذهاب ملك آل عريعر .

ألا يا قَوْمِي للديار ببدوة وَأُنَى مَرَّاحِ المرء والشَّيب شامله
ذكر الشاعران بدوة ، وقد مررنا على ذكرها في قول الأعشى عند ذكره للسخال وبادولى ،
وهى قريبة السخال ، وهى باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد « بدوة » هضبات خرجة من الهضب
في جهته التى تلى مطلع الشمس ، فمنهم من يفردده ، ويسمىها بدوة ، ومنهم من يسميها بدوات ،
واقعة عن الحمل مما يلى مطلع سهيل ، وزاد ابن مقبل في قصيدته فذكر الركبا ، وقد مضى الكلام
عليه في كتابنا هذا ، وهو من أعظم أودية نجد ، وهو امتاخ لتلك الناحية التى فيها بدوة ، وقال
أعرابى جاهلى :

ومرّ على ساقى مريخة فالتس به شربة يسنيكها أو يبيعها

قال الأصمعى : إنها ماء إلى جنب المردمة ، وهذا غلط ، فإن مريخة فى الزيدى تقع فى جنوبيه
وهى بئر جاهلية انهدمت فلم تَبْعَثْ إِلَّا فى هذا العهد الحديث ، بعثها ابنُ ثابت من الشياطين ،
استدل عليها بآثارها ، وأعلاها لم يتهدم ، والزيدى فى القطعة الجنوبية من نجد ، وهى معروفة
بهذا الاسم إلى هذا العهد ، يقال لها مريخة .

* * *

٤٤ — وقال جرير :

يا أيها الراكب المَرْجِي مطيئُهُ بلغ تحيئتنا لقيت خِلَانَا
نهدى السلام لأهل الغور من ملح هيهات من ملح بالغور مهدانا
أَحْبَبُ إِلَيَّ بِذَلِكَ الْجُزْءِ مَنْزِلَةَ بِالْمَلْحِ طَلْحَا وبالأعطان أعطانا
وقال شاعر آخر يقال له أبو الغنائم المدائنى :

حَنَنْتِ وَأَيْنَ مِنْ مَلْحِ الْحَنِينِ ؟ لقد كذبتكِ ياناقِ الظنونُ
وشاقك بالغَوِيرِ وميضُ برقِ يلوحُ كما جَلَا السيفَ القُيُونُ
فَإِنْتَ تَفْتَنِينَ لَهُ شِمَالًا ودون هواك من ملح يَبِينُ

ملح : منهل قريب من السكويت لا يزال على اسمه إلى هذا العهد ، وهو معروف بهذا الاسم عند
جميع العرب ، وكان به يوم عظيم بين الإمام عبد الله بن فيصل والعجمان ، وكانت النصره فى ذلك
اليوم للإمام عبد الله بن فيصل ومن معه من المسلمين على العجمان . قتلوه قتلا ذريعا وانهمزت
جميع قبائل العجمان ومن عاضدهم من أعراب تلك الناحية .

* * *

عَوْدٌ عَلَى بَدْءٍ :

الوريمة التي مر ذكرها هي التي قال فيها جرير :
أقيم أهلك بالستار وأصعدت بين الوريمة والمقاد حول
وقال أيضا مروان بن أبي حفصة :

قطع الصرائم والشقائق دوننا ومن الوريمة دوحا فمقأها
وظني أن المقاد هو الذي يسمى حمار قرية اليوم ، والدو معروف أنه الدبدبة والقرعة ، والوريمة :
معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد على طريق الكويت ، بها مركز لحكومة جلالة الملك عبد العزيز
تمر بها وأنت خارج من قرية .

* * *

وقد انتهى الحديث عن الطريق السالك من الحجاز إلى الكويت ، وأوردنا ما ورد فيه من
الشواهد ، وذكرنا بقاعه وأوديته ومياهه وجباله ، وبقي جبل صغير يقال له «أوارة» يقع قريبا من
الكويت ، يجاور ماء الصبيحية المنهل المعروف ، وهذا اسمه الآن ، وقد كان يقال له في الزمن
القديم «أوارة» ذكر في معجم البلدان موضعين بهذا الاسم : موضعاً ذكره ، وموضعاً أنثه ،
قال على أوار وهو المذكر مستدلاً بشعر ابن أبي خازم :

كأن ظباء أسنة عليها كوانس قاصاً عنها المغار
يفلجن الشفاء عن أقحوان جلاه غب سارية قطار
وفي الأطلان آتنة لعبو تيمم أهلها بلداً فساروا
من اللأى غذين بغير بؤس منازلها القصيمة فالأوار

وأما المؤنث الذي كان يقال له «أوارة» في الزمن القديم وهو وارة اليوم فهذه عبارة صاحب
معجم البلدان بعينها ، قال : أوارة : جبل لبني تميم ، قيل بناحية البحرين ، وهو الموضع الذي حرق
فيه عمرو بن هند بن تميم ، وهو عمرو بن المنذر بن النعمان بن امرئ القيس بن عمرو بن عدى بن
نصر بن عمرو بن الحارث بن مسعود بن مالك بن عثم بن نمارة بن لحم بن عدى بن مرة بن أدد
ابن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وأما أمه هند فهي بنت الحارث بن
عمرو المقصور بن آكل المرار بن معاوية بن ثور وهو كندة السكندى الملك ، وكان من حديث
ذلك أن أسعد بن المنذر أخا عمرو بن هند كان مستودعاً في بني تميم ، فقتل فيهم خطأ ، فحلف

عمرو بن هند ليقتلن به مائة من بنى تميم ، فأغار عليهم في بلادهم بأوارة ، فظفر منهم بتسعة وتسعين رجلا ، فأوقد لهم نارا وألقاهم فيها ، وصر رجل من البراجم ، فشم رائحة حريق القتلى ، فظنه قتارَ السَّوء ، فقال إليه ، فلما رآه عمرو بن هند قال له : ممن أنت ؟ قال : رجل من البراجم ، فقال : إن الشقي وافد البراجم ، فأرسلها مثلا ، وأمر به فألقى في النار ، وبرت تيمينه ، فسمت العربُ عمرو ابن هند « محرقاً » والبراجم : خمسة رجال في بنى تميم : قيس ، وعمرو ، وغالب ، وكلفة ، والظليم ، بنو حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، اجتمعوا وقالوا : نحن كبراجم الكف ، فغلب عليهم الاسم ، قال الأعشى :

ها إن عجرة أمه بالسفح أسفل من أوارة

وقال ابن دريد في مقصورة :

ثم ابن هند باشرت نيرانه يوم أوارة تميما بالصلاح

وقال أبو عبيد البكري في كتابه معجم ما استعجم على ذكر أوارة : و بأوارة قتل عمرو بن هند من بنى دارم تسعة وتسعين رجلا ، ووفى بالبرجي مائة ، وكان نذر أن يقتل منهم مائة بابنه أسعد الذي كان بنّاه زرارة بن عدس ، فلما ترعرع مرّت به ناقة كوما سمينة فرمى ضرعها وشدّ عليه ربّها سويد أحد بنى دارم فقتله ، وقال الأعشى في ذلك :

وتكون في السلف الموا زى منقراً وبنى زرارته

أبناء قوم قتلوا يوم القصيبة من أوارة

وقال جرير يعير الفرزدق ذلك :

ولسنا بذبح الجيش يوم أوارة ولم يستبحنا عامر وقبائله

وأوارة المذكورة هي وارة الواقعة في جهة الكويت ، لا تزال باقية بهذا الاسم لم تتغير غير أنه سقط من اسمها همزة .

ويخرج من هذا الطريق الذي ذكرناه طريق الأحساء قاصداً مطلع الشمس متجهاً إلى الأحساء ، ويقال له في هذا العهد « الجودي » نسبة إلى « جودة » وهو منهل جاهلي معروف في أشعار العرب وأخبارها ، إلا أن المتأخرين أسقطوا من اسمه الجاهلي ياء من أوله ، فقد كان اسمه الجاهلي يجوده ، وقد ذكرها صاحب معجم البلدان ، وقال : هي في بلاد بنى تميم ، وهي قريب منتصف الطريق بين الدهناء وبين الأحساء ؛ إلا أن المسافة الواقعة بين الأحساء وجودة أقرب ، وقد أكثر شعراء بنى تميم من ذكرها باسمها الجاهلي ، قال عبدة بن الطيب :

الجودي

لولا يجودة والحي الذين بها أمسى المزلف لا تذكو بها نار
وعبدة شاعر مخضرم أدرك الإسلام وأسلم ، وكان في جيش النعمان بن مقرن المازني الذين
حاربوا معه الفرس بالمدائن ، وقد ذكر هذه الغزوة في قصيدة له أولها :
هل حبل خولة بعد الهجر موصول أم أنت عنها بعيد الدار مشغول
إلى أن قال :

حلت خويلة في دار مجاورة أهل المدائن فيها الديك والفيل
يقارعون رؤوس العجم ضاحية منهم فوارس لا عزل ولا ميل
قال الأصمعي : أرثي بيت قالته العرب بيت عبدة بن الطيب .
فما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما
وهذا البيت من مرثية له في قيس بن عاصم المنقري .
وقال جرير على ذكر « جودة » في هجائه لربيعة الجوع :
فصبراً على ذل ربيع بن مالك وكل ذليل خير عادته الصبر
الأ تسألاني الجوجو متالع أما برحت بعدى يجودة والقصر
وقال جرير في قصيدة له :

فأنت على يجودة مستذل وفي الحى الذين على لهايا

* * *

وقد ذكرنا في كتابنا هذا قسماً من المواضع التي تكررت فيها المعارك مرتين في الجاهلية
والإسلام أو في الإسلام فقط ، وهي في القطعة المتوسطة من نجد ، وأطلت عليها الكلام ، ولكني
أحببت ذكرها هنا مجتمعة في اختصار ليسهل تناولها .

الحرملية : كان بها وقعة في الجاهلية ، وفي أول القرن الرابع عشر .
عرجاء : بها وقعة في الجاهلية في وادي النشاش ، ووقعة في أوائل القرن الرابع عشر .
والضلفعة : آخر معارك البطاح فيها ، وقبر بها مالك بن نويرة البربوعي ، وبها وقعة في أوائل
القرن الرابع عشر تقريباً .

والصريف : به وقعة في الجاهلية ، ووقعة في أوائل القرن الرابع عشر .
والشريف : في القطعة الواقعة بين مجبرات وحذنة وسناب الطرار ، هذه المواضع تكررت
فيها المعارك في الجاهلية وفي القرون الأخيرة .

فأما المواضع التي تسكرت فيها المعارك في القرون الإسلامية فهي : طلال ، وجراب .
وقد ذكرنا ذلك في كتابنا هذا مفصلاً ، وفي شهر شعبان من سنة ١٢٢٨ كانت معركة في
« تربة » بين أهل نجد وأهل الحجاز ومن معهم من الناس ، وكان رئيس أهل الحجاز راجحاً
الشرif ، فانهزم الحجازيون هزيمة شنعاء ، وفي شهر شعبان من سنة ١٣٣٧ كانت الوقعة المشهورة
في تربة بين أهل نجد وأهل الحجاز ، ورئيس أهل الحجاز الشريف عبد الله بن الحسين ، فانهزم
الحجازيون هزيمة أعظم من هزيمتهم الأولى ، وهناك موضع آخر قريب من « تربة » وهو « الطائف »
دخله أهل نجد في القرن الثالث عشر ، ودخلوه في القرن الرابع عشر ، وموقعة تربة الأولى
والأخيرة كل منهما كانت في شهر شعبان .

وقد انتهينا من ذكر المواضع الوارد ذكرها في أشعار العرب على الاختصار ، ولو أطلنا لضاقت
الجلدات بذلك ؛ أنظر إلى قصيدة جرير الفائية التي وفد بها على الوليد بن عبد الملك ، وهي
القصيدة التي مطلعها :

أنظر خليلي بأعلى ثَرَمَداء ضحى والعيس جائلة أغراضها خنف

تجد أنه ذكر بها خمسة وعشرين موضعاً ، وهي هذه :

ثَرَمَداء ، السر ، كابة ، الخرج ، الدام ، الأدمي ، برقة الروحان ، الغرف ، أسنمة ، نجد ،
الغور ، عسفان ، الجحف ، الشام ، السهبا ، فيحان ، الحزن ، الصمان ، الوكف ، بردى ، توماء ،
الفرات ، دجلة ، جمع ، العقر ، فجميع هذه المواضع ذكرت في قصيدة واحدة . وقد مر أكثرها في
كتابنا هذا ، وأسماؤها باقية إلى هذا العهد .

ثَرَمَداء : مدينة واقعة في جنوبي الوشم ، واسمها باقي على حاله ، وهي لبني سعد من تميم
في الجاهلية .

السر : هو الكتيب المرتكك الذي يميزه الطريق النافذ بين الدوادمي ومرة ، واسمه لم يتغير
إلى هذا العهد .

كابة : في القطعة الشمالية من بلاد بني تميم غربي الدهناء ؛ لأنني رأيت لها ذكراً في أشعار
بني تميم ، وقد اندرس اسمها الجاهلي .

الخرج : من أودية اليمامة ، باقي على اسمه .

الدام ، والأدمي : موضعان في اليمامة ، لا أعلم لهما ذكراً في هذا العهد .

برقة الدوحيان : معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد ، في وادي الخرج ، وسألت عنها الشيخ محمد

ابن عبد العزيز بن هليل قاضى الدوامى فى عهدنا هذا لأنه من أهل تلك الناحية ، فقال : معروفة عندنا ؛ فيهم من يسميها برقة الدوحان ، وفيهم من يسميها أبرق سارة .

الغرف : معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد .

أسنمة : معروفة بهذا الاسم فى جهة الزلفى .

نجد : معروف ، وشهرته تغنى عن تحديده .

الغور : هو غور تهامة .

عسфан : معروف بهذا الاسم فى الجهة الشمالية من وادى فاطمة .

الجحف : معروفة بهذا الاسم فى الجهة الشمالية من عسфан ، وهى الجحفة المعروفة اليوم .

السبهاء : معروفة باسمها هذا فى وادى الخرج .

فيحان والحزن والصمان والوكف جميعها فى القطعة الشمالية من الصمان ، وباقية بهذه الأسماء

إلى هذا العهد .

الشام : معروف .

برَدَى : هو نهر دمشق الشام .

توماء : لا تكون إلا فى جهة الشام ؛ لأنه ذكر الناقوس فيها ومنهم من قال : يعنى تيماء ،

وأبدل الياء واوا .

الفرات : نهر معروف ، ودجلة كذلك .

تجمع : هى منازل منى .

العقر : ^(١) ذكره الشاعر فى هجائه لآل المهلب فى آخر قصيدته ، ويقال له « عقر بابل »

قتل عنده يزيد بن المهلب فى سنة ١٠٢ هـ .

قال مصنفُ هذا الكتاب : لقد سألتى بعض أهل الأدب : هل بقى من العرب قبيلة فى

منازلها من العهد الجاهلى إلى هذا العهد ؟ فأجبتنى : إن القبائل اليمانية لم تَخُلْ منازلها منها من العهد

الجاهلى إلى اليوم ؛ فكل قبيلة قد بقى منها قوم فى منزلها ، وأقربُ قبيلةٍ يمانية إلى جهة الحجاز

بجيلة ، وقبيلة دؤس فى منزلها من العهد الجاهلى إلى هذا العهد فى الحجاز الجنوبى الواقع فى بلاد

(١) العقر : موضع هزم فيه يزيد بن المهلب وقتل فيه . وقصيدة جرير أجمع أهل التاريخ أنه وفد

بها على الوليد بن عبد الملك ، والذي قتل ابن المهلب جيش يزيد بن عبد الملك ، فذكر آل المهلب فى

القصيدة لا يكون إلا زيادة صنعت ! أو يكون جرير إنما وفد بالقصيدة على يزيد بن عبد الملك .

زهران ، وكان عندهم ذو الخلصة الصنم الذي أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بهدمه ، ثم هدم في عهد جلالة الملك عبد العزيز آل سعود ، وقبائل هوازن في منازلها من العهد الجاهلي إلى هذا العهد ، ومنازلها حدّها الجنوبي المعدن وبقران ، وحدّها الشمالى قرْن المنازل ووادى العقيق من أعلاه إلى بلاد غطفان ، ومن ترك موطنه منهم انحدر إلى نجد وبقى بها ، وأطلق اليوم على تلك القبائل اسم عتيبة ، وما رأيت لهذه اللفظة أصلاً في النسب ، وأما الأسماء القديمة فما يزال منها كثير ينسبون إلى هوازن ، منهم بنو سعد الذين استرضع فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبطونهم باقية إلى هذا العهد يقال لهم بنو سعد ، وهم في منازلهم التي كانوا ينزلونها في العهد الجاهلي ، وبنو جُشم ابن معاوية الذين كان يرأسهم في الجاهلية دُرَيْد بن الصَّمّة الذي قُتل يوم حنين وهذا نسبه : فهو دريد بن الصَّمّة بن الحارث بن معاوية بن بكر بن علقمة بن خزاعة بن غزيرة بن جُشم بن معاوية ابن بكر بن هوازن بن منصور ، فهذا البطن العظيم لم يبق منه إلا قبيلة « القثمة » الذين يرأسهم « العبود » وهم في منازلهم التي كانت لهم من العهد الجاهلي إلى هذا العهد ، وأكبر بطن من هوازن ثقيف ، وهم في منازلهم من العهد الجاهلي إلى هذا العهد ، ومنازلهم في الطائف وأوديته وجباله ، ومنهم بنو سفيان ، وهم يقيمون في جبالهم الواقعة غربي الطائف ، وأبوهم سفيان بن عبد الله الثقفي روى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي كتاب نصيحة المساميين من مجموعة الحديث النجدية (ص ٣٤٦) عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال : قلت لرسول الله : ما أخوف ما تخافُ علي ؟ قال : فأخذ بلسان نفسه وقال « هذا » رواه الترمذى وصححه ، وبنو سليم بن منصور ، لا يزالون في جبالهم وحِراهم من العهد الجاهلي إلى هذا العهد ، ومن ينتمون إلى منصور أبي هوازن : قبيلة القثمة ، وهم بنو جُشم بن معاوية ، وقبيلة الدعاجين ، وقبيلة الشيبانين ، وقبيلة العصمة ، وقبيلة الدغالبية ، هؤلاء القبائل جميعها يقال لها « أبناء منصور » ولأعلم في قبائل هوازن رجلاً يقال له منصور تنتمى إليه قبائلهم إلا منصوراً الأكبر أبا هوازن وسليم .

أمّا هذيل فهي باقية في منازلها من العهد الجاهلي إلى هذا العهد ، في وادى نخلة اليمانية وجبالها ووادى نخلة الشامية وجبالها ، وتمتد منازلهم إلى عسفان شمالاً ، وجنوباً إلى وادى حنين . وأما بنو لحيان فنمازلهم داخل الحرم من الأميال إلى مكة ، وما بين التنعيم ووادى فاطمة ، وهي منازلهم من العهد الجاهلي ، ومن أهل النسب من قال : إنهم من هذيل ، ومنهم من قال : إنهم من بقايا العالقي الذين هلكوا بتهامة وحالفوا هذيلاً .

وكانت لهذيل صولة في الجاهلية ، ونفوذ في مكة وضواحيها ، لما خرج أبو بكر رضى الله عنه

من مكة بعد ما آذاه قومه ، قال ابن هشام : وسار عن مكة يوما أو يومين اعترضه ابنُ الدُّغْنَةِ الهذلي ، فقال له : إلى أين يا أبا بكر ؟ فقال : آذاني قومي ، فقال : ارجع إلى مكة ، وأنا لك جار ، فردّه إلى مكة ، ومنهم من قال : إنه لم يردّه إلا من بَرَك الغاد ، فرجع أبو بكر إلى مكة في جوار ابن الدُّغْنَةِ الهذلي ، وهذا دليل على أنه قد كان لهم سلطان ونفوذ في مكة ، وابن الدُّغْنَةِ : رجلٌ من القارة وكانوا قد حالفوا الأحابيش ، فإذا أردت أن تطلع على تغلب هذيل على المسلمين وتجبرهم فراجع في سيرة ابن هشام ما ذكره عن يوم الرجيع في سنة ثلاث من الهجرة ، وقتلهم لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبيعهم خُبَيْبًا وزيد بن الدثنة على قریش بمكة . واللدان باعاهما زهير بن الأغر وجامع الهذليان ، وقال حسان بن ثابت رضى الله عنه في ذلك :

أبلغ بنى عمرو بأن أخاهما شره أصرؤ قد كان للغدر لازما
شره زهير بن الأغر وجامع وكنا جميعا يركبان المحارما
فليت خُبَيْبًا لم تحنّه أمانة وليت خُبَيْبًا كان بالقوم علما

وقال حسان أيضا يهجو هذيلًا :

لعمري لقد شالت هذيل بن مدرك أحاديث كانت من خيب وعاصم
هم غدروا يوم الرجيع وأسلمت أماتهم ذاعفّة ومكارم
وهي قصيدة طويلة .

وقال أيضا :

فلا والله ما تدري هذيل أصاف ما زمرم أم مشوب
ولا لهم إذا اعتمروا وحجّوا من الحجرين والمسمعى نصيب
ولكن الرجيع لهم محل به اللؤم المبين والعيوب

ووقعة الرجيع في أرض « لهدّة » الواقعة بين وادي فاطمة وعُسْفَان ، وهذا دليل على امتداد

بلادهم في الجهة الشمالية في العهد الجاهلي ، وهذيل باقية في منازلها القديمة لم تتغير .

وأما مَزِينَة فكانت منازلها في العهد الجاهلي قريب المدينة ، وهذا الاسم لم يتغير منذ العهد الجاهلي إلى هذا العهد ، وهي باقية في منازلها القديمة إلى هذا العهد ، وزادت تلك القبيلة بقبائل يقال لها « حرب » [وبلغنى عن بعض النسابة أن حربا بطن يمان] والعنصر القديم مزينة كلفظة عتبية في هوازن ، ومزينة الموجودة في الحجاز ونجد يرأسهم ابن نخت ، وحرب تنقسم إلى قسمين : قبيلة مسروح ، وقبيلة بنى سالم ، وكل قبيلة تنقسم بطونا ، كما أن عتبية تنقسم قسمين :

برقا ، والروقة ، وكل قبيلة تنقسم بطوننا كثيرة ، وعتيبة وحرب انتشرت في البلاد النجدية ، وعنصر عتيبة هو العنصر الحجازي ، وهو هوازن ، وحرب عنصرها الحجازي مزينة ، ولها ذكر منذ العهد الجاهلي إلى هذا العهد .

وأما غطفان ففر في بلادها شرقي المدينة ، وشرقي بلادها غربي القصيم ، ومُعْظَم بلادها وادي الرمة ، ولكن بطون غطفان قد انقرض ذكرها إلا بني عبد الله بن غطفان فإنها باقية في تلك الناحية الواقعة بين حجاز المدينة والقصيم ، لم تتغير منذ العهد الجاهلي إلى هذا العهد .

وأما بطون ربيعة فكانت منازلهم في العهد الجاهلي في الجهة الشمالية في بلاد العرب ، ولا يزالون ثمة منذ العهد الجاهلي إلى هذا العهد ، إلا بني حنيفة فقد مر ذكرها وذكر منازلها عند الكلام على بيت عمرو بن كلثوم الذي يقول فيه :

فَأَعْرَضْتُ الْيَمَامَةَ وَاشْمَخَرْتُ كَأَسْيَافٍ بِأَيْدِي مُصْلِتَيْنَا

وأما قبائل قحطان فهي في العنصر اليماني ، وكل قبيلة منها موجودة في نجد لا تزال لها بقية عنصر في البلاد اليمانية ، وثمة بطون صغار في منازلهم منذ العهد الجاهلي إلى هذا العهد كباهلة فإن لهم عنصرا في نفي والأثلة ، وهذه منازلهم في الجاهلية ، ولو لم يكن في باهله إلا قتيبة بن مسلم لكفاهم فخرا .

وأما بنو أسد فلم يبق لهم ذكر في بلادهم وادي سميراء ووادي بزاخة وجبل رمان ، وربما كان سكان تلك الناحية اليوم منهم ، ولكن هذا الاسم قد انقرض .
وأما جبلاطيء فسكانهما شمر منذ العهد الجاهلي ، وشمر اسم جاهلي قديم ، قال امرؤ القيس في قصيدته التي مطلعها :

سَمَا بَكَ شَوْقٌ بَعْدَ مَا كَانَ أَقْصَرَا وَحَلَّتْ سُلَيْمَى بَطْنَ قَوْ فَعَرَعَرَا

إلى أن قال :

فَهَلْ أَنَا مَاشٍ بَيْنَ شَرَطٍ وَحَيَّةٍ وَهَلْ أَنَا لَاقٍ حَى قَيْسٍ بِنِ شَمْرَا

وشمر هذا هو أصل هذه القبيلة التي يُطْلَقُ عليها لفظة شمر اليوم .

وقبائل قُضَاعَة على اختلافها تسكن ينبع والشمال إلى قريب من حدود مصر وفلسطين والشام ولعل العرب الذين في تلك النواحي يرجعون في نسبهم إلى هذا الأصل ، وكثير من العرب قد دخلوا الديار المصرية والشام والعراق مع الفتح الإسلامي ، وبقوا فيها إلى هذا العهد .

يعلم قارىء هذا الكتاب أنى قد استشهدت بأبيات من الشعر النبطى فى ذكر بعض المعارك ،
وهى أشعار مستقيمة الوزن كالأشعار العربية ، فأهل الأشعار العربية عربٌ على فطرتهم ، وهؤلاء
— أعنى أهل الأشعار النبطية — عرب على فطرتهم ، حَذَّوْا فى كلامهم حَذَّوْا قوم من أهل البادية
كانوا يعيشون كما يعيش العرب فى بواديهم ، وأصل مساكنهم البطائح التى بين العراقين : العراق
العربى ، والعراق العجمى ، وقد كانوا معروفين باسم النبط أو النبط ، منذ العصر الجاهلى إلى اليوم
وقد جاء فى شعر الأعشى ميمون بن قيس :

وَطَوَّفْتُ لِلْمَالِ آفَاقَهُ عُثْمَانَ فُحْصَ فَأُورِشَلَمَ
أَتَيْتُ النَجَاشِيَّ فى دَارِهِ وَأَرْضَ النَبِيطِ وَأَرْضَ الْعَجَمِ

ويُرْوَى عن ابن القُرَّيَّة — وهو من رجال العصر الأموى ، وكان فى زمن ولاية الحجاج على
العراق — أنه كان يقول : « أهل عُثْمَانَ عرب استنبطوا ، وأهل البحرين نبط استعربوا » وقد قال
أبو العلاء المعرى فى إحدى لزومياته :

أَيْنَ امْرُؤُ الْقَيْسِ وَالْعَذَارَى إِذْ مَالٌ مِنْ تَحْتِ الْعَبِيطِ
اسْتَعْجَمَ الْقُرْبُ فى الْمَوَامِي بَعْدَكَ ، وَاسْتَعْرَبَ النَّبِيطُ

وهو يشير فى بيته الأول من هذين البيتين إلى قول امرئ القيس بن حجر الكندى فى معلقته :

ويوم عقرتُ للعذارى مطيقي فَيَا عَجَبًا مِنْ كُورِهَا الْمُتَحَمِلِ
تقول وقد مال النبط بنا معاً عَقَرْتُ بَعِيرِي يَا امْرَأَ الْقَيْسِ فَأَنْزِلِ

وإذ قد عرفت أن طريقة الحياة عند النبط هى طريقة الحياة عند العرب ، فلا عجب أن
تجد توافقاً عظيماً فى المعانى التى يذكرها هؤلاء وهؤلاء فيما يتغنون به من أشعارهم ، ولا عجب أن
تجد هؤلاء النبط يلتزمون الأوزان فى حدائهم وأشعارهم كما يلتزمها العرب ، وإن اختلفت
الأوزان بعض الاختلاف فليس فى ذلك من عجب ، وكما اختلفت ألفاظهم وعباراتهم ولهجاتهم
فإن أوزانهم تختلف ، وقد تتفق ألفاظهم بعض الاتفاق ، وقد تتفق أوزانهم بعض الاتفاق ، ثم
اختلف هؤلاء بالعرب فى بواديهم بحكم الفرار من الحروب ، وزارهم فى بلادهم عربٌ من خلص
العرب ، فانتقل إلى هؤلاء العرب شئ من لسانهم وطريقهم فى التحدث عما فى أنفسهم من خواج
فكان من أثر ذلك أن انتقل إلى كثير من العرب فى نجد وغير نجد من بلاد العرب أسلوبهم فى
الشعر فقالوا على مثاله ، والغرض الآن أن نذكر على أن أشعار النبط أشعار مستقيمة المعانى ، قرية
أو متحدة مع المعانى التى يطرقها العرب ، وأنا أورد لك مما احتذاه عرب نجد من الشعر النبطى شيئاً

تعرف منه صحة هذه الدعوى واستقامتها

قال طرفه بن العبد في مطلع معلقته :

نُحْلُوهُ أَطْلَالَ بِيرَقَةٍ شَهْمِدِ تَلُوحُ كِبَاقِي الْوَشْمِ فِي ظَاهِرِ الْيَدِ

وقال محمد بن لعبون من شعراء النبط :

هَلْ الدَّارُ يَا عَوَّادُ إِلَّا مَنَازِلُ سَبَّارِيتِ يَا عَوَّادُ خَفِيَّةَ رُسُومِهَا

يَلُوحُ السَّنَا فِيهَا كَمَا لَاحَ زَرْقَةُ عَلَى خَدْمِيٍّ مِنْ بَقَايَا وَشُومِهَا

فإذا أنت تأملت قول طرفه وجدته ذكر الأطلال ، ثم ذكر الآثار وشبهها بالوشم على اليد ، وإذا تأملت في قول ابن لعبون وجدته ذكر الأطلال وشبه الآثار بالوشم على الخد .

* * *

قال زهير بن أبي سلمى في معلقته :

تَبَصَّرَ خَلِيلِي هَلْ تَرَى مِنْ ظَعَانٍ تَحْمِلُنَ بِالْعِلْيَاءِ مِنْ فَوْقِ جُرْثَمِ

وقال محمد بن لعبون :

تَبَصَّرَ خَلِيلِي هَلْ تَرَى مِنْ ظَعَانٍ تَقَافَتْ عَلَى حَدِّ الشَّفَا مِنْ خُرُومِهَا

تَنَحَّتْ عَنْ الْحَزْمِ الْيَابِي وَقَوَّصَتْ عَلَى شَاطِئِ الْجُرْعَا تَقَوَّتْ اغْزُومِهَا

انظر تجد زهيراً يسأل خليله هل رأى الظعان وتجد هذا المعنى بعينه وبألفاظه في قول ابن لعبون

* * *

قال عبد الله بن رواحة رضى الله عنه يخاطب راحلته في غزوة مؤتة :

إِذَا بَلَّغْتَنِي وَحَمَلْتَ رَحْلِي مَسَافَةً أَرْبَعٍ بَعْدَ الْحَسَاءِ

فَشَأْنُكَ وَالْخَلَا وَخَلَائِكَ ذَمٌّ فَلَا أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي وَرَأْيِي

وقال محمد بن لعبون ، وجميع هذه الشواهد له من قصيدة واحدة ، قال وهو يخاطب

راحلته وصاحبه

إِذَا جِئْتُ فِي وَادِي سَدِيرٍ فُخِّلَهَا تَدَبَّ الْعَفَى مَا قَوْفَهَا إِلَّا وَسُومَهَا

قَضَتْ لَأَرْمِي فِي قَطْعِهَا السَّيْرَ وَالسَّرَا وَنَبِيَّ الْبَرِّ وَالْمَرْعَى وَبَاقِصَى لَزُومَهَا

عبد الله بن رواحة يقول : إذا أنت بلغتنى مقصدي فشأنك والخللا ، يعنى أنه يتركها ترعى

كما تريد ، وابن لعبون لا يزيد عن هذا المعنى ولا يتخلف عنه

* * *

وقال حاتم الطائي :

خلقت أحبَّ السيفِ والضيفِ والقرى وورَدَ حياضِ الموتِ والموتُ أحمر

وقال تركي بن حميد :

بَالَلَّيْلُ أَصَالِي حَامِيَاتِ الْمُحَامِيسِ^(١) وَالصَّبْحُ أَصَالِي كَلَّ قَبَا قَحُومِ

ذكر حاتم في كلامه الضيف والقرى وورود حياض الموت ، وتركى بن حميد ذكر المحاميس

لقهوة الضيف وذكر قبا قحوم للقتال

* * *

وقال عمرو بن كلثوم في معلقته :

وَسَيْدُ مَعْشَرٍ قَدْ تَوَجَّوْهُ بَتَاجِ الْمَلِكِ يَحْمِي الْحَجْرَيْنِ

تَرْكُنَا الْخَيْلَ عَاكِفَةً عَلَيْهِ مُقَلِّدَةً أَعْنَتَهَا صَفُونَا

وشبه ذلك قول تركي بن حميد يذكر الخيل :

حَرَدُ وَهْنَةٍ كَتَّهْنَ الْقَرَانِيسَ^(٢) عَلَى الطَّرِيحِ مَصُورَاتٌ كَطُومِ

معنى كلام عمرو بن كلثوم أن الخيل على الطريق مقلدة أعنتها ، ومعنى كلام ابن حميد

مصوبرات على الطريق كاظمة على الأعنة ، أعنى الخيل .

* * *

قال غيلان ذو الرمة العدوي :

عَهْدَتِهِمْ وَقَدْ جَعَلُوا فِتَاخَا وَأَجْرَهُ الْمَقَابِلَةَ الشَّلَا

وَقَدْ جَعَلُوا السِّيَةَ عَنْ يَمِينِ مِقَادِ الْمُنْهَرِ وَاعْتَسَفُوا الرَّمَالَا

وشبه ذلك قول بصري الوضيحي :

يَا عَلِيَّ وَاخْلَى وَرَدَّ جَبُوءُ جَدْلَا وَشَعَاعُ وَالْفَرَا نَسْفَتْنِ يَمِينَهُ

الشَّمْسُ طَاحَتْ وَالْمُظَاهِيرُ تَدْلَا وَحَالَ النَّبْطُ يَا عَلِيَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ

ذكر ذو الرمة فتاخ وهو دخل في شرقي الدهناء ، وذكر السبية وهي قطعة رمل في الدهناء ،

وفتاخ والسبية معروفان بهذين الاسمين إلى هذا العهد ، وذكر أن الأطلعان سكن بينهما ،

وذكر الوضيحي جبو جدلا وهو دخل في الحجرة ، وشعاع والفراء ، وهما جبيلان صغيران ،

(١) المحاميس : آنية من الحديد تحرق بها القهوة ، القباء : الضامرة من الخيل .

(٢) القرانيس : نوع من الصقور

سلكت الأطلعان عن شماليهما ، ومعنى قول الشاعرين واحد .

* * *

قال عمر بن أبي ربيعة :

مَنْ رَسُولِي إِلَى الثَّرِيَّاءِ فَإِنِّي ضِفْتُ ذَرْعًا بِهِجْرَهَا وَالْكِتَابِ

وشبه ذلك قول محسن الهزاني :

بَيْنِي وَبَيْنَ صُورِيهِجِي وَقَفَّةُ أَخْوَالِ يَأْمَنْ يَدِيرُ الصَّلْحَ بَيْنَهُ وَبَيْنِي

عمر بن أبي ربيعة يلتبس رسولا يحمل كتابه إلى الثريا معشوقته ، والهزاني يلتبس رسولا يمشي

بالصلح بينه وبين صاحبتة .

* * *

قال جرير بن عطية :

إِن الَّذِينَ غَدَوْا بِلَبِّكَ غَادَرُوا وَشَلَّا بَعِينِكَ مَا يَزَالُ مَعِينَا

وشبه ذلك قول فهد بن عويد الجماج راعى الأثلة :

الشَّيْخُ شَذَّ وَرَاحَ قَدَمُ الصَّلَاةِ وَالْيَ رَحَلُ مَا يَلْتَفَتُ لِلْمُقِيمِينَ

مَنْ عَقَبَ مَا قَفَّوْا وَرَا وَارْدَاتِ غَدَوْا بَقَلْبِي وَأَبَقُوا الدَّمْعَ بِالْعَيْنِ

جرير ذكر أنهم أبقوا وشلاً بعينه معينا ، وابن عويد يقول : غدوا بقلبي وأبقوا

الدمع بالعين .

* * *

قال ابن مقرب :

فَنَنْ لَمْ يَقْدُهَا ضَامِرَاتِ إِلَى الْعِدَى تَقْدُ نَحْوَهُ عَوْجُ الْبَرَى وَالشَّكَاثِمِ

وشبه ذلك قول ابن عريعر :

مَنْ لَا يَقُوذُ الْخَيْلَ يَمَّ حَفِيفَهُ إِن قَادَهَا وَالْأَعَايِهِ تَقَادُ

كلام الشاعرين العربي والنبطي معناه واحد : إن لم تصل العدو في أرضه وصلك في أرضك .

* * *

قال ذو الأصبغ المدؤاني :

وإِنِّ الذِي بَيْنِي وَبَيْنَ بَنِي أَبِي وَبَيْنَ بَنِي عَمِي لِمُخْتَلَفٍ جَدَا

وشبه ذلك قول عبيد بن رشيد :

أَنَا عَلَى لَانَ وَرَبِّي عَلَى لَانَ مَتَخَالِفًا رَأَى وَرَأَى الْجَمَاعَةَ

معنى قول الشاعرين واحد .

* * *

قال أبو طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم :

فَلَمَّا رَأَيْتَ الْقَوْمَ لَا وَدَّ فِيهِمْ وَقَدْ قَطَعُوا كُلَّ الْعُرَى وَالْوَسَائِلِ

صَبَرْتُ لَهُمْ نَفْسِي بِسَمَاءٍ تَمُحُّ وَأَبْيَضَ عَضْبٍ مِنْ تَرَاثِ الْمَقَاوِلِ

وشبه ذلك قول تركي بن عبد الله آل سعود :

يَوْمَ كُلِّ مَنْ خَوَيْتَ تَبَرًّا حَطَّيْتُ الْجَرْبَ لِي خَوِي مَبَارِي^(١)

نَعَمْ الْخَلْوَى إِلَى سَطَا نَمَّ قَرًّا يُودَعُ مِنَّا عِبرَ النَّشَامَا حَبَارِي^(٢)

المعنيان متقاربان ، معنى قول أبي طالب : لما عادتنى قريش رجعت إلى نصره السيف ؛

ومعنى قول تركي بن عبد الله آل سعود : إنه لما اختلفت عليه رعيته من أهل نجد رجع إلى نصره

سيفه الأجرى وهو سيفه الخاص .

* * *

قال أبو ذؤيب الهذلي :

وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ

وشبه ذلك قول ابن عبد الرحيم راعى أشيقر الذى هلك عشقا :

إِذَا جَاءَ حِمَامُ الْمَتَوْتِ مَا يَنْفَعُ الدَّوَا يَمُوتُ الطَّيِّبُ وَلَا يَفِيدُ ذَوَاهُ

المعنى واحد ، وهو أن الموت لا بد منه .

* * *

قال أمية بن أبي الصلت الثقي :

كَيْتَنِي كُنْتُ بَعْدَ مَا قَدْ بَدَأَ لِي فِي رُؤُوسِ الْجِبَالِ أَرْغَى الْوُغُولَا

وشبه ذلك قول الزناني خليفة وهو من زناتة المغرب :

هَنَى نَفْسُ مَا وَلَّتْ مَالِ جَبْرِ وَلَا فَرَّقَتْ بَيْنَ الْيَتَامَا نَوَالَهَا

يَا لَيْتَنِي مَنِيبٌ شَيْخٌ لِقَابَسَ هَنَى نَفْسُ مَا عَلَيْهَا وَلَا لَهَا

(١) الأجرى : سيف تركي بن عبد الله الذى قتل به أعداءه ، وهو باق إلى هذا العهد فى خزنة

آل سعود . (٢) الحبارى : نوع من الطير التى تصطادها الصقور .

المعنى واحد ، كل يطلب الانفراد بنفسه .

* * *

قال عنقرة بن شداد فى معلقته :

فِىهَا اثْنَتَانِ وَأَرْبَعُونَ حُلُوبَةً سُوْدًا كَخَافِيَةِ الْغُرَابِ الْأَسْحَمِ

وشبيه ذلك قول بعض الأمراء :

ثَمَانُ لَيَالٍ نَلَطَمَ الْعُوصُ^(١) بِالْمَعْصَى وَادْنَى مَوَارِدَهَا سَجَا وَعَفِيفُ

وَأَخَذَنَ ذِيَالُ^(٢) الْحَيْلِ مَنْ ضَمِنَ فُودَنَا سُوْدًا بِرَاطِمِهَا تَهْفُ تَهْفُ هَفِيفُ

المعنى واحد ، كل منهما يذكر سواد الإبل .

* * *

قال امرؤ القيس بن حجر الكندى :

كَأَنَّ حَدُوجَ الْحَيِّ حِينَ تَحْمَلُوا سَحَابُ أَرَاقِنِهِ الرِّيحُ فَاْمَطَرَا

وشبيه ذلك قول ابن سبيل راعى نقي :

يَاْمَلُ قَلْبٌ طَارَ عَنْهُ الْيَقِيْنُ مَنْ يَوْمَ قَفْنِ الطَّلَاعَيْنِ زَهَارِيْمُ

أَوَّلِيْمُ إِلَى مَنْ وَرَا الْفَنَتَيْنِ وَأَتْلَامُ إِلَى بِالشِّفَا كَنَّهُ الْغَيْمُ

معنى قول الشاعرين واحد ، فى تشبيه الأظعان بالغيمة .

* * *

قال أعشى قيس راعى منفوحة :

وَبَلَدُهُ مِثْلُ ظَهْرِ التُّرْسِ مُوَحِّشَةٌ لِلْجَنِّ فِى اللَّيْلِ فِى حَافَاتِهَا زَجَلُ

وشبيه ذلك قول محمد بن لعبون :

فِى صَحْصَحِ كَنَّهُ قَفَا التُّرْسِ مَقْلُوبُ طَرَبُ بِهِ الْجَنَى عَلَى فَقْدِهِ الذَّيْبُ

والمعنيان متطابقان ، ذكر الأعشى أن الأرض كظهر الترس ، وذكر زجل الجن ، والزجل :

الصوت ، وفى قول ابن لعبون ذكر المهمة وشبهه بالترس ، وذكر أن الجنى طرب فى هذا المهمة

على فقدّه للذيب ، والذيب لا يقيم إلا قريب ماء ، فكانت هذه المفازة الأخيرة أبعد من الماء فى

المفازة التى قبلها .

(١) العوص : هى الإبل ، سجا وعفيف : ماءان فى عالية نجد . (٢) ذبال الحيل :

اسم لإبل خونان بن عقيل من رؤساء الدجاجين من عتيبة ، سميت ذبال الحيل لسرعة عدوها ، إذ لا تلحقها الحيل .

قال امرؤ القيس :

أَصَاحُ تَرَى بُرَيْقًا هَبَّ وَهَنَا كَنَارَ مَجُوسَ تَسْتَعْرِ اسْتَعَارَا
فَلَمَّا أَنْ دَنَا لِقْفًا أَضَاحَ وَهَتْ أَعْجَازُ رَيْقِهِ لَهَا رَا

وشبه ذلك قول محسن الهزاني :

كَرَيْمٌ يَبَارِقُ سَرَالَهُ تَلَالَا طَافِخَ رَبَابَةٍ فِيهِ مِثْلُ الْمَعَى زَرْقُ
لَاجًا عَلَى الْبَكَرَيْنِ بَنَى الْخِلَالَا مَعَادَ مَيِّزٍ فِيهِ رَعْدٌ وَلَا بَرَقُ

المعنى واحد ؛ فالشاعر الأول لما دنا لقفا أضاح أفرغ ماؤه ، والثاني لما أتى على البكرين أفرغ ماؤه ، وأضاح والبكران : موضعان باقيان على اسميهما إلى الآن .

* * *

قال سُحَيْمٌ عَبْدُ بَنِي الْحَسْحَاسِ :

فَبِتْ وَبَاتَتْ وَسَدْنَا عِلْجَانَةً وَحَقَفَ تَهَادَتُهُ الرِّيحُ تَهَادِيَا
تَوَسَّدُنِي كَفًّا وَتَلْنِي بِعَفْصِمٍ عَلَى وَتَلُو رِجْلَهَا مِنْ وَرَائِيَا

وشبه ذلك قول محسن الهزاني من مروبعاته :

رَقَدْتُ أَنَا وَابَاءُ فَوْقَ الْمَخْدَةِ^(١) وَبَاحَ الْعَرَى مِنْ بَيْنِ سَدَى وَسَدَّةِ
وُسْدَيْتِ مَجْدُولَهُ وَجِيتْ خَدَّةَ وَخَلَيْتِ حَجَلَةَ نَاصِبٍ فِي الْعَكَارِيشِ

ومعنى قول سحيم وقول الهزاني متطابقان ، أنظر أين ذهب رجل العشوقة في القولين

* * *

وقال عمر بن أَدَيْنَةَ :

لَقَدْ عَلِمْتُ وَمَا الْإِسْرَافُ مِنْ خُلُقِي أَنِ الَّذِي هُوَ رَزَقِي سَوْفَ يَأْتِينِي
أَسْعَى إِلَيْهِ فَيُعْصِمُنِي تَطْلِبُهُ وَلَوْ جَلَسْتُ أَنَا لَا يُعْصِمُنِي

وشبه ذلك قول بركات الشريف :

إِذَا نَوَاكَ الرَّزْقُ جَآمَنَ تَوَالِيكَ لَوْ مَا لَقَيْتَهُ يَافَقَى الْجُودَ يَلْقَاكَ

المعنى واحد ، إن التعب لا يُجْدِي ولا يوصل إلى الرزق ، بل يرسله الله إليك من دون تعب

...

قال ابن أبي عُيَيْنَةَ :

(١) المخدة : هى الوسادة فى لغة أهل نجد القديمة .

وأنفسنا خَيْرَ الغنيمة إنها تَوْبُ وفيها ماؤُها وحيَاؤُها
وشبيه ذلك قول البريمي :
إِذَا رَجَعْنَا سَالِمِينَ عَلَى خَيْرٍ كَمَ مَطْمَعٍ مِنْهُ السَّلَامَةُ غَنِيمَةُ
المعنى واحد ، أن السلامة غنيمة

• • •

قال جرير بن عطية :
يَا حَبْدَا جِبِلُّ الرِّيَّانِ مِنْ جِبِلِّ وَحَبْدَا سَاكِنُ الرِّيَّانِ مَنْ كَانَ
وشبيه ذلك قول بجيت بن ما عَزَّ أخو شليوبح العطاوى :
قَلْبِي يَحِبُّ الْمُرْدَمَةَ وَالْيَنُوفِي ^(١) أَحَبَّهَا مِنْ حَبِّ حَيٍّ وَرَاهَا
المعنى واحد ، جرير أَحَبَّ جبل الريان لحب معشوقته ، وبجيت أَحَبَّ جبل المردمة والينوفى
من أَجَل معشوقته .

• • •

قال الأسود بن عبدود حين قُتِلَ بنوه فى بدر مع المشركين ، وقد كانت قریش منعت
النياحة ، فسمع نائحة تبكى على بعير لها قد أضلته ، فأرسل ابنة له فقال : اذهبي واثنين بخبر هذه
النائحة ، لعل قریشاً أن تكون قد أذنت بالنياحة ، فأتته بالخبر ، فقالت : إنها امرأة ضل بعيرها
فهي تنوح عليه ، فاندفع ينشد :

أَتَبْكِي أَنْ يَضِلَّ لَهَا بَعِيرٌ وَيَمْنَعُهَا مِنَ النَّوْمِ السُّهْدُ
على بكر فلا تبكى ، ولكن على بَذْرِ تقاصرت الحدود
وشبيه ذلك قول شالح بن هذلان القحطاني لما قتل ابنه ذيب ، فسمع رجلاً من قومه يقول له
الهويدي وقد ضاع له طير ينادى ويصيح ويسأل عنه ، فقال :

الطير مَا هُوَ خَلْفَةً لَوْ غَدَا طِيرُ الطَّيْرِ وَاللَّهُ يَالْهُوَيْدِي غَدَالِي
طيرى عَذَابُ مُعْسَكَرَاتِ الْمَسَامِيرِ وَزَبْنِ الْخِصَانِ إِلَى جَذَنِ التَّوَالِي
المعنى واحد ، بعث حزن الأسود بن عبدود امرأة تنوح على بعير وبعث حزن شالح بن هذلان
رجلاً ينوح على طير .

* * *

(١) المردمة والينوفى : جبلان فى عالية نجد قرب سجا .

قال ابن مقرب العيوني :

فَبَتَّ حَبَالَ الْوَصْلِ مِنْ تَوَدُّهُ إِذَا لَمْ يَرِدْ كُلَّ الَّذِي أَنْتَ وَارِدٌ
 وشبيه ذلك قول ابن عبد الرحيم راعى أشيقر :
 الْأَقْفَا جَزَى الْأَقْفَا وَلَا خَيْرَ فِي فَتَى بَرِيدِ هَوَى مَنْ لَا يَرِيدُ هَوَاهُ
 وَمَنْ بَاعَنَا بِالْبَعْدِ بَعْنَاهُ بِالْنِيَا وَمَنْ جَذَّ حَبْلِي مَا وَصَلْتُ رُشَاهُ
 المعنى واحد ، كل منهما يطلب تقطيع العلاقات ممن لا يسلك طريقه .

• • •

قال كثير عزة :

فَمَا رَوْضَةٌ بِالْحُزْنِ طَيِّبَةُ الثَّرَى يَمِجُّ النَّدَى جَثَجَاتُهَا وَعَرَارُهَا
 بِأَطْيَبِ مِنْ أَرْدَانِ عِزِّهِ مَوْهِنَا إِذَا أَوْقَدْتَ بِالْمَنْدَلِ الرُّطْبَ نَارُهَا
 وشبيه ذلك قول بصرى الوضيحي :

لَهُ رِيحَةٌ طَاقٌ وَلَا هِيَ مُصَنَّةٌ مَثَلُ النَّفْلِ ^(١) بِمُطْمَطَمَاتِ الْفَيَاضِ

والمعنى واحد ، كل وصف ريح معشوقته وفضلها على رائحة روضة ، إلا أن كثيرا قال « إذا أوقدت بالمندل الرطب نارها » وقد عابت هذا المعنى على كثير سكينه بنت الحسين فقلت : لو أوقدت المندل على زنجية لطاب ريحها ، وعابته عجوز من العرب وقالت : لو أوقدت المندل على حمار لطاب ريحه ، فقالت له : ألا قلت كما قال امرؤ القيس :

أَلَمْ تَرَ أَنِّي كُلَّمَا جِثْتُ طَارِقًا وَجَدْتُ بِهَا طَيِّبًا وَإِنْ لَمْ تَطِيبْ

ومعنى الوضيحي مستقيم ؛ لأنه ذكر رائحة معشوقته قبل ذكر الروضة ، حين قال « له ريحة طلق ولا هي مصنعة » .

• • •

قال النابغة الجعدي :

فَسِرْ فِي بِلَادِ اللَّهِ وَالتَّمْسِ الْغَنَى تَعِشْ ذَايسَارٍ أَوْ تَمُوتْ فَتَعْذُرَا

وَلَا تَرْضَ مِنْ يَمِشِي بِدُونِ وَلَا نَمِمْ وَكَيْفَ يَنَامُ اللَّيْلُ مِنْ بَاتٍ مَعْسُرَا

وشبيه ذلك قول بركات الشريف :

مَوْتَ الْفَتَى فِي وَسْطِ دَوْسَمَلَقٍ خَلَى مِنَ الْإُونَسِ قَفَرِ جَوَانِبِهِ

(١) النفل : نوع من النبات رائحته طيبة

هو عندى اشوى من قعاده بقرية يموت بها والفقر فيها مطانية
المعنى واحد ، الشاعران يَحْتَنُّان على طلب الرزق ، ويتعوذان من الفقر والحول .
. . .

قال الشيخ حسين بن على آل الشيخ :
فكل جناء طيب مثل أصله وإن جناء الحنظلية حنظل
وشبيه ذلك قول بركات الشريف :
والحروه انك ما تجى دون اهاليك ولا شجرة الورد تنبت بتنباك
المعنى واحد ، كل منهما ذكر الأصول الطيبة وأن فروعها تماثلها ، والأصول الخبيثة وأن فروعها
تكون مثلها .
. . .

قال مجنون ليلى :
تَدَاوَيْتُ من ليلى بليلى من الهوى كما يتداوى شاربُ الخمر بالخمير
يقولون مجنون يهيم بذكرها ووالله ما بى من جنون ولا سحر
وشبيه ذلك قول محمد القاضى راعى عنيزة :
يقولون مجنون خلى من الذكا لا ييب مجنون فلا شك أنا خالى
خلى من الخلان اقالسى شكيتى رفيق الوغى من بين شامت وعدالى
المعنى واحد فى ذكر العشق وجنونه .
. . .

قال جرير فى الوليد بن عبد الملك :
أَعْطَوْا هَنِيْدَةً يَحْدُوْهَا ثَمَانِيَةٌ وليس فى بذلهم مَنٌّ ولا سَرَفُ
وشبيه ذلك قول ابن سبيل :
إلى عطو يعطون روس البعارين وان فات منهم شى ما حسبويه
المعنى واحد ، ذكر جرير أنهم يعطون الهنيدة ، وهى الإبل الكثيرة ، وذكر ابن سبيل
أنهم يعطون رؤس البعارين ، والبعارين : الإبل
. . .

قال أبو نواس يخاطب أبا العتاهية :

أترانى يا عثمى تاركاً تلك الملاهى
أو ترانى مفسدا بالنسك عند القوم جاهى

وشبيه ذلك قول محمد بن معجل راعى سدير :

قالوا لى الناس دين قلت ادين فالكم شين يالى تبون الموده تنطلق منها يديه
المعنى فى كلام الشاعرين واحد ، يظنان الدين والنسك يفسدان لذتهم فى حياتهم

* * *

قال زهير بن أبى سلمى :

ومن لم يصانع فى أمور كثيرة يضرس بأنياب ويوطأ بمنس
وشبيه ذلك قول ابن سبيل :

لا تأخذ الدنيا خراص وهقوات يقطعك من نقل الصميل^(١) البراد
الى عزمت فخط للرجل مرفات من قبل يدرى بك حسود رباد
المعنى واحد

. . .

قال المبرد فى الكامل : قال بعض المحدثين :

كتمت الهوى حتى إذا نطقت به بوادر من دمع تسيل على خدى
وشاع الذى أضمرت فى غير منطق كأن ضمير القلب يرشح من جلدى
وشبيه ذلك قول خليف بن بليهد راعى ضرية :
عسى الله يعينك يا عيوى على الصبر وعسى الله يبجح كل حتى بمظنونه
أنا دمع عيني كلاً هل من شهر هماليل واغضى عن هلى لا يشوفونه
كلام الشاعرين واحد ، كلاهما كتم عشقه وأفشأ دمع عينه .

. . .

قال حسان بن ثابت رضى الله عنه :

خلت ذات الأصابع فالجواء إلى عذراء منزلها خلاه
ديار من بنى الحساس قفر تعفيها الروامس والسماء
وشبيه ذلك قول محمد بن لعبون :

(١) الصميل : نوع من القرب الصغار التى تستعمل لنقل الماء فى السفر وغيره

خَلَا السَّفْحَ يَاعَوَاذَ مَا فِيهِ مِنْ هَلَةٍ عَمَّ بَ عَلَمْنَا بِهِ غَيْرَ رَاكٍ وَصَفَصَافٍ
مَرَانِيعَ مَيٍّ غَيْرَ الْبَيْنِ رَسْمَهَا ذُبَارًا عَفَّتْ يَالَيْتَنِي مَثَلَهَا عَافٍ
معنى قول الشاعرين واحد ، ذكر كل منهما خلو الدار واندراس الآثار ، إلا أن ابن لعبون
تمنى أنه عفى مع الدار لما عفا أثرها ، وأبو عبد الرحمن عفى الله عنه لم يتمن أنه يموت .

• • •

قال عروة بن حزام :
ففي عسى أوعلى أوفى إلى ومتى ألقاه في بَلَدَةٍ قُفْرٍ ويلقاني
وشبيه ذلك قول محسن الهزاني :
ربما لي أو عسى لي أو قين يَرْجَحَنَّ اغْصُورَهْنَ الْمَاطِيَاتِ
المعنى واحد ، كل منهما يتمنى الاجتماع بحبيبه ولو بعد حين .

• • •

قال عمر بن أبي ربيعة :
كفناي إن مُتُّ في دِرْعِ أَرْوَى وامتَحَلَى من بئر عروة مائى
وشبيه ذلك قول محمد بن لعبون :
عَنْ دَارِ مَنْ لَا يَرْحَمُونَ انْقُلُونِي لَدَيَّارٍ مِنْ لِي عِنْدَهُمْ قَابِلِيَّةِ
وُفِي ثَوْبٍ مَرْمُومٍ النَّهْدُ كَفَنُونِي مَعَاذِلِي عَنْ دَارِ الْحَبَابِ نِيَّةِ
المعنى واحد ، كل منهما يحب أن يكفن في ثوب حبيبه .

• • •

قال ابن مقرب العيوني :
وَعَدَّةٌ عَنِ الْمَاءِ الَّذِي لَيْسَ وَرْدُهُ بَصَافٍ ، فَتَعْمَى عَلَيْكَ الْمَوَارِدُ
وشبيه ذلك قول جبر بن سيار راعى القصب^(١) خال ميزان التميمي :
إِذَا جِئْتَ قَوْمَ وَاعْلَمُوا عَنْكَ بِأَهْلِهِمْ سَجَّ الْمَطَايَا يَفْتَحُ اللَّهُ بَابُ
وَالْمَا إِلَى مِنْهُ تَكَدَّرَ شَرَابُهُ تَرَى فِي الْمِيَاهِ الثَّانِيَاتِ شَرَابُ
المعنى واحد ، كل منهما يقول : إذا تكدَّر الماء فالتمس ماء غيره .

• • •

(١) بلد في مقاطعة الوشم .

قالت ميسون بنت بحدل الكلبية زوج معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه :
 ليت تخفق الأرواح فيه أحب إلي من قصر منيف
 وشبيه ذلك قول شلشا البقمية ، وهى من بلد الدوادمي :
 لو أهنيك بالهني يبو مرداس ما ولعوك مدرهمين المطية
 القلب كنه يشعرونه بالمواس من طين حضر حجر وبه عليه
 المعنى واحد ، كل منهما تمت العودة إلى ما أفتأه ؛ فميسون تمنى البادية على قصر الشام ،
 وشلشا تمت البادية على قصر الدوادمي .

• • •

قال عروة بن حزام :
 ألا قاتل الله الوشاة وقولهم . فلانة أضحت خلة لفلان
 وشبيه ذلك قول شلشا البقمية :
 ليتنكم يا أهل النقيلى^(١) تذهبون مآلكم مصلوح مارانها قراده
 حالفه لو عند متلغ هاوشوني والله إنى لتمل به حساده
 المعنى واحد ، عروة دعا على الوشاة ، وشلشا تدعو على أهل النقيلى ، وأهل النقيلى هم الوشاة

• • •

قال عمرو بن كلثوم في معلقته :
 وما كمة يضيق الباب عنها وكشحا قد جئنت به جنونا
 وساريتى بلنط أورخام يرن خشاش حليهما رنيننا
 وشبيه ذلك قول محسن الهزاني :
 اغفر متري في يدي منه عضه ومدندش ما بين شاح وقضه
 توحى الجدران الحوى منه جضه إلى انحدر من على البيت لدناه
 المعنى واحد ، ابن كلثوم ذكر أن حليها رنيننا ، والهزاني ذكر بحليها جضة ، والجضه والرنين
 كلاهما بمعنى الصوت .

• • •

قال ليبد بن ربيعة في معلقته واصفاً الأطلعان :
 (١) أهل النقيلى هم الوشاة لتقلهم الكلام بين الناس .

زجلاً كأن نعاجَ تُوضِحَ فوقها وظيفاء وجرّة عطفاً آرامها
حفزت وزايلها السّرّابُ كأنها أجزاع ييشة أثلها ورضامها

وشبيه ذلك قول عبد الرحمن بن ناصر راعى القرائن :

كن الطّبا من بين عوج الحنايا مع جانب البتراوهن مَقْفِيَاتِ
وَكُن الطُّعْمُونُ أغروس بعض القرايا لا قَوَّصَتْ ووئولها البينَاتِ

المعنى واحد ، الشاعر الأول قال : كأن الأظعان تحمل نعاج توضح ، ووصف الأظعان على
أثل ييشة ورضامها ، والثانى قال : كن الطباء بين عوج الحنايا
والحنايا : هى الهوداج أو الغبطان ، وكلها يستعمله العرب ، وذكر صفة الأظعان على غروس
القرايا وأثلها .

* * *

قال عمرو بن كلثوم فى معلقته :

تذكرت الصّبّا واشتقتُ لما رأيت مُحُولَهَا أَصْلاً حُدينا

شبيه ذلك قول ابن سبيل :

يأتلى قلبى تلت الغرب لرشاه على زعاع شاحم صدرت به
مظهورهم كن الطاميع تشعاه يتلى سف خيال من قربت به

المعنى واحد ، عمرو بن كلثوم تذكر الصّبّا لما رأى أظعانهم تحدى ، وابن سبيل أتلى قلبه
لما رأى مظهرهم كأن الطاميع تشعاه ، والمظهر : هى الأظعان ، والطاميع : القوم إذا شنوا الغارة

* * *

قال ابن يسير :

قدّر لرجلك قبل الخطو منزلها فمن علاّ زلقاً عن غرة زلقا

وشبيه ذلك قول ابن سبيل :

إذا عزمّت فخط للرجل مرقات من قبل يدرى بك حسود ربادى

المعنى واحد ، مراد الشاعرين أنك لا تضع رجلك فى موضع لا تعرف عاقبته .

* * *

قال امرؤ القيس فى معلقته :

وجيد كجيد الرّم ليس بفاحش إذا هى نصته ولا بمُعْطَل

وشبيه ذلك قول التهامي الروقي :

يَا حَلِيَّ مِنْ الْمَهَا تَلْعُ الرِّقَابِ حَازَ بَيْنَ امْتَلَتْهُ وَالشَّهْرَمَةِ^(١)

المعنى واحد ، امرؤ القيس وصف جيد معشوقته وشبهه بجيد الريم ، والتهامي وصف معشوقته وفضلها على كل مهابة تلعا الرقبة ، والمهوى : بقر الوحش تشبه بها النساء كما تشبه بالظباء .

. . .

قال المبرد في الكامل : قال الشاعر :

اذا كر مجالس من بنى أسد بَعُدُوا وَحَنَ إِلَيْهِمُ الْقَلْبُ
الشرقُ منزلنا ، ومنزلهم عَزَبَ ، وَأَتَى الشَّرْقُ وَالْغَرْبُ ؟

وشبيه ذلك قول ابن سبيل :

يَا لَعَيْنُ وَينَ أَحْبَابِكَ إِلَى تَوَدِّينَ إِلَى زَافِ الْحَيَا رَبْعُوبَةَ
شَدَّتْ جِهَاتُهُمْ مِنَ الْجَوِّ قَسَمِينَ الزَّمَلُ حَدَّرَ وَالظُّعْنُ سَدَّوْبَهُ

المعنى واحد ، قال الشاعر الأول : قد افترقنا فصار فريق منا إلى الشرق وسار فريق إلى الغرب ، وابن سبيل يقول : فريق حدر وفريق سند ، والحدار في لغة أهل نجد كناية عن الشرق والمسار كناية عن الغرب .

. . .

قال لبيد بن ربيعة في معلقته :

وَهُمْ رِيعٌ لِمَجَاوِرٍ فِيهِمْ وَالْمِرْمَلَاتِ إِذَا تَطَاوَلَ عَامُهَا

وشبيه ذلك قول التبنيناوي :

مَرَوَى خَشُومُ الْفَيْسِ مَنْ شَمَخَ النَّيْبُ إِلَى يَعِيشُونَ الْعَرَبُ فِي حَلِيْبِهِ

والمعنى واحد ، قال لبيد : إنهم غيث للمجاور فيهم والميرملات ، والتبنيناوي يقول في الممدوح : إنه يروى خشوم الفيس في شمخ النيب ، الفيس : معلومة ، والنيب : الإبل ، تجد خشوم الفأس ريان في دم الإبل من كثرة ما يذبح ، ثم قال « إنهم يعيشون العرب في حليبه » .

. . .

قال كعب بن زهير في لاميته المشهورة يصف الحمر :

(١) مثثلة : هضبة سوداء ، والشبرمية : ماء في وادي الشبرم ، وهو ومثثلة في عالية نجد ، قريب بعضها من بعض ، قرب غفيف البلد المشهور في طريق الرياض .

شُجَّتْ بَذَى شَبْمٍ مِنْ مَاءِ نَحْنِيَّةٍ صَافٍ بِأَطْحِ أَضْحَى وَهُوَ مَشْمُولٌ
تَنْفَى الرِّيحَ الْقَدَى عَنْهُ وَأَفْرَطَهُ مِنْ صَوْبٍ سَارِيَةٍ بِيضٍ يَعَانِيلُ
وشبهه ذلك قول غالب بن فتنان القحطاني في وصف القهوة :

بَرِّيَّةٌ ^(١) يَشْهَلُ وَبَهَارَهَا هَيْلٌ وَالْيَ مَسْوِيهَا يَمِينُهُ طَرِيَّةٌ
مَاهَا قَرَّاحٌ هَجَالُ شَهَالِيلٍ مَنْ هَضْبَةٌ بَنُ حَوَيْلٍ وَالْأَلْوَجِيه

المعنى واحد ، لما ذكر كعب الخمر ذكر أنها خُلِطَتْ بماء محنية قد أراقه المُنَزْن ، وابن فتنان
لما ذكر القهوة وذكر بَحْنَهَا وبهارها قال : ماؤها قَرَّاح من هَجَالِ شَهَالِيل ، والهَجَال لا تكون
إلا من المطر .

. . .

قال عمرو بن كلثوم في معلقته :

قَرِينَا كَمْ فَعَجَّلْنَا قِرَاكُم قَبِيلَ الصَّبْحِ مَرَدَاتٍ طَحُونَا
بَسْمٍ مِنْ قَنَا الْخَطِيَّ لُدُنٍ ذَوَابِلٍ أَوْ بِيضٍ يَخْتَلِينَا

وشبه ذلك كلام رَاكَانَ بنِ حَثْلِينَ العَجَمِي :

نَبِيَّ نَسْوَى لَلْمَسِيرِ كَرَامَةٍ شَلَفَ عَلَى قَبِ سَرِيَعَاتِ الْأَوَّلَامِ
وَكَمَ سَيْفٌ هَنَّدَ نَمَشَهُ مِنْ بِلَامِهِ بِأَيْمَانِنَا تَشْدِي مَقَابِيسِ الْأَظْلَامِ

المعنى واحد ، عمرو بن كلثوم وضع الأعداء موضع الأضياف ؛ وجعل قَرَّاح ذَوَابِلٍ من الخطي
وهي الرماح ، أو بيضا وهي السيوف ، وراكَانَ بنِ حَثْلِينَ وضع العدو موضع الضيف المَسِيرِ إليه ،
فقال : نَبِيَّ نَسْوَى له كرامة شَلَفَ ، وهي نوع من الرماح ، وكذلك السيف ، القرى في كلام
الشاعرين الرماح والسيوف .

. . .

قال كعب بن زهير في لاميته :

أَرْجُو وَأَمَلُ أَنْ تَدْنُو مَوَدَّتَهَا وَمَا إِخَالُ لَدِينَا مِنْكَ تَنْوِيلُ

وشبهه ذلك قول ابن سبيل :

(١) البرية نوع من القهوة الطيبة، وشهل : مولى من أهل بلد الحريق ، هضبة ابن حويل : هي
الحصاة المشهورة في عالية نجد الجنوبية ، والوجيه : قلعة ماء في أرض اليمامة في أعلى وادي نساخ الذي
يصب في وادي الخرج .

أَمَّا يَجِيْ حَوْلَ رَجَبِيَّتِهِ بَعْدَ حَوْلٍ أَمَّا عَنَيْتِ أَوْجَتِ رَكَابَهُ مَقَابِيلِ
معنى كلام الشاعرين واحد ، يؤملان الاجتماع .
...

قال عمرو بن كلثوم :

وما منع الظعائن مثل ضرب ترى منه السواء كالقلينا
على آثارنا بيض حسان نحاذر أن نقسم أوتهنونا
وشبيه ذلك قول شليويح بن ماعز العطاوى الروق :

لَكِنْ نَظَلَّ الزَّيْلُ قَدَامَ سَابِقِي نَظَلَّ النَّهْشِمُ بَوَادِي سَنَاوِي
كَلِّهِ لُعَيْنَ إِلَى تَهْلٍ ادموعها تَبْكِي وَفِي تَالِي الْبَسْكَ نَحَاوِي
تَقُولُ يَا الضَّيَّيَّانَ وَلَكُمْ عَادَهُ هُوَ شَوْعَسَى يَبْقَى لَنَا شَلَاوِي

معنى كلام الشاعرين واحد ، قال عمرو بن كلثوم : ما منع الظعائن إلا ضرب تقطعت منه
السواء ، والداعى لذلك البيض الحسان اللاتى على آثارهم ، وكلام شليويح يقول : نطل الزلم وهى
الجنائز لنطل الخشب فى الوادى الممحل ، والباعث لذلك النساء التى تهل دموعها وتندبهم
...

قال زهير ، يمدح هرم بن سنان المرى والحارث بن عوف :

يَمِينًا لِنَعْمِ السَّيْدَانِ وَوَجِدْتُمَا عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيلٍ وَمَبْرَمٍ
كَرَامَ فَلَا ذُو الضَّغْنِ يَدْرُكُ تَبْلَهُ وَلَا الْجَارِمَ الْجَانِي إِلَيْهِمْ بِمُسْلَمٍ

وشبيه ذلك كلام نجبان الفراوى ، وهو يمدح الإمام عبد الله بن فيصل وطلال بن رشيد :

أَخَذْتُ لِي مِنْ بَيْنِ الْأَثْنَيْنِ سَجَّةً مِنْ بَيْنِ أَبُو بَنْدَرٍ وَوَلَدِ الْإِمَامِ
تَرَى الْكَرَمَ مَا فِيهِ سَجَّةٌ وَلِجَهٍ مَحْدٍ أَمْنًا حَيْهَمَ جَنْوَبٍ وَشَامِ

المعنى واحد .

* * *

قال عمرو بن كلثوم فى معلقته :

تَرَانَا بَارِزِينَ وَكُلَّ حَى قَدْ اتَّخَذُوا مَخَافَتَنَا قَرِينَا

وشبيه ذلك قول ابن ربيعة فى عبد المحسن السعدون :

وهو الذى خلا الصَّوَيْطَى عدا الكوم وَالشَّعْرَى لِلشَّامِ يَطْرُدُ ظُعِينَهُ
وصفوق من كون المغير إلى اليوم متقلد قلب النعامة قرينه

معنى قول الشاعرين واحد ، كلام ابن كلثوم مخافتهم قرينة العدو ، وكلام ابن ربيعة قال :
إن صفوق الجربا قد تقلد قلب النعامة من الذعر

• • •

قال متم بن نويرة في رثائه أخاه مالكا :

فما وَجَدُ أَظْأَرَ ثَلَاثِ رَوَائِمِ رَأَيْنَا مَجْرًا مِنْ حَوَارٍ وَمِصْرَعَا
بَأَوْجَعِ مِنِّي يَوْمَ فَارَقْتُ مَالِكَا وَنَادَى بِهِ النَّاعَى الرَّفِيعَ فَأَسْمَعَا

وشبيه ذلك قول ابن سبيل :

كُنِّي خَلُوجَ تَرْفَعِ الصَّوْتِ وَتَهَيَّ وَحَوَارَهَا الرَّاعِي تَعَشَّى شَوَاتِهِ
وَتَكْسِرُ عَلَى الْمَلْحَاقِ وَيَقُولُ يَا بَحِيثَ وَلَا تُرَايِعَ لَيْنَ تَاصَلَ تَمَمَاتِهِ
المعنى واحد ، شبه كل منهما وجده بوجد أظأَرَ الإبل ، الأول ذكر الحوَار ومصرعه
والثاني كذلك .

• • •

قال حسان بن ثابت رضى الله عنه بعد وقعة بدر يحرض بنى عبد شمس على بنى مخزوم :

غدا أَهْلُ حِصْنِي ذِي الْجَازِ كُلِيهَما وَجَارُ ابْنِ حَرْبٍ بِالْمَعْمَسِ مَا يَغْدُو
كَسَاكَ هِشَامُ بْنُ الْوَلِيدِ ثِيَابَهُ فَأَبْلِي وَأَخْلَقُ مِثْلَهَا جُدَدًا بَعْدُ
فَلَوْ أَنَّ أَشْيَاخًا يَبْدُرُ تَتَابَعُوا لَبِلَّ نَعَالُ الْقَوْمِ مَعْتَبَطُ وَرْدِ
وشبيه ذلك كلام محمد بن نمر بن مسعود حين أجلاهم الزير عن بلد الشعراء ، وكانوا في
جبل نهلان :

يَا دَارَنَا حَقَّكَ عَلَى سَيْفٍ بَصْبَاهَ وَالْأَعْلَى نَاصِرَ صَبِي الْحَاسِيرِ
وَالْأَسَدَ لَوْ تَقَضَّبَ السَّيْفُ يَمْنَاهَ مَا كَانَ يَنْعَبُكَ بُلَيْهَانُ وَالزَّيْرِ
معنى كلام الشاعرين واحد ، كلام حسان فيه ذكر القتولين في بدر ، وابن نمر ذكر أشياخا
قد أبادهم الدهر .

• • •

قال عمرو بن كلثوم في معلقته :

وَأَمَّا يَوْمٌ لَا نَحْشَى عَلَيْهِمِ فَنَمْعَ غَارَةِ مُتَلَبِّينَا
رَأْسٍ مِنْ بَيْنِ جُشَمِ بْنِ بَكْرٍ نَدَقَ بِهِ السَّهْلَةَ وَالْحَزُونََا

وشبه ذلك قول شالح الحقى من قبيلة المظفة من عتيبة فى ابن هندى :
 فى صف بن هندى حى دقة الخيل يمهل ولا يمهل حى كل تالى
 معنى قول الشاعر بن واحد ، ابن كلثوم ذكر أنه يقتل الأعداء برئيس جسم بن بكر ،
 والحقى ذكر أنه يقتل الأعداء بابن هندى رئيس قبائل المظفة وهو من أكبر رؤساء عتيبة .

• • •

قال المبرد فى السكامل : قال الشاعر :
 وتفرقوا بعد الجميع لِمَيَّة لا بد أن يتفرق الجيران
 لا تصبر الإبل الجلاد تفرقت بعد الجميع ويصبر الإنسان
 وشبه ذلك قول جرى الشاعر فى قصيدته اللامية المشهورة :
 يَحْنُ الْجَلُّ من حر فرقا ولا يفه وَيَحْنُ وَأَقُولُ إِنِّ البعير هبيل
 وَتَرَى هَبِيلَ الْقَلْبِ من لايهمه فَرَّقَى الْأَخْلَا وَالزَّمان طَوِيل
 معنى قول الشاعر بن واحد ، كلاهما ذكر ائلاف الإبل والتفاتهما لإلفها بعد التفرق .

• • •

قال امرؤ القيس :
 أجارتنا إن الخطوب تنوبُ وإنى مقيمٌ ما أقام عسيبُ
 أجارتنا إنا غريبان ههنا وكل غريب للغريب نسيب
 وشبه ذلك كلامُ ضيف الله بن حميد :
 انا بَلَّأَى الْعَذْبَ جالى تَنَأَياهُ إِلَى سَكَنٍ مَذْرُوبٌ عَزَّوْا خَلَاوَى
 يَأَلَيْتَنِي مَحْضُوعٌ بِالْقَبْرِ وَتَاهُ وَلَا لِنَسَائِمِ الْجَمَاعَةِ مَنَاوَى
 المعنى واحد : امرؤ القيس ذكر القبر الذى تحت جبل عسيب ، وعسيب ليس فى بلاد الروم
 بل فى عالية نجد فى ضفة وادى الجريب الجنوبية ، وهو المنفرد فى الجهة الشمالية ، من جبال
 العسيبيات ، وابن حميد ذكر القبر الذى فى قاعة مذروب عروا ، وهو جبل فى عالية نجد الجنوبية .

* * *

قال النابغة الذبياني فى وصفه للمتجردة زوج النعمان بن المنذر :
 سَقَطَ النَّصِيفُ ولم تَرُدِّ إِسْقَاطَهُ فَتَنَّاوَلَتْهُ واتقنا باليد
 وشبه ذلك قول محمد القاضى :

كَشَمَعْتُ مُوَلِّعًا فِي جَوْفِ صَافٍ مَنِ الْبَلَّورِ تَجَلَّى الْيَاحِي
 تَمِيلُ وَتَنْشَى عَنِّي بَعْطَفُهُ إِلَى مَالِ الْغَطَاءِ عَنْهَا وَطَاحِي
 معنى كلام الشاعرين واحد ، النابعة لما سَقَطَ النصف اتَّقَتْهُ بيدها ، والقاضى لما طَاح
 الغطاء اتَّقَتْهُ بعطفها .

* * *

قال امرؤ القيس في معلقته :
 وَفَرَّعَ يَزِينَ الْمَتْنِ أَسْوَدَ فَاحِمٍ أَثِيثٍ كَقِنُو النَّخْلَةِ الْمُتَعَشِّكِلِ
 وشبيه ذلك قول محمد بن لعبون :
 إِلَى قَلْتِ هَاتِي حَاجَةً لِي وَدَنَقْتُ تَنْزَلُهَا مِثْلَ الشَّمَارِيخِ مِيَالٍ
 معنى كلام الشاعرين واحد ، كل منهما وصف شعرَ معشوقته وشبهه بعذق النخل ، إلا أن
 امرأ القيس قال « قنو النخلة » وابن لعبون قال « الشماريخ » .

* * *

وقال حسان بن ثابت :
 عَدَمْنَا خَيْلَنَا إِنْ لَمْ تَرَوْهَا تُثِيرُ النَّقْعَ مَوْعِدُهَا كِدَاءُ
 يِعَاجِلُنِ الْأَعِنَّةَ مُضْعَدَاتٍ عَلَى أَكْتَانِهَا الْأَسْلُ الظَّاءُ
 وشبيه ذلك قول العونى :
 لَا بَدَّ مَا تَاطَأَ بَرِيدَهُ خَيْوَلُنَا وَمَنْ عَقَبَهَا تَشْرَبُ مِيَاهَ وَثَالِ
 نَجْرِ الْعَوَالِي وَالْمَعَالِي وَعَجَّنَا يَبْنِي عَلَى رُوسِ الْجِبَالِ جِبَالِ
 وَتَحَفَّ بِالسَّمَرَا مَشَاهِيرِ خَيْلِنَا وَتَشْرَبُ سَمَاحَ وَالْحُسُودِ نَعَالِ
 معنى كلام الشاعرين واحد ، حسان رضى الله عنه يهدد أهل مكة ويتوعدهم بتوجه الخيل
 إليهم إلى أن قال « موعدها كداء » بعد إثارة النقع .
 والعونى يهدد أهل حائل بتوجه الخيل إليهم إلى أن قال « وعجنا يبنى على رؤس الجبال
 جبال » وقال « تحف بالسمر مشاهير خيلنا » وحسان ذكر كداء ، وهى ثنية فى مكة ، والعونى
 ذكر السمراء ، وهى هضبة حائل المشهورة :

* * *

قال المبرد فى الكامل : قال قيس بن معاذ :
 وَلَوْ لَمْ يَسْقُنِي الظَّاعِنُونَ لَشَاقَنِي حَامِمٌ وَرُقٌّ فِي الدِّيارِ وَوُقُوعُ

تَجَاوَزْنَ فَاسْتَبْكِينَ مَنْ كَانَ ذَاهُوًى نَوَاحٍ مَا تَجْرِى لَهْنَ دُمُوعٌ
وشبيه ذلك قول التيمي بن عبد الرحيم راعى بلد أشيقر :
الَا يَا حَمَامَاتِ بَعَالِي أَشَيْقِرَ وَرَاكُنْ فِرَاقَ وَالْحَمَامِ انْجُمُوعِ
أَنَا أَبْكِي وَعَيْنِي حَرَقَ الدَّمْعُ خَدَّهَا وَتَبْكِي وَلَا يَجْرِى لَكُنْ دُمُوعِ
معنى قول الشاعرين واحد ، أنظر بعينك جميع العبارة .

• • •

وقال مهلهل أخو كليب بن ربيعة :
كَيْدُ النِّسَاءِ سَيَلَقَى النَّاسَ فِي عَدَمٍ فَخَيْبَ اللَّهِ مَنْ يَسْمَعُ كَلَامَ مَرَا
وشبيه ذلك قول صالح الحمقى :
أَبُوءُ طَاوِعَ فِي غَالِبٍ وَشَرَّوَاهِ وَهَذِي سَوَاتِ نُخُومَاتِ الصَّابِغِ
هِيَ دُودَةُ الرِّجَالِ بِالْهَرَجِ تَرَعَاهِ وَالنَّاقِدَةُ تَرَعَى الْخَشْبَ لَوْ صَرَاوِيعِ
معنى قول الشاعرين واحد في مطاوعة النساء ، وتغلب كيدهن .

• • •

وقال جميل بن مَعْمَرٍ :
فَلَوْ أَنَّ مَا بِي بِالْبَحَارِ لِمَا جَرَى بِأَمَاجِهَا بِحَرَ إِذَا زَخَرَ الْبَحْرُ
وَلَوْ أَنَّ مَا بِي بِالْحَصَى فَلَقَ الْحَصَى وَبِالصَّخْرَةِ الصَّمَاءَ لَا نَصْدَعُ الصَّخْرَ
وشبيه ذلك قول ابن عقيل راعى الجمعة :
لَوْ أَنَّ مَا بِي يَصِيبُ طَوَيْقَ وَهَضَابِهِ كَانَ أَصْبَحَ الضَّلَعُ هُوَ وَالْقَاعُ مَتَسَاوَى
أَوْ أَنَّ مَا بِي يَصِيبُ رُكُونَ حَطَابِهِ كَانَ أَصْبَحَتْ عَشَقَتْ تَرَعَابَهَا الشَّوَاوَى
معنى كلام الشاعرين واحد ، ذكر الأول أن ما به عظيم لا يستطيع حمله ، ولو أنه أصاب
الحصى لا تغلق أو الصخر لا تصدع ، والثاني يقول : لو أن الذى به أصاب طويقا - وهو جبل
اليمامة - لاندك وساوى الأرض ، أو أصاب ركون حطابه ، وهى هضبة مجاورة لطويق ، لأصبحت
مستوية بالأرض ترعى بها الغنم .

• • •

وقال جرير بن عطية وهو وافد على الوليد بن عبد الملك بن مروان فى دمشق ، ووفادته من
يبرين ، وهو منهل لبنى تميم فى القطعة الجنوبية من الدهناء :

أقول للعيس إذ جدد المسير بنا يا بعد يبرين من باب الفراديس
وشبيه ذلك كلام صالح بن سرحان ومعه وهق راعى الرويضة وقد وفدا على بعض الأمراء :

إن بدا لى قارة فى سد قاره والحفى بيدى سلسات القرينا
يا وهق يا بعد اهلك من القواره والجل يضلح برجله من يمينا

معنى قول الشاعرين واحد ، جرير يقول : يا بعد يبرين من باب الفراديس ، وباب الفراديس
من أبواب دمشق ، ويبرين كما ذكر منه لى تميم ، وابن سرحان يقول : يا بعد أهلك من القواره
وقد انتهت من هذه النبذة الأخيرة .

قال مصنف هذا الكتاب : أوردت هذه الشواهد ، وقررت ما بين الشعر العربى والشعر
النبطى ، وأوردت مثلاً تدل على ما بينهما من تطابق فى المعنى ؛ لأزيل الالتباس عن كل من
يظن أنه لا يحتج بالشعر النبطى ، ولا يستشهد به ، فتجد فى هذه الشواهد بيتا نبطيا وبيتا عربيا
ومعناها واحد ، وصاحب البيت النبطى لا يعرف الأشعار العربية ولا يسمها ، وابشكر المعنى من
قريحته ، كما أن الشاعر الأول ابتكر معناه من قريحته .

ثم إن أهل العربية لا يلتزمون فى المعانى الاستشهاد بشعر طبقة أو طبقات معينة ، بل إنهم
رما استشهدوا بشعر المعجم من الفرس وغيرهم ، فأما ما يلتزمون الاستشهاد عليه بشعر من قبل
الدولة العباسية فهو الألفاظ وضبطها مما يلزم علماء اللغة وعلماء النحو والصرف ، فأما التاريخ
والبلدان وعلوم البلاغة فلم يلتزم أحد من العلماء الاستشهاد بكلام طائفة معينة ، وكيف والحاجة
ماسة إلى معرفة كلام شعراء كل جيل للدلالة على مواطنهم ومسارح لهوهم .

. . .

ولما اتهمنا من هذا الكتاب وقد تم اكتشافنا لموضع سوق عكاظ بالدلائل الواضحة عزمنا
على إيرادها برمتها فى آخر هذا الكتاب مع ذكر الدلائل التى وقفنا عليها ، ونشر خريطة المكان
وما به من الآثار ، والذم النبالة ، والأطلال الخالية ، وليس يعلم إلا الله تعالى كم بذلت من
جهد وعانيت من متاعب فى البحث عن موضع سوق عكاظ ، والاستدلال على موضعه ، وقد
كان يقول لى من سألت من أدباء الحجاز : إنه السيل الصغير ، وكنت أسألم : هل عندكم دليل
واضح ؟ فيقولون : لا ، وإسكننا نسمع ذلك من أفواه الناس ، وقد أكثر أهل المعاجم وكتب
التاريخ من ذكره على اختلاف رواياتهم ؛ فمنهم من قال : إنه على مرحلتين من مكة ، وعلى
مرحلة من الطائف ، ومنهم من قال : إنه بين نخلة والطائف ، فلما وجد المتأخرون هذه الروايات

قالوا : إنه السيل الصغير ، أو السيل الكبير ، أو قريب منه ، ولكن هذه الأقاويل لا يقنع بها مَنْ أراد الوقوف على الحقيقة ، ومما يدل على أن هذا الكلام الذى يليقه المتأخرون على عواهنه غير صحيح ، ولا يمكن أن يكون سوق عكاظ فى أحد هذين الموضعين ، أنه ليس فى كلام القدامى ما يدل على أنه يوجد فى أحد هذين الموضعين متسع يكفى لنزول العرب لشهود هذه السوق .

فما زلت أنتفع كتب الأدب والمعاجم التى أظن أنى أجده فيها فإذا وجدت عبارة قريبة من الصواب عرفت موضعها من الكتاب ، وضمتها فى حافظتى ، حتى إذا اكتملت لدى الدلائل الواضحة ، والله الحمد والمنة ، عزمت على تطبيقها على الطبيعة وتحديد موضع سوق عكاظ .

ومن كل ذلك ثبت عندى أن موضعه يبعد عن مطار الحوية مسافة عشرة كيلومترات تقريبا من الجهة الشرقية منه ، وعن الطائف مقدار أربعين كيلو ، وذلك عند المكان الذى يلتقى فيه الواديان : وادى شرب ، ووادى الأخيضر ، شرقيه ماء يقال له المبعوث عند الحرة السوداء ، وجنوبيه أكمة بيضاء يقال لها العباء من العهد الجاهلى إلى هذا العهد ، وشماله هو الفاصل بين وادى شرب ووادى قران ، المعروفين بهذين الاسمين إلى هذا العهد ، والعجب من أندراس هذه السوق ، وهى من أعظم أسواق العرب فى الجاهلية وفى أول الإسلام ، وكان الناس ينتابونه من كل ناحية ، فلما كانت سنة ١٢٩ من الهجرة وظهر الخوارج الحُرُوريه مع المختار بن عوف بمكة نهبت هذه السوق فتفصل ظله شهرا بعد شهر وعاماً بعد عام ، حتى اندرس اسمه ، وعفى عن الأبصار رسمه ، وكثر التضارب والاختلاف فى تحديده ، وقد أجمع الكثيرون من الناس على أنه السيل الصغير أو السيل الكبير أو قريب ذلك . وهذان الموضعان كما قلنا لا يتسع أحدهما لمن كان يحضره من العرب لأنه لم يكن يبقى من العرب أحد فى مشارق أرضهم ومغارها إلا حضر هذه السوق .

فأما التحديد الصحيح الذى هو صادر عن معرفة ويقين فهو الذى ذكرته فى أول هذه العبارة فمن أراد أن يقف برجله ويرى الآثار الدارسة والأطلال البالية فليذهب إلى هناك كما ذهبت إليها ورأيتها بعينى ، ووقفت على حقيقتها ، فأنا لم أذكر تحديد هذه السوق إلا مستنداً إلى خمسة أسانيد صحيحة .

أولها : ما ذكره أحمد الردامى البمانى فى أرجوزة له رسم فيها طريق مكة من صنعاء إلى مكة وهو فاصد الحج ، ولست أذكر من هذه الأرجوزة إلا ما دعت الحاجة إليه ، وقد ذكرها الحمدانى

في آخر كتابه « صفة جزيرة العرب »

ثانيها : ما ذكره عرام بن الأصمعي السلمي في كتابه المسمى « جبال تهامة والحجاز ومحالها »

ثالثها : ما ذكره ياقوت عن الأصمعي في معجم البلدان على ذكر عكاظ .

رابعها : ما ذكره سعيد الأفغاني في كتابه المسمى بأسواق العرب حين تعرض لذكر عكاظ

وذكر أيام الفجار . وهي الحرب التي وقعت بين قريش ومن ساعدها من بطون كنانة وبين قيس

عيلان و بطونهم وذكر مواضع المعارك ، وكلها إما في عكاظ نفسه وإما في الأمكنة المحيطة به .

خامسها : ما ذكره السكيت بن زيد الأسدي ، وهو بيت واحد في قصيدة من قصائده

وسنعود بالتفصيل والإيضاح إلى الأسانيد الخمسة التي أشرنا إليها .

أولا : ما ذكره الرداعي في أرجوزته ، وهو يخاطب راحلته :

قلت لها في مطلق طاخ لدى مناخ أيما مناخ

يا ناق همّ الشهر بأنسلاخ فأزمت بالجد لا التراخي

كأم أفراخ إلى أفراخ عن ذي طوى ذي الحمض والسباخ

وأوقح ذي المنهل الوضاح قاربة للورد من كلاخ

انظر أيها القارئ تجد أن الشاعر خرج من أوقح ووصل كلاخ ، وهما موضعان معروفان

بهذين الاسمين إلى هذا العهد ، وهما يقعان في الجهة الجنوبية من عكاظ ، ثم اندفع وهو يخاطب

راحلته فقال :

قلت لها سيري بلا تواني سيري بمفضل على الإخوان

ليس بفحاش ولا منان وكل صلت ثابت الجنان

يا هند لو أبصرت عن عياني قلائص يوضعن في جلدان

وجلدان : موضع لم يتغير اسمه إلى هذا العهد ، بين عكاظ وكلاخ ، وهناك هضبة منفرة عن

الجبال تسميها العرب إلى هذا العهد « حلاة جلدان » .

انظر أيها القارئ تجد الشاعر الآن عند الحلاة ، ثم اندفع وهو يتغنى وقد قرب من عكاظ :

قللت لما ناب لي احتفاظي والقلب فيه شبه الشواظ

سلّ الهوى عن قلبك المغناظ والعيس تطوى الأرض بالمناظ

مشفقة من زاجر كفاظ مسهلة في الأرض من عكاظ

الآن الشاعر في عكاظ ، انظر أيها القارئ كلامه حين خرج منه ، فقال :

فانجرت بالرفق العصائب عيـدية مفعمة المناكب
بكل خف مستدير الجانب وحيث خط الليل كف الكاتب
تاركةً قران للمناقب وشربا في جنح ليل واقب

أنظر إليها القارئ كلام الرداعي لما خرج من عكاظ قال « تاركة شرب » وهو الوادى الذى يفيض على عكاظ ويشقه من الجهة الشمالية منه ، وقال « تاركة قران للمناقب » وقران : هو واد يأتى سيله بين السيل الصغير وبين عكاظ ، يصبُّ سيله فى وادى العقيق ، وهو باق بهذا الاسم إلى هذا العهد ، لا يزال يسمى « قران » والمناقب : معلوم أنها الريعان التى تقع بين السيل الصغير والسيل الكبير .

ثانيا : ما ذكره عرام بن الأصبع السلمى ، قال فى كتابه « جبال تهامة والحجاز ومحالها » قال لما مر على ذكر عكاظ : هو فى أرض مستوية ليس بها جبال ، وإذا كنت فى عكاظ طلعت عليك الشمس على حرة سوداء ، وبها عبيلات بيض كان العرب يطيفون بها فى جاهليتهم ، وينحرون عندها ، انتهى : وقد رأيت بعينى الأرض المستوية التى ليس بها جبال ، ورأيت العبيلات البيض ، ورأيت الحرة السوداء ، وأنا فى صحبة صاحب السمو الملكى الأمير فيصل بن عبد العزيز لما آب من قنصه وما أشبهه علينا شئ من ذلك .

ثالثا : الذى رواه ياقوت عن الأصمعى فى معجم البلدان - لما ذكر ياقوت عكاظ وأكثر من الروايات عنه قال : وقال الأصمعى : عكاظ واد به نخل ، بينه وبين الطائف ليلة ، وبينه وبين مكة ثلاث ليال ، وبه كانت أيام الفجار ، وكان هناك صخور يطوفون بها ، ويحججون إليها ، أما تحديد الأصمعى فهو صحيح ، وقد سألت عن ذلك أعراب تلك الناحية عن المسافة ، ورواية الأصمعى تقارب رواية عرام حيث ذكر الصخور التى يطوفون عندها ، ويذبحون لها ، وتقرنت مع رواية سعيد الأفغانى حين قال : وبه كانت أيام الفجار ، وأما الأثيدا فقد اندرس اسمها رابعا : ما ذكره سعيد الأفغانى فى كتابه المسمى « أسواق العرب » فإنه لما مر على ذكر عكاظ وذكر أيام الفجار ، ذكر منها أربعة أيام وقعت فى نفس عكاظ ، والخامس منها فى بطن نخلة ، وهو أولها ، وبعده يوم شمطا ، وهو فى عكاظ ، وقد اندرس ذكرها ، وبعده يوم العبلاء ، وبعده يوم شرب ، وبعده يوم الحريرة ، وإليك عبارة^(١) صاحب « أسواق العرب » على يوم العبلاء : عاد الأحياء المذكورون من هؤلاء ، وأولئك ، فاقتلوا فى قابل فى اليوم الثالث من أيام

عـكـاظ في العـبـلاء ، وهى إلى جانب عـكـاظ ، فاقـتـلوا على التـعـبـئة التى تـقـدمت ، وكان هذا اليوم أيضا لهـوازى على قريش وكنانة ، فأصـيـب قريش ، وقـتـل أحد صناديدها وهو العوام بن خويلد ، والد الزبير بن العوام ، قتله مرة بن معتب الثقفى . وقال فى ذلك رجل من ثقيف يفتخر بقتله لما له من الشرف والخطر فى قومه :

منا الذى ترك العوام منجداً تنـتـابه الطير لحماً بين أحجار

وفى هذا يقول شاعر هذه الحروب من هوازن ، وهو خدّاش بن زهير حين قال :

ألم يبلغكم أنّا جدعنا لدى العـبـلاء خندف بالقياد

ضربناهم بطن عـكـاظ حتى تولوا طالعـين من النجاد

أنظر أيها القارىء ، تجد أن هذا الشاعر جعل العـبـلاء من عـكـاظ ، وهى باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهى التى ذكرنا أنها حدّ عـكـاظ فى الجهة الجنوبية منه .

ثم استمع إلى كلام صاحب الكتاب على يوم شرب^(١) : ثم التقوا على رأس الحول فى اليوم الثالث من عـكـاظ أيضا بشرب . وشرب من عـكـاظ ، ولم يكن بين الفريقين يوم أعظم منه ، وهزمت قريش هوازن ، وهذا اليوم هو الذى قيد فيه رؤساء قريش أنفسهم وقالوا : لن نبرح حتى نقتل أو نظفر ، فسموا العنابسة بعد ذلك .

تأمل أيها القارىء ، كلام صاحب الكتاب حين قال « شرب من عـكـاظ » وشرب باقى بهذا الاسم إلى هذا اليوم لم يتغير ، وقال أمية بن الأسكر الكنانى فى ذلك اليوم :

ألا سائل هوازن يوم لا قوا فوارس من كـنـانة معلـمينا

لدى شرب وقد جاشوا وجشنا فأوعب بالنفسير بنو أينا

وقال أيضا :

قوى الذو بمـكـاظ طيروا شررا من رؤس قومك ضرباً بالمصاويل

انظر هذا الشاعر جعل المعركة فى نفس عـكـاظ ، وصحيح أنها فى نفس عـكـاظ .

وقال على يوم الحرية ، وهو آخر أيامهم^(٢) : ثم التقوا على رأس الحول بالحرية ، وهى حرة إلى جنب عـكـاظ ، ثم انهزمت قريش ، وقالت شعراء هوازن قصائد كثيرة منها :

الطاعنين نحور الخيل مقبلة من كل سمراء لم تغلب ومغلوب

وقد بلوتم فأبلاكم بلاؤهم يوم الحرية ضرباً غير مكذوب

وهذه الحريرة هي التي ذكر أبو الأصبع السلمي أنها تطلع عليها الشمس إذا كنت في عكاظ .
خامساً : بيت الكهيت بن زيد الأسدي في إحدى قصائده حين قال :

أهل الحنيفة فاسأل عن مكارمهم بالمسجدين وملقى الرجل من شرب

قال مصنف هذه الأحرف : قرأت هذه القصيدة التي منها هذا البيت على الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى ونحن ببلد أشيقر ، وهو رجل علامة في جميع الفنون ، وبالأخص في تاريخ العرب وأنسابهم وديارهم وتنقلاتهم ، فلما مررت على هذا البيت أشكل عليّ منه : ملقى الرجل من شرب ، فسألته عن ملقى الرجل من شرب ، فقال لي : إن هذا الشاعر ذكر بني هاشم ومكارمهم ، فقال : فاسأل عن مكارمهم أهل مكة وأهل المدينة وملقى الرجل من شرب : هو سوق عكاظ ، قلت له : شرب هو اسم سوق عكاظ ؟ قال : شرب وادٍ قريب من الطائف ينصب من الغرب إلى جهة الشرق ، وعنده واد يقال له الأخيضر ينصب من الغرب إلى جهة الشرق . وهذان الواديان ينصبان في غرب عكاظ ، ويتجهان إلى الجهة الشرقية منه ، قلت له : من أين أخذت هذا التحديد الواضح ؟ قال : أخذته من كتاب في مكتبة بالبصرة هو أحسن من معجم البلدان في ذكر نجد وجبالها ومياهها . فقلت له : هذا الكتاب طبع أو خط ، قال : إنه خط ، انتهى .

وقد أوردنا على تحديد عكاظ الدلائل الواضحة التي لا تلبس على أحد ، والذي أضل قوماً من أهل الأدب فقال إن عكاظ قريب من مكة ، واستدل بقول خدّاش بن زهير حينما قال :

ياشدة قد شدّدتنا غير كاذبة على سخينة لولا الليل والحرم

وَلَوْ سَلَائِلًا وَعُظْمُ الْخَيْلِ لَاحِقَةٌ كما تحبُّ إلى أعطانها النعم

وهي قصيدة طويلة ، هي حجة من استدلت بهذا البيت على أن عكاظ قريب مكة ، وهو لا يعلم موضع هذه المعركة التي ذكر هذا البيت من أجلها ، وأنا أعلمها ، وأعلم السبب الذي جرّها ، وأعلم أن موضع المعركة كان في بطن نخلة بين لزيمة وبهيتة .

فأما السبب الذي من أجله نشبت الحرب ، وهو أول أيام الفجار ، فإنه لما اجتمعت العرب في عكاظ ، وكان غزوة الرّحّال سيد هوازن قد أجاز لطيمة للنعمان بن المنذر كان يبيعها إلى عكاظ في كل عام تباع فيه ، والاطيمة : إبل تحمل الطيب والبز وطرائف من طرائف الحيرة ، فما انتصف في طريقه نبعه البرّاض الكنانى ، فقتله قريب النقرة وأخذ الاطيمة ، ثم بعث إلى حرب بن أمية وهو سيد قريش في ذلك الوقت رجلاً يخبره أنه قتل عروة الرّحّال سيد هوازن ، فقال للرسول : ستجدني في عكاظ وهوازن محيطة به فأخبره سرا ، ولا تعلم بك هوازن ولا غيرها ، ففعل الرجل ،

وأخبره ، فاستشار حرب رؤساء قريش وبنى كنانة ، واتفق رأيهم على أن ينصرفوا إلى مكة ولا يحضروا عكاظا في هذا العام ، ويعتذر للقيسية بعذر عن خروجهم ، ففعلوا ، فلما مضى يوم وليلة على القيسية علموا بمقتل عروة الرحال ، وكان سيد هوازن وقيس عيلان عامر بن مالك الذى يقال له ملاعب الأسنة وهو عم عامر بن الطفيل ، فنهض بقيس عيلان ولحقوا قريشا وكنانة فى بطن نخلة ، فدارت المعركة بينهم ، ثم انهزمت قريش ومن معها ، وقال خداح بن زهير هذا البيت :

ياشدة قد شددنا غير كاذبة على سخينة لولا الليل والحرم

وظن من سمعه أن المعركة فى عكاظ ، وقد أفرد لهذه المعركة يوم من أيام العرب يسمى يوم نخلة ، وهو من أيام الفجار ، وسميت أيام الفجار لأنها وقعت فى الأشهر الحرم ، والذى أوقعهم فى هذا الظن أن باقى أيام الفجار سوى هذا اليوم كانت تنشأ فى سوق عكاظ ، وتدور المعركة فى جهة منه ، فتسمى المعركة باسم تلك الجهة فيوم شمطا ويوم العباء ويوم الحريرة ويوم شرب كلها فى عكاظ ، فشمطا قد ذهب اسمها ، وأما العباء وشرب والحريرة فإنها كلها بعكاظ ، وهى باقية بهذه الأسماء إلى هذا العهد ، وجميع ما ذكرناه عن تحديد عكاظ حاضر بأيدينا ، انتهى .

قد اطاعت على مصادر كتاب « أسواق العرب » والأسانيد التى اعتمد عليها ، فوجدتها من أعظم الكتب وأثبتها وأدناها لغرض المصنف : منها الأكليل والأمالى والأزمنة والأمكنة وأساس البلاغة والأغاني وتاج العروس وتاريخ الطبرى وسيرة ابن هشام والعقد الفريد وصباح الأعشى وصحيح مسلم وعيون الأخبار وطبقات ابن سعد وتاريخ الأدب العربى وتاريخ المدن الإسلامى ورياض الصالحين وخزانة الأدب وصحيح النسائى وفتح البارى لابن حجر والسكامل لابن الأثير ولسان العرب ومجمع الأمثال للميدانى ومسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ومعجم البلدان لياقوت ومعجم ما استعجم للبكرى والنهاية لابن الأثير ونهاية الأرب للنويرى .

وليعلم قارئ هذه الأحرف أنه لما ثبت عند صاحب السمو الملكى الأمير فيصل بن عبد العزيز آل سعود صحة ما ذكرته عن عكاظ وتحديد موقعه ورأى بعينه الحفرة التى تطلع عليها الشمس والعيلات البيض والأرض المستوية التى تسع العرب عند اجتماعهم ووادى شرب ووادى قران والعبلاء وحلات جلدان ، وثبت لديه هذا التحديد الواضح بحث مع الكتائب الأديب البعثاء عن بلاد العرب وما بها من الآثار عبد الوهاب عزام بك وزير مصر المقوض فى جدة سابقا ، وقال له : إني أحب الوقوف على هذه السوق وآثارها البالية المندرسة ، وكان الوزير متأهبا للسفر إلى الرياض فاتعدا أن يذهب جميعا إلى سوق عكاظ ، إذا رجع الوزير من الرياض ، فصادف عند رجوعه

أن كان صاحب السمو الملكي الأمير فيصل في جدة ، فأمر الأمير خادمه عبد المحسن العنقري أن ينصب الخيام هناك ، ويرسل الخدم إلى ذلك الموضع لتحضير ما تدعو إليه الحاجة ، وقد فعلوا ونصبوا الخيام إلى جانب العبيلات البيض في نفس عكاظ ، وأمرني صاحب السمو الملكي الأمير فيصل أن أقابل الوزير في المطار أنا وخادمه عبد المحسن العنقري ، ونذهب مع الوزير إلى سوق عكاظ فأخذت معي جميع الدلائل التي أشرت إليها ، فمما وصلنا إلى عكاظ قرأت على الوزير ماء عدى من الدلائل ، وكما مررت على ذكر موضع كالحريرة وشرب والعبلاء والعبيلات البيض وجدان وقران يقول : أين هي ؟ فأريه إياها رؤية عين ، الحريرة أخذ عكسها ونحن على ظهرها ، والعبيلات البيض التي ذكرها أبو الأصبع السلمي صورها ونحن إلى جنبها ، والعبلاء كذلك ، وتجوّلنا فيه بالسيارة ، ورأى الآثار القديمة والأرض المتسعة التي تسع العرب جميعها ، وقد اعترف أنه عكاظ ، واقتنع وأبدى موافقته التامة ، وأخذ مني نسخة تحتوي على جميع الدلائل التي أشرت إليها ، والفضل في ذلك يرجع إلى حضرة صاحب السمو الملكي الأمير فيصل لأنه هو الذي أمر بهذا الاكتشاف وتحقيقه والوقوف عليه بعد تصويره ، ورأيت في أوبته من قنصه ، أدام الله بقاءه .

وإني قد بدأت البحث عن سوق عكاظ وتحقيق موضعه من سنة ١٣٥٥ هـ ، وانتهيت منه في شهر شوال سنة ١٣٦٩ هـ . وفي الصفحة التالية خارطة رسم سوق عكاظ ، وأجبت أن أختتم هذا الكتاب بهذا الأثر العظيم ، لأنه من شرط كتابنا هذا .

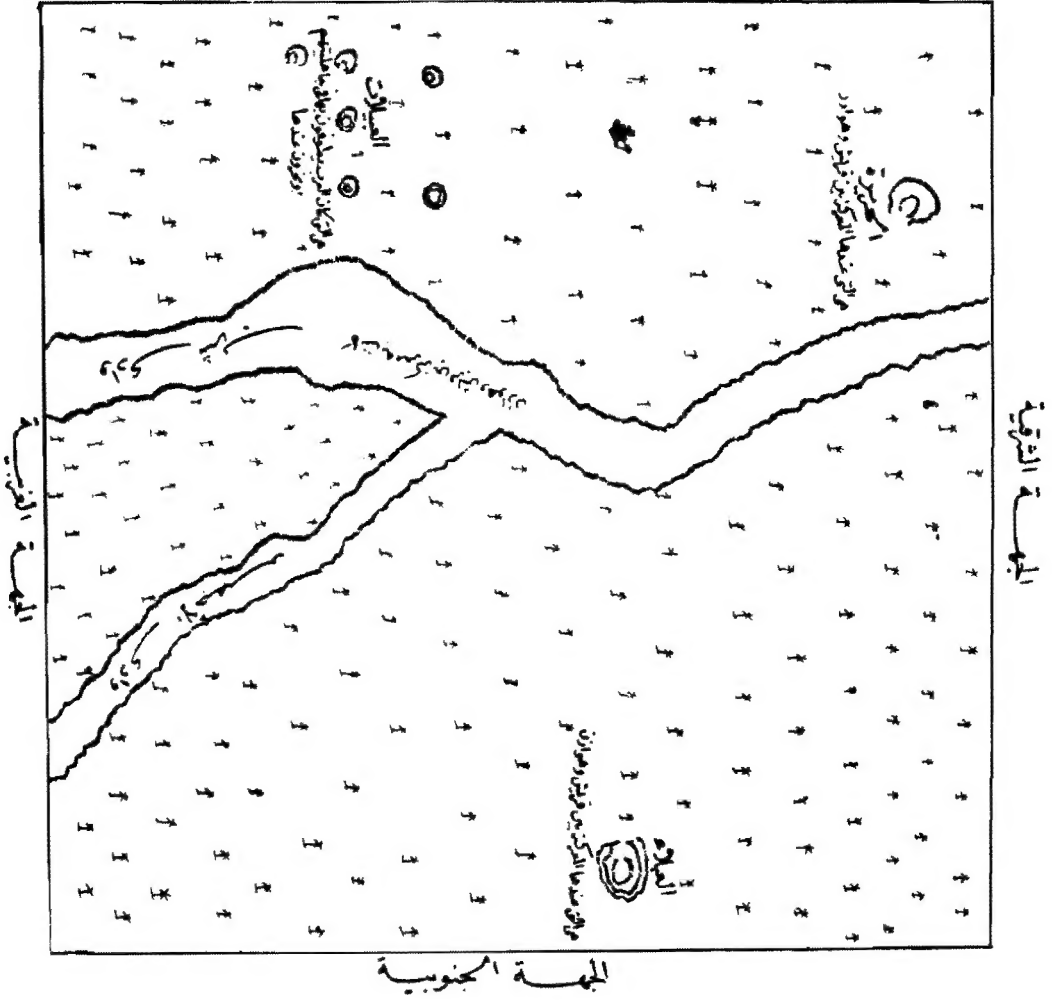
وقد نشر هذا البحث عن سوق عكاظ في مجلة المنهل الغراء التي تصدر بمكة ، وذلك في عددها الممتاز الصادر في ذي الحجة من سنة ١٣٦٩ هـ (ص ٣٢٦ — ٣٣٤) .

* * *

وقد آن أن نُلقَى عَصَا التَّسْيِيرِ ، بعد أن طَوَّفْنَا بك في جبال بلاد العرب وحرارها وقُرَاهَا ومدنها وأوديتها ومياهها ، وقطعنا في ذلك شوطا بعيدا ، والله تعالى المستول أن ينفع بهذا العمل كاتبه وقارئه إنه حسبنا ونعم الوكيل ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .
وصلّى الله وسلّم على سيد الأولين والآخرين محمد بن عبد الله وآله وصحبه .

سوق عكاظ

بني تميم



اطلع سماحة الأستاذ الجليل الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع مدير المعارف بالمملكة العربية السعودية على الجزء الأول من كتاب « صحيح الأخبار » فنفضّل - حفظه الله وأمتع بعلمه وفصله العرب والعروبة ! - بكتابة هذا الكتاب الذي ثبتته في هذا الموضع من الكتاب مع عاطر التحية لسماحته وخالص الشكر ، قال أمتع الله به دولة الأدب :

إلى حضرة الأجدد الأكرم الأخ الشيخ محمد بن بليهد الموقر ، حرسه الله تعالى !

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؛ أما بعد فقد تشرفت بورود كتابكم ، وسرني نبأ صحتكم وسلامتكم ، وإنني أشكر لكم هديتكم القيمة ، وهي الجزء الأول من « صحيح الأخبار » والديوان . ولقد أعجبنى ما اشتملا عليه من التحقيق والتدقيق ، وإنكم في تأليف صحيح الأخبار أذتم العالم العربي بفوائد جسيمة كانت غائبة عن الأنظار أعواماً طويلة ، فلقد حققت ودققتم عن مشاهدات صحيحة وأخبار موثوق بها ، فصحت تسمية التاريخ صحيح الأخبار ، وإن كتابكم هذا سيكون عمدة في بيان المواضع التي حررتموها ، وسينبه المؤلفين في الأدب على التحفظ والاحتياط اللذين التزمتموها عند كتابتكم عن بلاد العرب وذكر الأسماء التي وردت في الأشعار العربية . فجزاكم الله خيراً وبارك في حياتكم وأمدكم بعون منه ! وإنني أقول أيها الفاضل : إن صحيح الأخبار كتاب سيكون له أكبر شأن عند الأدباء ، وستقرأ ما يكتبه أدباء الأقلام عن هذا الكتاب من التقريظ والثناء ، وهذا ما لزم . وسلامي على العيال ، ومنّ لدينا جميعاً يسلمون ، والسلام .

محكم

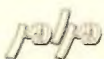
محمد بن عبد العزيز

ابن مانع

فهرس الموضوعات الواردة في كتاب

« صحيح الأخبار ، عما في بلاد العرب من الآثار »

ص	الموضوع	ص	الموضوع
	في الجزء الأول :	٨٣	القسم الثاني من الكتاب :
١	كلمة المؤلف		في ذكر أما كن وردت في غير المعلقات
٦	تصدير بترجم موجزة لأصحاب المعلقات		لشعراء مختلفين
١٦	شعر امرئ القيس الذي فيه أسماء للأما كن	١١١	ذكر موقعة حدثت في الزمان الأخير
١١٢	شعر زهير بن أبي سلمى مما يتعلق به		بين عتيبة ومطير
	غرض الكتاب	١٣٤	حديث المؤلف عن خرجة خرجها
١٦٢	شعر طرفة بن العبد البكري مما يتعلق		الأمير فيصل آل عبد العزيز للنقص
	به غرض الكتاب	١٣٧	ذكر ما بين جدة مرفأ الحجاز وبين
١٧٠	شعر لبيد بن ربيعة العامري مما يتعلق		الرياض من الأما كن
	به غرض الكتاب	١٥٣	حديث عن اللصوص الذين كانوا
١٩٢	شعر عمرو بن كلثوم التغلبي مما يتعلق		يقطعون الطريق على الحجاج
	به غرض الكتاب	١٨٣	ذكر الأما كن الواقعة في وسط نجد
٢١٤	شعر عنتر بن شداد العبسي مما يتعلق به		وكان بكل منها موقعة
	غرض الكتاب	١٨٥	العرب الباقون في أما كنهم من عهد
٢٣٦	شعر الحارث بن حنزة الشكري مما يتعلق		الجاهلية
	به غرض الكتاب	١٨٩	الشعر النبوي ، وحديث عن النبيط
٢٤٤	شعر الأعشى ميمون بن قيس مما يتعلق		وأصلهم وموازنة بين المعاني التي قالوا
	به غرض الكتاب		فيها والمعاني العربية
	في الجزء الثاني :	٢١٠	اكتشاف موقع سوق عكاظ ، وأدلة ذلك
٤	شعر النابغة الذبياني مما يتعلق به	٢١٨	خريطة تبين موقع عكاظ
	غرض الكتاب	٢١٩	خطاب ورد إلى المؤلف من مدير المعارف
٧٦	شعر عبيد بن الأبرص مما يتعلق به		في المملكة العربية السعودية بعد أن
	غرض الكتاب		اطلع على الجزء الأول من هذا الكتاب



للطباعة الإلكترونية

هاتف 4783582 فاكس 4779883

يطلب من دار عبد العزيز بن محمد بن سعد آل حسين
للنشر والتوزيع : ص.ب ٦٩٠٧ الرياض ١١٤٦٢

